التكوير
على التحرير والتنوير
محمد خير رمضان يوسف

التكوير
على التحرير والتنوير

محمد خير رمضان يوسف

١٤٣٩ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمدُ لله العليِّ العظيم، والصلاةُ والسلامُ على الرسولِ الأمين، وعلى الآلِ والصحبِ أجمعين، وبعد:

فقد منَّ الله عليَّ بالاستدراكِ على عدةِ تفاسيرَ قديمة، وخاصةً المشهورَ منها، لتكتملَ الفائدةُ منها، وأحببتُ أن أعرّجَ على بعضِ التفاسيرِ الحديثة، بهدفِ الاستدراكِ عليها أيضًا، إذا لزمَ وأمكن، فرأيتُ أشهرها (في ظلال القرآن)، و (التحرير والتنوير من التفسير).

أما الأولُ فمن التفاسيرِ الدعويةِ والثقافيةِ العالية، وشأنهُ عجب! وقد هبتُ الخوضَ فيه، والاستدراكَ عليه.. فلصاحبهِ نهجٌ جديدٌ في التفسير، واستنتاجاتٌ كثيرةٌ رائدة، وأفكارٌ مفيدةٌ تحرّكُ العقل، وتثيرُ النفسَ المؤمنة، في عبقريةٍ فذَّة، مع تأمُّلٍ وتبصُّرٍ وتدبُّر عميق، وتقصِّي الحقائقَ ودرسها على نهجٍ إسلاميٍّ معتبر، مع أسلوبٍ أدبيٍّ جميلٍ لا يُبارى.

والآخرُ بحرٌ في العلوم، مليءٌ بالفوائدِ والعِبر، وتفاصيلَ لا تجدُ بعضَها في تفاسيرَ أخرى، وقد استفدتُ منه لكتابي "عون البصير على فتح القدير"، ولاحظتُ أثناءها أنه تركَ أشياء.. وبتتبعِ قسمٍ منه رأيتُ إمكانيةَ الاستدراكِ عليه، ولكن ليس بنفَسِ مؤلفهِ الطويل، وتفصيلهِ المسهب، وإنما بتفسيرِ ما يلزم، وتقديمِ معناه، مما يتوضحُ به للقارئ.

وقد ذكرَ رحمَهُ الله أنه اهتمَّ في تفسيرهِ هذا ببيانِ وجوهِ الإعجاز، ونكتِ البلاغةِ العربية، ومعاني المفردات، وأساليبِ الاستعمال، وتناسبِ اتصالِ الآي بعضها ببعض.

وقالَ مثنيًا على عملهِ ومرغِّبًا فيه: "عسى أن يجدَ فيه المطالعُ تحقيقَ مراده، ويتناولَ منه فوائدَ ونكتًا على قدرِ استعداده، فإني بذلتُ الجهدَ في الكشفِ عن نكتٍ من معاني القرآنِ وإعجازهِ خلتْ عنها التفاسير، ومن أساليبِ الاستعمالِ الفصيحِ ما تصبو إليه هممُ النحارير، بحيثُ ساوَى هذا التفسيرُ على اختصارهِ مطوَّلاتِ القماطير، ففيه أحسنُ ما في التفاسير، وفيه أحسنُ مما في التفاسير".

وقالَ في آخره: "وقد جئتُ بما أرجو أن أكونَ وُفِّقتُ فيه للإبانةِ عن حقائقَ مغفولٍ عنها، ودقائقَ ربما جَلَتْ وجوهًا ولم تَجْلُ كُنْهًا".

وقد طُوِّعَ له القلمُ رحمهُ الله، فإذا أوجزَ أبدع، وإذا أفاضَ أجادَ وأفادَ. ولكن يُلمَحُ منه أنه تفسيرٌ للعلماءِ ولطلبةِ العلمِ الأشدّاء، ونصيبُ المثقفِ العاديّ منه قد يكونُ قليلًا بالنظرِ إلى حجمه، وهو قد دعا الله في آخرهِ بأن "ينفعَ به الخاصةَ والجمهور".

وله اجتهاداتٌ كثيرةٌ في تفسيره، وقد يخالفُ في بعضها كبارَ المفسِّرين وجمهورهم، وهو في كلِّ مرةٍ يحتجُّ لرأيه، بدليلِ نقلٍ أو عقل، ويتوسَّعُ فيه، نقدًا لما سبق، وتأييدًا وإبرازًا لما ارتآه.

وأكثرَ النقلَ من التوراة، واستدلَّ بكتبٍ من التاريخِ القديم، توسُّعًا أو ترجيحًا لرأي. كما استشهدَ بمعطياتٍ من العلمِ الحديث..

ومؤلفهُ الشيخُ الجليلُ محمد الطاهر بن عاشور عالمٌ ومفسِّرٌ علّامة، من تونس، تولَّى القضاءَ والإفتاءَ ومشيخةَ جامعِ الزيتونة. وكان متبحرًا في العلومِ الإسلامية، واللغة، فصيحًا، مطلعًا على العلومِ العصرية، وآراءِ الفرقِ وعقائدِ الأديانِ وشرائعها. وقد بقيَ مع تفسيرهِ هذا أربعينَ عامًا. وله كتب أخرى نافعة، وأنهى تفسيرَهُ هذا في مدينةِ تونسَ عام ١٣٨٠ هـ، وتوفي عام ١٣٩٤ هـ وقد قاربَ المئة. عليه رحمةُ الله.

وكما ذكرتُ في أولهِ فإن الاستدراكَ على هذا التفسيرِ مختصر، وليس كما توسعَ فيه المؤلف، فهو أنفعُ للقارئ المعاصر.. ولستُ أهلًا لأن أخوضَ فيه كما فعلَ صاحبهُ رحمَهُ الله.

وهو مثلُ غيرهِ من المفسرين، يتركُ بعضَ الألفاظِ أو الآياتِ بدونِ تفسير، وقد يحيلُ إلى ما فسَّرَهُ سابقًا أو لا يحيل، وقد يشيرُ إلى سبقِ تفسيرِ الآيةِ مع إيرادِ تفسيرٍ موجزٍ لها، وهذا حسن، وهو كافٍ للقارئ. وقد يفسِّرُ الآيةَ فيما يليها، أو فيما قبلها، وهو نادر؛ لارتباطها بها، فيؤخَذُ هذا في الاعتبار.

ومن مظاهرِ وأسبابِ عدمِ تفسيرهِ بعضَ الآيات:

أنها قد تكونَ واضحة.

أو يفسرها لغةً ونحوًا بما لا يوحي بتفسيرها بشكلٍ مناسب.

أو يفسِّرُ الآيةَ بالألفاظِ الواردةِ فيها نفسها.

وقد يفسِّرُ منها لفظًا واحدًا، ولا أشيرُ إلى ذلك عند الاستدراكِ عليه.

واعتبرتُ كلَّ ما يؤدِّي إلى توضيحِ معنى الآيةِ تفسيرًا، ولو كان تعليقًا في الهامش.
ولم أبحثْ في الحروفِ المقطَّعة، والمتشابهاتِ من الآيات.
ولم أتتبَّعْ ما أوجزَ من تفسير، والأفضلُ توضيحهُ أكثر. فهذا يحتاجُ إلى عملٍ مستقلّ.
واستثنيتُ – كذلك – ما كان تفسيرهُ واضحًا، ولو لم يتتبَّعِ المؤلفُ ألفاظَ الآيةِ كلَّها.
وقد لا أوردُ التفسيرَ كلَّهُ من المرجعِ إذا كان مطوَّلاً، بل أكتفي بما تتوضَّحُ به الكلماتُ أو الآيات، وأشيرُ عند ذلك إلى أنه مختصرٌ، غالبًا.
وأُورِدُ تفسيرَ آيةٍ أو لفظٍ مما فسَّرهُ المؤلفُ من مشابهٍ له في موضعٍ آخر، فإنْ لم أجدهُ طلبتهُ في تفاسيرَ أخرى ذكرتها للقارئ. ولم أتقصَّ هذا، فتفسيرُ الألفاظِ والآياتِ في سياقها قد يعطيها مدلولًا إضافيًّا غيرهُ فيما سبق، فالتكرارُ له فائدةٌ وميزة.
وقد أوردُ معنى آيةٍ أو لفظٍ من تفسيرين أو أكثر، لزيادةِ أحدها على الآخر، أو لتباينٍ في التفسير.
وقد نقلتُ من تفاسيرَ عديدة، وخاصةً تفسيرَ الإمامِ الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن)، وتفسيرَ الحافظِ ابنِ كثير (تفسير القرآن العظيم)، كما استعنتُ بتفسيرِ الإمامِ البغويّ رحمَهُ الله، وبتفسيرِ ابن عطية، وتفسيرِ (روح البيان) للشيخ إسماعيل حقي، فالفائدةُ منه غزيرة، و(روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني) للآلوسي، و(فتح القدير) للشوكاني. كما استعنتُ بـ (الواضح في التفسير) لمعدِّ هذا الكتاب، وقد استفدتهُ من التفاسيرِ السابقةِ وغيرها.
وغالبُ ما كنتُ أنسخهُ من تفاسيرَ مخزَّنة، وإذا شككتُ في خطأ قارنت.
وأضعُ المصدرَ بين قوسين كبيرين في آخرِ تفسيرِ كلِّ آية.
وموضعُ الاستشهادِ هو مكانُ تفسيرِ الآياتِ في التفاسيرِ نفسها، واستغنيتُ بذلك عن ذكرِ أرقامِ الأجزاءِ والصفحاتِ في الهوامش.
ولم أوردِ الأقوالَ والآثارَ والخلافات.
وجمعتُ بين المأثورِ والرأي في هذا المستدركِ كما هو شأنُ التفسيرِ المستدرَكِ عليه.
وراعيتُ جاهدًا ما أقدِّمهُ لجيلٍ معاصرٍ بما يناسبهُ وبما يفهمهُ ويستفيدُ منه.
وأوردُ الآيةَ أو جزءًا منها، يسبقها رقمها، وأضعُ خطًّا تحت الكلمةِ أو الكلماتِ والجُمَلِ التي لم تفسَّرْ فيها، فإذا لم تفسَّرِ الآيةُ كلُّها أبقيتُها بدونِ خطّ.

وقد لا أشيرُ إلى كلمةٍ فسَّرها في آيةٍ طويلةٍ كما ذكرت، فأفسِّرُها كلَّها مع الكلمة.

وأنبّهُ إلى أن معظمَ ما وردَ هنا هو تفسيرٌ لجزءٍ أو ألفاظٍ أو جملةٍ من الآية، وقد لا يَصلحُ إلا مع متابعةِ الأصل، يعني أن هذا التفسيرَ مكملٌ لتفسيرِ "التحرير والتنوير"، وليس مستقلاً بذاته، فقد أفسِّرُ لفظةً في آيةٍ تكونُ مرتبطةً بما قبلها وبما بعدها فسَّرها المؤلف. والأفضلُ أن يطبعَ معه، بهامشه. وقد أذنتُ بذلك لمن شاء، مع إثباتِ هذه المقدِّمة، وعدمِ الزيادةِ أو النقصِ في الكتاب، إلا ما كان من الرسمِ العثماني للآياتِ الكريمة.

واعتمدتُ في هذا الاستدراكِ على طبعةِ الدار التونسية للنشر، ١٤٠٤ هـ.

والمشروعُ الذي أرمي إليه من خلالِ التفسيرِ والمستدركاتِ عليه، هو اعتبارُ جميعِ الألفاظِ الواردةِ في الآيةِ عند تفسيرها، بحيثُ يدركُ القارئُ أن شرحَ كلِّ كلمةٍ منها قد وردَ في هذا التفسير. ولا يُقتصَرُ على مفهومِ الآيةِ والمعنى الإجماليِّ لها.

وقد سميته "التكوير على التحرير والتنوير"، والتكويرُ هو الالتفافُ والتدوير، وقد كان من شأني في هذا العملِ التنقيبُ في جوانبِ هذا التفسيرِ والالتفافُ حولَهُ وفحصه، لمعرفةِ ما فيه من نقصٍ للاستدراكِ عليه. وهو تفسيرٌ ضخم، ولذلك صعبَ البحثُ فيه ومعرفةُ موطنِ الاستدراكِ عليه!

والحمدُ لله الذي ألهمَ ويسَّر، وله الشكرُ كلُّه.

محمد خير رمضان يوسف

إستانبول ١٤٣٩/١٠/٢٨ هـ

الجزء الأول

سورة الفاتحة

١- {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم}.

قالَ رحمَهُ الله: الكلامُ على اسمِ الجلالةِ ووصفه، يأتي في تفسيرِ قولهِ تعالى: {الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين . الرَّحْمنِ الرَّحِيم}.

وكان مما قالَ هناك: (الله) هو اسمُ الذاتِ الواجبِ الوجود، المستحقِّ لجميعِ المحامد. وأصلُ هذا الاسم: الإله، بالتعريف، وهو تعريفُ (إلاه)، الذي هو اسمُ جنسٍ للمعبود، مشتقٌّ من أَلَهَ بفتحِ اللام، بمعنى عبد، أو من أَلِهَ بكسرِ اللام، بمعنى تحيَّرَ أو سكنَ أو فزعَ أو ولع، مما يرجعُ إلى معنًى هو ملزومٌ للخضوعِ والتعظيم...

{الرَّحْمَنِ الرَّحِيم}: وصفانِ مشتقانِ من رَحِم... واسمُ الرحمةِ موضوعٌ في اللغةِ العربيةِ لرقةِ الخاطرِ وانعطافه...

ومما قالَ أيضًا: وبعدَ كونِ كلٍّ من صفتَي الرحمنِ الرحيمِ دالةً على المبالغةِ في اتصافهِ تعالى بالرحمة، فقد قالَ الجمهور: إن الرحمنَ أبلغُ من الرحيم، بناءً على أن زيادةَ المبنى تؤذنُ بزيادةِ المعنى، وإلى ذلك مالَ جمهورُ المحققين...

٧- {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ}.

ذكرَ في تفسيرِ الآيةِ السابقة، أن لفظةَ الصراطِ عربية، وأنها تعني الطريق.

سورة البقرة

١٢- {أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُون}.

ذكرَ في تفسيرِ الآيةِ السابقة، أن الإفسادَ في الأرضِ هو تصييرُ الأشياءِ الصالحةِ مضرَّةً...

٢٠- {إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.

أي: هو الفاعلُ لما يشاء، لا منازعَ له فيه. (الخازن).

٣٠- {قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ}.

قال: الإفسادُ تقدَّمَ في قولهِ تعالى: {أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ}.

وإنما فسَّرَهُ في الآيةِ التي قبلها، وأنه بمعنى تصييرِ الأشياءِ الصالحةِ مضرَّةً...

٣٣- {قَالَ يَاآدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ}.

{بِأَسْمَآئِهِمْ}: قالَ رحمَهُ الله: وفي إجرائهِ على صيغةِ ضمائرِ العقلاءِ ما قُرِّرَ في قوله: {ثُمَّ عَرَضَهُمْ} [الآية ٣٠].

ومما قالَهُ هناك: إعادةُ ضميرِ المذكرِ العاقلِ على المسمَّياتِ في قوله: {عَرَضَهُمْ} للتغليب؛ لأن أشرفَ المعروضاتِ ذواتُ العقلاءِ وصفاتُهم، على أن ورودَ مثلهِ بالألفاظِ التي أصلُها للعقلاءِ طريقةٌ عربية، نحوُ قولهِ تعالى: {إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} [سورة الإسراء: ٣٦]. والداعي إلى هذا أن يُعلَمَ ابتداءً أن المعروضَ غيرُ الأسماء، حتى لا يضلَّ فهمُ السامعِ قبلَ سماعِ قرينةِ {أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء} [الآية ٣٠].

وذكرَ قبلَهُ أن المعروضَ مدلولاتُ الأسماء... وفصَّلَ فيه.

{غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلأَرْضِ}: ما كان منهما وما يكون؛ لأنه قد قالَ لهم: {إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ}. (البغوي).

٣٥- {وَقُلْنَا يَاآدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ}.

ذكرَ نكتةً عند تفسيرِ مثيلتها في الآيةِ (١٩) من سورةِ الأعراف، وأشارَ إلى أنه فاتَهُ العلمُ بها في آيةِ سورةِ البقرة، قال: "فضُمَّا إليها أيضًا". فليراجعها هناك من شاء.

٣٦- {وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِين}.

أي: موضعُ قرارٍ على وجهها، أو في القبور. (روح البيان).

٣٨- {**فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**}.
{وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} على ما فاتهم من أمورِ الدنيا. (ابن كثير).

٣٩- {**وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**}.
لا يخرجون منها، ولا يموتون فيها. (البغوي).

٥٦- {**ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُون**}.
قالَ في تفسيرِ مثلها، في الآيةِ (٥٢) من السورة: رجاءً لحصولِ شكركم. وعدلَ عن لامِ التعليلِ إيماءً إلى أن شكرهم مع ذلك أمرٌ يتطرقهُ احتمالُ التخلف، فذكرُ حرفِ الرجاءِ دونَ حرف التعليلِ من بديعِ البلاغة...

٥٧- {**كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ**}.
كلوا من مشتهياتِ رزقنا الذي رزقناكموه. (الطبري).

٥٩- {**فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاء بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ**}.
الرجز: العذاب... و{يَفْسُقُونَ}: معناهُ يخرجون عن طاعةِ الله. (ابن عطية، باختصار).
ونقلَ كثيرٌ من المفسرين أن العذابَ كان طاعونًا، لكن قالَ ابنُ جبير: ثلج، هلكَ به منهم سبعون ألفاً. قالَ الآلوسي: فإن فُسِّرَ بالثلجِ كان كونهُ {مِّنَ ٱلسَّمَاء} ظاهراً، وإنْ بغيرهِ فهو إشارةٌ إلى الجهةِ التي يكونُ منها القضاء، أو مبالغةٌ في علوِّهِ بالقهرِ والاستيلاء. (روح المعاني).

٦٠- {**وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ**}.

الانفجار: الانسكاب، والانبجاس: الترشحُ والرشّ، فالرشُّ أول، ثم الانسكاب. {مِنْهُ} أي: من ذلك الحجر، {اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً}: ماءً عذبًا، على عددِ الأسباط، لكلِّ سبطٍ عين. وكان يضربهُ بعصاهُ إذا نزلَ فيتفجر، ويضربهُ إذا ارتحلَ فييبس. {قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ}، أي: كلُّ سبطٍ من الأسباطِ الاثني عشر، {مَّشْرَبَهُمْ} أي: عينَهم الخاصةَ بهم، أو موضعَ شربهم، لا يدخلُ سبطٌ على غيرهِ في شربه. والمشرب: المصدرُ والمكان. (روح البيان).

٦١- {**وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَىَ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىَ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُواْ مِصْراً فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُوْاْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُون**}.

{وَقِثَّآئِهَا}: شيءٌ يشبهُ الخيار.

{اهْبِطُواْ}: انحدروا وانزلوا.

{بِآيَاتِ اللَّهِ} الباهرة، التي هي المعجزاتُ الساطعةُ الظاهرةُ على يدي موسى عليه السلام، مما عدَّ أو لم يعدّ.

{يَعْتَدُون}: يتجاوزون أمري ويرتكبون محارمي. (روح البيان).

٦٢- {**مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً**}.

{وَعَمِلَ صَالِحاً} فأطاعَ الله. (الطبري).

{وَعَمِلَ صَالِحاً}: مرضيًّا عند الله. (روح البيان).

٦٥- {**فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِين**}.

معناه: مبعَدين أذلّاء صاغرين، كما يقالُ للكلبِ وللمطرود: اخسأ. (ابن عطية).

٦٦- {**وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِين**}.

للمؤمنين من أمةِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم، فلا يفعلون مثلَ فعلهم. (البغوي).

٦٩- {قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا}.

قالَ رحمَهُ الله في تفسيرها، في الآيةِ السابقة: معنى {ادْعُ لَنَا} يحتملُ أن يُرادَ منه الدعاء، الذي هو طلبٌ بخضوعٍ وحرصٍ على إجابةِ المطلوب، فيكونُ في الكلامِ رغبتُهم في حصولِ البيانِ لتحصيلِ المنفعةِ المرجوةِ من ذبحِ بقرةٍ مستوفيةٍ للصفاتِ المطلوبةِ في القرابين المختلفةِ المقاصد، ويحتملُ أنهم أرادوا مطلقَ السؤال، فعبروا عنه بالدعاءِ لأنه طلبٌ من الأدنى إلى الأعلى، ويحتملُ أنهم أرادوا من الدعاءِ النداءَ الجهير، بناءً على وهمهم أن الله بعيدُ المكان، فسائلهُ يجهرُ بصوته. واللام في قوله {لَنَا} لامُ الأجل، أي: ادعُ عنا، وجزمُ {يُبَيِّنْ} في جوابِ {ادْعُ} لتنزيلِ المسببِ منزلةَ السبب، أي: إنْ تَدْعهُ يسمعْ فيبيّن. (باختصار).

٧٠- {قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ}.

قالَ في تفسيرها، في الآيةِ (٦٨) من السورة: معنى {ادْعُ لَنَا} يحتملُ أن يُرادَ منه الدعاء، الذي هو طلبٌ بخضوعٍ وحرصٍ على إجابةِ المطلوب، فيكونُ في الكلامِ رغبتُهم في حصولِ البيانِ لتحصيلِ المنفعةِ المرجوةِ من ذبحِ بقرةٍ مستوفيةٍ للصفاتِ المطلوبةِ في القرابين المختلفةِ المقاصد، ويحتملُ أنهم أرادوا مطلقَ السؤال، فعبروا عنه بالدعاءِ لأنه طلبٌ من الأدنى إلى الأعلى، ويحتملُ أنهم أرادوا من الدعاءِ النداءَ الجهير، بناءً على وهمهم أن الله بعيدُ المكان، فسائلهُ يجهرُ بصوته. واللام في قوله {لَنَا} لامُ الأجل، أي: ادعُ عنا، وجزمُ {يُبَيِّنْ} في جوابِ {ادْعُ} لتنزيلِ المسببِ منزلةَ السبب، أي: إنْ تَدْعهُ يسمعْ فيبيّن. (باختصار).

٧٣- {كَذَلِكَ يُحْيِي اللّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون}.

يعني جلَّ ذكره: ويُريكمُ الله – أيها الكافرونَ والمكذِّبونَ بمحمَّدٍ صلى الله عليه وسلم وبما جاءَ به مِن عندِ اللهِ مِن آياتهِ – أعلامَهُ وحججَهُ الدالَّةَ على نبوَّته. (تفسير الطبري).

٨٠- {أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}.

بل تقولونَ على اللهِ ما لا تعلمونَ من الكذبِ والافتراءِ عليه. (ابن كثير).

٨٢- {**وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**}.

والذين آمنوا بالله ورسُوله، وعملوا الأعمالَ الصالحةَ الموافقةَ للشريعة، الخالصةَ لله، فإنَّهم مِن أهلِ الجنَّة، مخلَّدونَ فيها أبداً. (يُنظر الواضح في التفسير).

٨٣- {**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ**}.

{وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَائِيلَ} في التوراة، والميثاق: العهدُ الشديد، {لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ ٱللَّهَ} معناهُ أن ألا تعبدوا إلا الله، {وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا} أي: ووصَّيناهم بالوالدين إحساناً، برًّا بهما، وعطفاً عليهما، ونزولاً عند أمرهما، فيما لا يخالفُ أمرَ الله تعالى، {وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ} أي: وبذي القرابة، والقربى: مصدرٌ كالحُسنَى. {وَٱلْيَتَٰمَىٰ}: جمعُ يتيم، وهو الطفلُ الذي لا أبَ له، {وَٱلْمَسَٰكِينِ}، يعني الفقراء. (البغوي، باختصار).

٨٤- {**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ**}.

أي: واذكروا أيها اليهودُ وقتَ أخذنا إقرارَكم وعهدَكم في التوراة. (روح البيان).

٨٥- {**وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**}

أي: إن اللهَ بالمرصاد، لا يغفلُ عمّا تعملونَ من القبائح، التي من جملتِها هذا المنكر. (روح المعاني).

٨٦- {**أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآَخِرَةِ**}.

أخبرَ جلَّ ثناؤهُ أن هؤلاء الذين اشتروا رئاسةَ الحياةِ الدنيا على الضعفاءِ وأهلِ الجهلِ والغباءِ من أهلِ ملَّتهم، وابتاعوا المآكلَ الخسيسةَ الرديئةَ فيها بالإيمانِ الذي كان يكونُ لهم به في الآخرةِ لو كانوا أتَوا به مكانَ الكفرِ الخلودُ في الجنان.

وإنما وصفهم الله جلَّ ثناؤهُ بأنهم اشتروا الحياةَ الدنيا بالآخرة، لأنهم رضوا بالدنيا بكفرهم بالله فيها عوضًا من نعيمِ الآخرةِ الذي أعدَّهُ اللهُ للمؤمنين، فجعلَ حظوظَهم مِن نعيمِ الآخرةِ بكفرهم باللهِ ثمنًا لِما ابتاعوهُ به مِن خسيسِ الدنيا. (الطبري).

٩٢- {وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ}.

{وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ} أي: بالآياتِ الواضحاتِ والدلائلِ القاطعاتِ على أنه رسولُ الله، وأنه لا إله إلا الله. والآياتُ البيناتُ هي الطوفانُ والجرادُ والقمَّلُ والضفادعُ والدمُ والعصا واليد، وفرقُ البحر، وتظليلُهم بالغمام، والمنُّ والسلوى، والحجَر، وغيرُ ذلك من الآياتِ التي شاهدوها، {ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ} أي: معبوداً من دونِ الله، في زمانِ موسى وأيامه، وقوله: {مِنْ بَعْدِهِ} أي: من بعدِ ما ذهبَ عنكم إلى الطورِ لمناجاةِ الله عزَّ وجلّ، كما قالَ تعالى:{ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَّهُ خُوَارٌ } [سورة الأعراف: ١٤٨]، {وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ} أي: وأنتم ظالمون في هذا الصنيعِ الذي صنعتموهُ من عبادتِكم العجلَ، وأنتم تعلمون أنه لا إله إلا الله. (ابن كثير).

٩٣- {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ}.

يقولُ تعالى مذكّراً بني إسرائيلَ ما أخذَ عليهم من العهودِ والمواثيقِ بالإيمانِ به وحدَهُ لا شريكَ له، واتّباعِ رسله، وأخبرَ تعالَى أنه لمّا أخذَ عليهم الميثاق، رفعَ الجبلَ فوق رؤوسهم؛ ليقرُّوا بما عُوهِدوا عليه... (ابن كثير).

وينظرُ ما أطالَ فيه المؤلفُ من ذكرِ الطورِ وما قيلَ في رفعه، عند تفسيرِ الآيةِ (٦٣) من السورة، فله استنتاجٌ آخرُ فيه.

١٠١- {وَلَمَّا جَاءهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ}.

أي: من التوراة، من حيثُ إنه صلى الله عليه وسلم جاءَ على الوصفِ الذي ذُكرَ فيها، أو أخبرَ بأنها كلامُ الله تعالى المنزلُ على نبيّهِ موسى عليه السلام، أو صدَّقَ ما فيها من قواعدِ

التوحيدِ وأصولِ الدين، وأخبارِ الأممِ والمواعظِ والحِكم، أو أظهرَ ما سألوهُ عنه من غوامضها. وحملَ بعضُهم (ما) على العموم؛ لتشملَ جميعَ الكتبِ الإلهيةِ التي نزلتْ قبل. (روح المعاني).

١٠٤- {وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ}.

يعني بقولهِ "الأليم": الموجع. (الطبري).

١٠٥- {وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}.

وصفَ فضلَهُ بالعِظَم، فقال: فضلهُ عظيمٌ لأنه غيرُ مشبَّهٍ في عِظَمِ موقعهِ ممَّن أفضلَهُ عليه أفضالَ خلقه، ولا يقاربهُ في جلالةِ خطرهِ ولا يدانيه. (الطبري).

١٠٧- {وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ}.

وليسَ للمؤمنين وليٌّ يقوّيهِم ويَهديهم، ولا نصيرٌ يؤيّدُهم وينصرُهم إلاّ الله، فكونوا على حذرٍ من تشكيكِ أعدائكم، واحذَروا أضاليلَهُم وخُدَعَهُم. (الواضح).

١١١- {وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}

يقولُ اللهُ لنبيّهِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم: يا محمد، قلْ للزاعمينَ أن الجنةَ لا يدخلُها إلا مَن كان هودًا أو نصارَى دونَ غيرهم مِن سائرِ البشر: هاتوا برهانَكم على ما تزعمونَ مِن ذلكَ فنسلِّمَ لكم دعواكم، إنْ كنتُم في دعواكم مِن أنَّ الجنةَ لا يدخلُها إلا مَن كان هودًا أو نصارَى محقِّين.

والبرهان: هو البيانُ والحجَّةُ والبيّنة. (الطبري).

١١٢- {بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}.

ضـــمنَ لهم تعالَى على ذلك تحصـــيلَ الأجور، وآمنَهم ممّا يخافونَهُ من المحذور، فلا {خَوْفٌ عَلَيْهِمْ} فيما يستقبلونه، {وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} على ما مضَى ممّا يتركونه. (ابن كثير، باختصار).

١١٤- **{وَلَهُمْ فِي الْآَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيم}**.

ولهم على معصيتِهم وكفرهم بربِّهم وسعيهم في الأرضِ فساداً عذابُ جهنَّم. (الطبري).

١١٩- **{إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلاَ تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيم}**.

{بَشِـــيرًا} أي: مبشِّـــراً لأوليائي وأهلِ طاعتي بالثوابِ الكريم، {وَنَذِيرًا} أي: منذراً مخوِّفاً لأعدائي وأهلِ معصيتي بالعذابِ الأليم. (البغوي).

١٢٠- **{وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ}**.

... من بعدِ الذي جاءكَ من العلمِ بضلالتهم وكفرهم بربِّهم، ومن بعدِ الذي اقتصصتُ عليكَ من نبئهم في هذه السورة... (الطبري).

١٢٢- **{يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ}**.

فسَّـرَهُ في الآيةِ (٤٧) من السـورةِ نفسـها، فكان مما قال: ذكرُ النعمِ تمجيدٌ للمنعِم، وتكريمٌ للمنعَمِ عليه، وعظةٌ له ولمن يبلغهم خبرُ ذلك تبعثُ على الشـــكر. والنعمةُ هنا مرادٌ بها جميعُ النعم؛ لأنّه جنسٌ مضـــاف، فله حكمُ الجمع. {وَأَنِّي فَضَّـــلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} أي: واذكروا تفضـيلي إياكم على العالمين. وهذا التفضـيلُ نعمةٌ خاصـة، فعطفهُ على {نِعْمَتِيَ} عطفُ خاصٍّ على عام، وهو مبدأٌ لتفصـيلِ النعمِ وتعدادها... والآيةُ تشـيرُ إلى تفضـيلِ بني إسـرائيلَ المخاطَبين أو سـلفِهم على أممِ عصـرهم، لا على بعضِ الجماعاتِ الذين كانوا على دينٍ كامل... فلا يلزمُ تفضيلَ كلِّ فردٍ من بني إسرائيلَ على أفرادٍ من الأممِ بلغوا مرتبةً صالحةً أو نبوءة؛ لأن التفضيلَ في مثلِ هذا يرادُ به تفضيلُ المجموع...

١٢٣- {وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَـــيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ}.

{وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَـــيْئًا}: هذه الآيةُ ترهيبٌ من الله جلَّ ثناؤهُ للذين سلفتْ عظتهُ إياهم بما وعظَهم به في الآيةِ قبلها، يقولُ الله لهم: واتقوا يا معشرَ بني إسرائيلَ المبدِّلين كتابي وتنزيلي، المحرّفين تأويلَهُ عن وجهه، المكذِّبين برسولي محمدٍ صلى الله عليه وسلم، عذابَ يومٍ لا تقضي فيه نفسٌ عن نفسٍ شيئاً، ولا تُغني عنها غناءً، أن تهلكوا على ما أنتم عليه، من كفركم بي، وتكذيبكم رسولي، فتموتوا عليه.

{وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ}: ولا هم ينصرهم ناصرٌ من الله إذا انتقمَ منها بمعصيتها إياه. (الطبري).

١٢٦- {قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرِ}.

المخصـــوصُ بالذمّ محذوف، أي: بئسَ المرجعُ الذي يرجعُ إليه للإقامةِ فيه: النارُ أو عذابُها. (روح البيان).

١٢٧- {رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}.

أي: ويقولان: ربَّنا تقبَّلْ منّا بناءَنا، {إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّـــمِيعُ} لدعائنا، {ٱلْعَلِيمُ} بنيَّاتِنا. (البغوي).

١٢٨- {وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}.

{وَتُبْ عَلَيْنَا}: أما التوبةُ فأصلها الأوبةُ من مكروهٍ إلى محبوب، فتوبةُ العبدِ إلى ربه: أوبتهُ مما يكرههُ الله منه، بالندمِ عليه، والإقلاعِ عنه، والعزمِ على تركِ العودِ فيه. وتوبةُ الربِّ على عبده: عودهُ عليه بالعفوِ له عن جُرْمه، والصفحِ له عن عقوبةِ ذنبه، مغفرةً له منه، وتفضلاً عليه...

{إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}: إنكَ أنت العائدُ على عبادِكَ بالفضل، والمتفضِّلُ عليهم بالعفوِ والغفران، الرحيمُ بهم، المستنقذُ من تشاءُ منهم برحمتِكَ من هلكته، المنجي من تريدُ نجاتَهُ منهم برأفتِكَ من سخطك. (الطبري، باختصار).

١٢٩- {وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ}.

يعني القرآن. (البغوي).

١٣٣- {قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}.

{إِلَهًا وَاحِدًا}: بدلٌ من {إِلَهَ آبَائِكَ}، وفائدتهُ التصريحُ بالتوحيد، ودفعُ التوهمِ الناشئِ من تكررِ المضاف، أو نصبٌ على الاختصاص، كأنهُ قيل: نريدُ ونعني بإلهِ آبائك: إلهًا واحدًا. (روح البيان).

... أي: نُخلِصُ له العبادة، ونوحِّدُ له الربوبية، فلا نشركُ به شيئًا، ولا نتَّخذُ دونهُ ربًّا.

ويعني بقوله: {وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}: ونحن له خاضعونَ بالعبوديةِ والطاعة. (الطبري).

١٣٥- {قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}.

ذكرَ عند تفسيرِ الآيةِ (١٢٠) من السورة، أن الملة: الدينُ والشريعة. قال: وهي مجموعُ عقائدَ وأعمالٍ يلتزمُها طائفةٌ من الناسِ يتفقون عليها، وتكونُ جامعةً لهم كطريقةٍ يتبعونها، ويحتملُ أنها مشتقةٌ من (أملَ) الكتاب، فسمِّيتِ الشريعةُ ملَّةً لأن الرسولَ أو واضعَ الدينِ يعلِّمها للناسِ ويمللها عليهم، كما سمِّيتْ دينًا باعتبارِ قبولِ الأمةِ لها، وطاعتهم وانقيادهم.

١٣٦- {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}.

{وَالْأَسْبَاطِ}: هم ولدُ يعقوب... والسبطُ في بني إسرائيلَ بمنزلةِ القبيلةِ في ولدِ إسماعيل، فسمُّوا الأسباطَ لأنه كان من كلِّ واحدٍ منهم سبط. (ابن عطية).

{وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}: قالَ رحمهُ الله: القولُ فيه كالقولِ في نظيرهِ المتقدمِ آنفًا، عند قولهِ تعالى: {إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُون} [الآية ١٣٣]

وقد قالَ هناك: جملةٌ في موضعِ الحالِ من ضميرِ {نَعْبُدُ}، أو معطوفةٌ على جملةِ {نَعْبُدُ}، جيءَ بها اسميةً لإفادةِ ثباتِ الوصفِ لهم ودوامه، بعد أن أُفيدَ بالجملةِ الفعليةِ المعطوفِ عليها معنى التجددِ والاستمرار. اهـ.

١٣٨- {وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ}.

أي: موحِّدون، أو مطيعون متَّبِعون ملَّةَ إبراهيم، أو خاضعون مستكنّون في اتِّباعِ تلك الملَّة. (روح المعاني).

١٤٠- {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}.

{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ}: يعني: فإنْ زَعَمَتْ - يا محمدُ - اليهودُ والنصارى، الذين قالوا لكَ ولأصحابِك: كونوا هوداً أو نصارى، أن إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطَ كانوا هوداً أو نصارى، فمن أظلمُ منهم؟ يقول: وأيُّ امرىءٍ أظلمُ منهم، وقد كتموا شهادةً عندهم من الله بأن إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطَ كانوا مسلمين، فكتموا ذلك ونحلوهم اليهوديةَ والنصرانية...

{وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}: يعني تعالى ذكرهُ بذلك: وقلْ لهؤلاء اليهودِ والنصارى الذين يحاجُّونكَ يا محمد: {وَما اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} من كتمانكم الحقَّ فيما ألزمَكم في كتابهِ بيانَهُ للناس، من أمرِ إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطِ في أمرِ الإسلام، وأنهم كانوا مسلمين، وأن الحنيفيةَ المسلمةَ دينُ الله، الذي على جميعِ الخلقِ الدينونةُ به، دونَ اليهوديةِ والنصرانيةِ وغيرهما من الملل، ولا هو ساهٍ عن عقابكم على فعلكم ذلك، بل هو مُحْصٍ عليكم، حتى يجازيكم به من الجزاءِ ما أنتم له أهلٌ في عاجلِ الدنيا وآجلِ الآخرة. فجازاهم عاجلاً في الدنيا بقتلِ بعضهم وإجلائهِ عن وطنهِ وداره، وهو مجازيهم في الآخرةِ العذابَ المهين. (الطبري).

{وَمَنْ أَظْلَمُ}: لفظهُ الاستفهام، والمعنى: لا أحدَ أظلمُ منهم، وإياهم أرادَ تعالى بكتمانِ الشهادة.

والغافل: الذي لا يفطنُ للأمورِ إهمالاً منه، مأخوذٌ من الأرضِ الغُفْل، وهي التي لا مَعْلَمَ بها. (ابن عطية).

١٤١- {تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.

ذكرَ الحكمةَ من تكرارها، وقد فسَّرها في الآيةِ (١٣٤) من السورة، وموجزُ كلامهِ هناك: لإفادةِ أن الجزاءَ بالأعمالِ لا بالاتكال. والإشارةُ بـ (تلك) عائدةٌ إلى إبراهيمَ وبنيه، باعتبارِ أنهم جماعة. ومعنى {خَلَتْ}: مضت. والخبرُ هنا كنايةٌ عن عدمِ انتفاعِ غيرهم بأعمالهم الصالحة، وإلا فإن كونها خلتْ مما لا يحتاجُ إلى الإخبارِ به. والخطابُ موجهٌ إلى اليهود، أي: لا ينفعُكم صلاحُ آبائكم إذا كنتم غيرَ متَّبِعين طريقتَهم. والمرادُ بـ {مَا كَسَبَتْ} وبـ {مَا كَسَبْتُمْ} ثوابُ الأعمال. وقوله: {وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ}: إنما نفَى السؤالَ عن العملِ لأنه أقلُّ أنواعِ المؤاخذةِ بالجريمة، فإن المرءَ يؤخَذُ بجريمتهِ فيُسألُ عنها ويعاقَب، وقد يُسألُ المرءُ عن جريمةِ غيرهِ ولا يعاقَب، كما يلامُ على القومِ فعلُ بعضِهم ما لا يليق، وهو شائعٌ عند العرب. ونفيُ أصلِ السؤال أبلغ وأشمل.

الجزء الثاني

١٤٣- {وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ}.

أي: هداهم الله. (البغوي).

١٤٧- {الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِين}.

في التعرضِ لوصفِ الربوبيةِ مع الإضافةِ من إظهارِ اللطفِ به صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى (روح المعاني).

١٤٨- {إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.

يعني أن اللهَ تعالى على جمعِكم بعدَ مماتِكم مِن قبوركم مِن حيثُ كنتم، وعلى غيرِ ذلكَ ممّا يشاءُ قدير، فبادروا خروجَ أنفسِكم بالصالحاتِ مِن الأعمالِ قبلَ مماتِكم، ليومِ بعثِكم وحشرِكم. (الطبري).

١٤٩- {وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ}.

{وإِنَّهُ} أي: الاستقبال، أو الصرف، أو التولية... {لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ} أي: الثابتُ الموافقُ للحكمة. (روح المعاني، باختصار).

١٥٠- {وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي}.

{إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ}: فإنهم مشركو العربِ من قريش، فيما تأوَّلَهُ أهلُ التأويل... {فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي} يعني: فلا تخشَوا هؤلاء الذين وصفتُ لكم أمرهم من الظَّلَمةِ في حجَّتهم وجدالهم، وقولهم ما يقولون من أن محمداً صلى الله عليه وسلم قد رجعَ إلى قبلتنا وسيرجعُ إلى ديننا، أو أن يقدروا لكم على ضرٍّ في دينكم، أو صدِّكم عما هداكم الله تعالى ذكرُهُ له من الحق، ولكن اخشوني، فخافوا عقابي في خلافكم أمري إن خالفتموه. وذلك من الله جلَّ ثناؤهُ

تقدُّمٌ إلى عبادهِ المؤمنين بالحضِّ على لزومِ قبلتهم والصلاةِ إليها، وبالنهي عن التوجهِ إلى غيرها. يقولُ جلَّ ثناؤه: واخشوني أيها المؤمنون في تركِ طاعتي فيما أمرتُكم به، من الصلاةِ شطرَ المسجدِ الحرام. (الطبري، باختصار).

١٥٢- {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُون}.

معنى الشكر: الثناءُ على الرجلِ بأفعالهِ المحمودة، وأن معنى الكفر: تغطيةُ الشيء... (الطبري).

١٥٥- {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ}.

أي: وذهابِ ثمراتِ الكرومِ والأشجار بالبردِ والسمومِ والريحِ والجرادِ وغيرها من الآفات. وقد يكونُ نقصُ الثمراتِ بتركِ عمارةِ الضياعِ للاشتغالِ بالجهاد. (روح البيان).

١٦٠- {وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}.

{وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ}: الرجَّاعُ بقلوبِ عبادي المنصـــرفةِ عني إليّ، {ٱلرَّحِيمُ} بهم بعد إقبالهم عليّ. (البغوي).

١٦٤- {وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ}.

أي: الغيمِ المذلَّل، المنقاد، الجاري على ما أجراهُ الله تعالى عليه. وهو اســـمُ جنس، واحدهُ سحابة. وسمِّيَ سحابًا لأنه ينسحبُ في الجوّ، أي: يسيرُ في سرعةٍ كأنه يُسحَب، أي: يُجَرّ. (روح البيان).

١٦٥- {وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ}.

... وأيقنتُم أني شديدٌ عذابي لمن كفرَ بي وادَّعَى معي إلهاً غيري. (الطبري).

١٧٠- {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا}.

كتابَ الله الذي أنزلَهُ، فاعملوا بتحليلِ ما أحلَّ الله، وتحريمِ ما حرَّمَ الله في القرآن، ولا تتبعوا خطواتِ الشيطان. (روح البيان).

١٧١- {**صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ**}.

فسَّرها في الآيةِ (١٨) من السورةِ بقوله: الصمُّ والبكمُ والعميُ جمعُ أصمَّ وأعمَى وأبكم، وهم من اتصفَ بالصممِ والبكمِ والعمي، فالصممُ انعدامُ إحساسِ السمعِ عمن مِن شأنهِ أن يكونَ سميعاً، والبكمُ انعدامُ النطقِ عمن مِن شأنهِ النطق، والعميُ انعدامُ البصرِ عمن مِن شأنهِ الإبصار.

١٧٢- {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ**}.

ذكرَ أنه تقدمَ الكلامُ على الطيبات قريبًا. ويعني في الآيةِ (١٦٨) من السورة. {يَاأَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً}، ومما قالَهُ هناك: المرادُ بالطيبِ هنا ما تستطيبهُ النفوسُ بالإدراكِ المستقيمِ السليمِ من الشذوذ، وهي النفوسُ التي تشتهي الملائمَ الكاملَ أو الراجح، بحيث لا يعودُ تناولهُ بضرٍّ جثمانيٍّ أو روحانيّ.

١٧٤- {**وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**}.

يعني موجع. (الطبري).

١٨١- {**فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ**}.

ذكرَ في تفسيرِ الآيةِ التالية، أن الإثمَ هو المعصية.

١٨٣- {**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ**}.

ذكرَ أن القولَ في معنى {كُتِبَ عَلَيْكُمُ} ودلالتهِ على الوجوب، تقدَّمَ عند قولهِ تعالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ...}. [الآية ١٨٠].

قلت: وهناك أحالَ إلى الآيةِ (السابقة)، وهي في الآيةِ (١٧٨)، وقد قالَ هناك: معنى {كُتِبَ عَلَيْكُمُ} أنه حقٌّ لازمٌ للأمة، لا محيدَ عن الأخذِ به.

١٨٤- {وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ}.

ذكرَ في الآيةِ (١٧٧) من السورة، أن المسكينَ هو الفقيرُ الذي أذلَّهُ الفقر، قال: وقد اتفقَ أئمةُ اللغةِ أن المسكينَ غيرُ الفقير، فقيل: هو أقلُّ فقراً من الفقير، وقيل: هو أشدُّ فقراً، وهذا قولُ الجمهور، وقد يطلقُ أحدُهما في موضعِ الآخَرِ إذا لم يجتمعا...

١٨٥- {وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ}.

قالَ الإمامُ البغويُّ عند تفسيرِ هذه الآية: العددُ والعِدَّةُ واحد.

١٨٧- {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُون}.

الآيات: دلائلُ الدينِ ونصوصُ الأحكام. (روح البيان).

١٨٨- {لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ}.

أي: طائفةً وبعضًا. (روح البيان).

١٨٩- {وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى}.

أشارَ إلى الحديثِ عن "البِرّ"، في الآيةِ (١٧٧) من السورة، وأقتصرُ على نقلِ ما ذكرهُ من معناه، فقال: البِرّ: سعةُ الإحسان، وشدةُ المرضاة، والخيرُ الكاملُ الشامل، ولذلك توصَفُ به الأفعالُ القويةُ الإحسان، فيقال: برُّ الوالدين، وبرُّ الحج، وقالَ تعالى: {لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} [سورة آل عمران: ٩٢]. والمرادُ به هنا برُّ العبدِ ربَّهُ بحسنِ المعاملةِ في تلقي شرائعهِ وأوامره.

١٩٣- {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ}.

ذكرَ أن معناها كما سبق في الآيةِ (١٩١) من السورة، وقد قالَ هناك: إشارةٌ إلى ما لقيَهُ المؤمنون في مكةَ من الأذى بالشتمِ والضربِ والسخرية، إلى أن كان آخرَهُ الإخراجُ من الديارِ والأموال.

١٩٤- **{وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ}**.

أمرٌ لهم بطاعةِ الله وتقواه، وإخبارهُ بأنه تعالى مع الذين اتقَوا بالنصرِ والتأييدِ في الدنيا والآخرة. (ابن كثير).

١٩٦- **{فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}**.

{فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ} أي: صيامِ ثلاثةِ أيام، {أَوْ صَدَقَةٍ} على ستةِ مساكين، لكلِّ مسكينٍ نصفُ صاعٍ من بُرّ. (روح البيان).

{أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}: يعني لمن خالفَ أمره، وتهاونَ بحدوده، وارتكبَ مناهيه. (الخازن).

١٩٧- **{فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ}**.

الفسوق: الخروجُ عن حدودِ الشرع. وقيل: هو الذبحُ للأصنام. وقيل: التنابزُ بالألقاب. وقيل: السباب. والظاهرُ أنه لا يختصُّ بمعصيةٍ معينة، وإنما خصصَهُ من خصصَهُ بما ذُكِرَ باعتبارِ أنه قد أُطلِقَ على ذلك الفردِ اسمُ الفسوق، كما قالَ سبحانهُ في الذبحِ للأصنام: {أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِ} [سورة الأنعام: ١٤٥]. قالَ في التنابز: {بِئْسَ ٱلاسْمُ ٱلْفُسُوقُ} [سورة الحجرات: ١١]. وقالَ صلى الله عليه وسلم في السباب: "سبابُ المسلمِ فُسوق". ولا يخفى على عارفٍ أن إطلاقَ اسمِ الفسوقِ على فردٍ من أفرادِ المعاصي لا يوجبُ اختصاصَهُ به. (فتح القدير).

١٩٩- {ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}.

قالَ رحمهُ الله عند تفسيرِ الآيةِ السابقة: الإفاضةُ هنا الخروجُ بسرعة، وأصلها من فاضَ الماءُ إذا كثر... وسمَّوا الخروجَ من عرفةَ إفاضـــةً لأنهم يخرجون في وقتٍ واحدٍ وهم عددٌ كثير، فتكونُ لخروجهم شدَّة...اهـ.

{إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}: واســـتغفِروا اللهَ لذنوبكم، فإنه غفورٌ لها حينئذٍ، تفضُّـــلاً منه عليكم، رحيمٌ بكم. (الطبري).

٢٠١- {رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً}.

جمعتْ هذه الدعوةُ كلَّ خيرٍ في الدنيا، وصـرفتْ كلَّ شـرّ، فإن الحسـنةَ في الدنيا تشـملُ كلَّ مطلوبٍ دنيوي، من عافية، ودارٍ رحبة، وزوجةٍ حسنة، ورزقٍ واسع، وعلمٍ نافع، وعملٍ صالح، ومركبٍ هني، وثناءٍ جميل، إلى غيرِ ذلك مما اشتملتْ عليه عباراتُ المفسِّرين، ولا منافاةَ بينها، فإنها كلَّها مندرجةٌ في الحســـنةِ في الدنيا، وأما الحســـنةُ في الآخرة، فأعلى ذلك دخولُ الجنة، وتوابعهُ، من الأمنِ من الفزعِ الأكبرِ في العرصـــات، وتيســـيرِ الحســـاب، وغيرِ ذلك من أمورِ الآخرةِ الصالحة. (ابن كثير).

٢٠٣- {وَاذْكُرُواْ اللّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُون}.

{وَاذْكُرُواْ اللّهَ}: اذكروا الله بالتوحيدِ والتعظيم. (الطبري).

وقالَ عكرمة: يعني التكبيرَ في أيامِ التشـــريقِ بعد الصـــلواتِ المكتوبات: الله أكبر، الله أكبر. (ابن كثير).

{وَاتَّقُواْ}: ذكرَ في الآيةِ (١٨٣) من السورة، أن التقوى الشرعيةَ هي اتقاءُ المعاصي.

٢٠٦- {وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ}.

أي: أخذتْهُ العزَّةُ من أجلِ الإثمِ الذي في قلبه، وهو الكفر. (النسفي).

٢١٤- {أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ القولُ في السرّاءِ والضرّاءِ عند قولهِ تعالى: {وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء} [الآية ١٧٧]، وقد قالَ هناك: البأساءُ مشتقةٌ من البُؤْس، وهو سوءُ الحالة، من فقرٍ ونحوهِ من المكروه، قالَ الراغب: وقد غلبَ في الفقر، ومنه: {الْبَائِسَ الْفَقِيرَ} [سورة الحج: ٢٨]. فالبأساء: الشدةُ في المال، والضرّاء: شدةُ الحالِ على الإنسان، مشتقةٌ من الضُّرّ، ويقابلها السَّرَّاء، وهي ما يَسُرُّ الإنسانَ من أحواله...

٢١٥- {قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ}.

قالَ رحمَهُ الله: تقدَّمَ بيانهم في قولهِ تعالى: {وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ} [الآية ١٧٧ من السورة]، وكان ملخصُ ما قالَ هناك:

ذوو القربى، أي: أصحابُ قرابةِ المعطي، أمرَ المرءَ بالإحسانِ إليهم لأن مواساتهم تكسبهم محبَّتهم إياهُ والتئامهم. ثم ذكرَ اليتامى، وهم مظنةُ الضعف، لظهورِ أن المرادَ اليتيمُ المحتاجُ حاجةً دون الفقر، وَإنما هو فاقدُ ما كان ينيلهُ أبوهُ من رفاهيةِ عَيش، فإيتاؤهم المالَ يجبرُ صدعَ حياتهم. وذكرَ المسكين، وهو الفقيرُ الذي أذلَّهُ الفقر، قال: وقد اتفقَ أئمةُ اللغةِ أن المسكينَ غيرُ الفقير، فقيل: هو أقلُّ فقراً من الفقير، وقيل: هو أشدُّ فقراً، وهذا قولُ الجمهور، وقد يطلقُ أحدُهما في موضعِ الآخَرِ إذا لم يجتمعا. وذكرَ ابنَ السبيل، وهو الغريب، أعني الضيفَ في البوادي، إذ لم يكنْ في القبائلِ نُزلٌ أو خاناتٌ أو فنادق، ولم يكنِ السائرُ يستصحبُ معه المال، وإنما يحملُ زادَ يومه، ولذلك كان حقُّ الضيافةِ فرضاً على المسلمين، أي: في البوادي ونحوها.

٢١٨- {وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}.

واللهُ ساترُ ذنوبِ عبادهِ بعفوهِ عنها، متفضِّلٌ عليهم بالرحمة. (الطبري).

٢١٩- {كَذَلِكَ يُبيّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُون}.

آياتي وحُجَجي. (الطبري).

٢٢١- {وَيُبَيّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}.

... لتتفكروا في وعدي ووعيدي، وثوابي وعقابي، فتختاروا طاعتي التي تنالون بها ثوابي في الدارِ الآخرة، والفوزَ بنعيمِ الأبد، على القليلِ من اللذَّاتِ واليسيرِ من الشهوات، بركوبِ معصيتي في الدنيا الفانية، التي من ركبَها كان معادهُ إليّ، ومصيرهُ إلى ما لا قِبَلَ له به من عقابي وعذابي (الطبري).

٢٣١- {وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ}.

قالَ رحمهُ الله في تفسير: {فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ} في الآيةِ (٢٢٩) من السورة: المعروفُ هنا هو ما عرفَهُ الناسُ في معاملاتهم، من الحقوقِ التي قررها الإسلام، أو قررتها العاداتُ التي لا تنافي أحكامَ الإسلام، وهو يناسبُ (الإمساك)؛ لأنه يشتملُ على أحكامِ العصمةِ كلِّها، من إحسانِ معاشرةٍ وغيرِ ذلك، فهو أعمُّ من الإحسان. وأما (التسريح) فهو فراق، ومعروفهُ منحصرٌ في الإحسانِ إلى المفارقةِ بالقولِ الحسن، والبذلِ بالمتعة، كما قالَ تعالى: {فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلا} [سورة الأحزاب: ٤٩]..

٢٣٣- {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ تفسيرهُ آنفًا. وقد قالَ في مثله، في الآيةِ (١١٠) من السورة: البصير: العليم، كما تقدَّم، وهو كنايةٌ عن عدمِ إضاعةِ جزاءِ المحسنِ والمسيء؛ لأن العليمَ القديرَ إذا علمَ شيئاً فهو يرتبُ عليه ما يناسبه، إذ لا يذهلهُ جهل، ولا يعوزهُ عجز، وفي هذا وعدٌ لهم يتضمنُ وعيداً لغيرهم؛ لأنه إذا كان بصيراً بما يعملُ المسلمون، كان بصيراً بما يعملُ غيرهم.

٢٣٤- {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِير}.

{يَتَرَبَّصْنَ}: قالَ في معناها، في الآيةِ (٢٢٨) من السورة: يتلبَّثنَ وينتظرن.
{وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِير}: واللهُ بما تعملونَ أيها الأولياء، في أمرِ مَن أنتم وليُّهُ مِن نسائكم، مِن عضلهنَّ وإنكاحِهنّ ممَّن أردنَ نكاحَهُ بالمعروف، ولغيرِ ذلكَ مِن أموركم وأمورهم، خبير، يعني ذو خبرةٍ وعلم، لا يخفَى عليه منهُ شيء. (الطبري).

٢٣٦- {**وَمَتِّعُوهُنَّ**}.
أي: أعطوهنَّ شيئاً يكونُ متاعاً لهنّ. (فتح القدير).
أي: أعطوهنَّ ما يتبلَّغن وينتفعن به. والحكمةُ في إيجابِ المتعة: جبرٌ لما أوحشها الزوجُ بالطلاق.. (روح البيان).

٢٣٧- {**وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً**}.
{وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ} أي: قبلَ الجماع، {وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً} أي: أوجبتُم لهنَّ شيئاً التزمتم به، وهو المهر. (زاد المسير).

٢٣٩- {**فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ**}.
... كما ذكَّركم بتعليمهِ إياكم، من أحكامه، وحلاله، وحرامه، وأخبارِ مَن قبلكم من الأممِ السالفة، والأنباءِ الحادثةِ بعدكم، في عاجلِ الدنيا وآجلِ الآخرة، التي جهلَها غيركم، وبصَّركم من ذلك وغيره، إنعامًا منه عليكم بذلك، فعلَّمكم منه ما لم تكونوا من قبلِ تعليمهِ إياكم تعلمون. (الطبري).

٢٤٠- {**وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**}.
أي: واللهُ عزيزٌ في انتقامهِ ممَّن خالفَ أمرَهُ ونهيه، وتعدَّى حدودَهُ مِن الرجالِ والنساء... (الطبري).

٢٤١- {**وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِين**}.

{مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ}: يعني بذلك ما تستمتعُ به من ثيابٍ وكسوةٍ ونفقةٍ أو خادم، وغيرِ ذلك مما يستمتعُ به.
{الْمُتَّقِين}: هم الذين اتقَوا الله في أمرِهِ ونهيهِ وحدوده، فقاموا بها على ما كلَّفهم القيامَ به خشيةً منهم له، ووجلًا منهم من عقابه. (الطبري).

٢٤٢- {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}.
أي: تفهمونَ وتتدبَّرون. (ابن كثير).

٢٤٤- {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}.
يعني تعالى ذكره بذلك: {وَقَاتِلُواْ} أيها المؤمنون {فِي سَبِيلِ اللَّهِ} يعني في دينهِ الذي هداكم له، لا في طاعةِ الشيطان، أعداءِ دينِكم، الصادِّين عن سبيلِ ربِّكم، ولا تجبنوا عن لقائهم، ولا تقعدوا عن حربهم، فإن بيدي حياتَكم وموتَكم، ولا يمنعنَّ أحدَكم من لقائهم وقتالهم حذرُ الموتِ وخوفُ المنيَّةِ على نفسهِ بقتالهم. (الطبري، باختصار).

٢٤٥- {مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً}.
عِدَةٌ من الله تعالى ذِكرهُ مُقرضَ ومُنفقَ مالهِ في سبيلِ الله، مِن إضعافِ الجزاءِ له على قرضهِ ونفقتهِ ما لا حدَّ له ولا نهاية. (الطبري).

٢٤٦- {أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُواْ قَالُواْ وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِين}.
{نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ}: وذلك حين ظهرتِ العمالقة، قومُ جالوت، على كثيرٍ من أرضهم. (محاسن التأويل).
{كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ}: فلمّا فُرِضَ عليهم قتالُ عدوّهم والجهادُ في سبيله. (الطبري).

{نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ}: وأيُّ شيءٍ يمنعُنا أن نقاتلَ في سبيلِ الله عدوَّنا وعدوَّ الله؟
{تَوَلَّوْاْ} أي: أعرضوا وتخلَّفوا عن الجهاد، وضيَّعوا أمر الله، ولكن لا في ابتداءِ الأمر، بل بعد مشاهدةِ كثرةِ العدوِّ وشوكته. وإنما ذكرَ الله هاهنا مآلَ أمرهم إجمالًا إظهارًا لما بين قولهم وفعلهم من التنافي والتباين، {إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ}، وهم الذين عبروا النهرَ مع طالوتَ واقتصروا على الغرفة. (روح البيان).

٢٤٧- **{قَالَ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيم}**.
{اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ}: أي: اختاره.
{مُلْكَهُ}: لما أنه مالكُ الملكِ والملكوت، فعّالٌ لما يريد، فله أن يؤتيَهُ من يشاءُ من عباده.
{وَاللهُ وَاسِعٌ}: يوسِّعُ على الفقيرِ ويُغنيه، {عَلِيم} بمن يَليقُ بالملكِ ممن لا يَليق به. (روح البيان).

٢٤٨- **{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}**.
أي: باللهِ وباليومِ الآخِر. (ابن كثير).

٢٤٩- **{كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ}**.
إنَّ جماعةً قليلةً، مؤمنةً في عقيدتِها وعزمِها وتوكُّلِها، تستمدُّ قوَّتَها من اللهِ ووعدهِ بالنَّصرِ والجزاءِ، ستَغلِبُ فئةً كبيرةً عدوَّةً لا تعتمدُ سِوى على قوَّتِها الظاهرة، بإذنِ اللهِ وتيسيرِه، فلا تُغني كثرتُهم مع خِذلانِ اللهِ لهم، ولا تَضرُّ قلَّةُ الفئةِ المؤمنةِ مع تأييدهِ ونصرهِ لهم.

٢٥٠- **{وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُواْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}**.
{وَلَمَّا بَرَزُواْ} أي: ظهرَ طالوتُ ومن معه وصاروا في بَرازٍ من الأرض، وهو ما انكشفَ منها واستوى، {لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ} أي: لمحاربتهم وقتالهم.

{وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِين} أي: أعِنّا عليهم بقهرهم وهزمهم. (روح المعاني).

٢٥١- {**فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاء**}.

{بِإِذْنِ اللّهِ} أي: بنصرِهِ وتأييدِهِ إجابةً لدعائهم.

{وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاء}: أي: مما يشاءُ الله تعليمَهُ إياه، من صنعةِ الدروعِ بإلانةِ الحديد، وكان يصنعها ويبيعها، وكان لا يأكلُ إلا من عملِ يده، ومنطقِ الطير، وتسبيحِ الجبال، وكلامِ الحُكلِ والنمل، والصوتِ الطيب، والألحانِ الطيبة، فلم يعطِ الله أحدًا مثلَ صوته... (روح البيان).

والأحْكَل: الأعجمُ من الطيورِ والبهائم.

٢٥٢- {**تِلْكَ آيَاتُ اللّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ**}.

قصصناها عليكَ من أمرِ الذين ذكرناهم {بِالْحَقِّ} أي: بالواقعِ الذي كان عليه الأمر، المطابقِ لما بأيدي أهلِ الكتاب، من الحقِّ الذي يعلمهُ علماءُ بني إسرائيل. (ابن كثير).

الجزء الثالث

٢٥٥- {اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ عند قولهِ تعالى: {وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلا هُوَ} [الآية ١٦٣ من السورة].

ومما قالَهُ هناك: أفادتْ جملةُ {لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ} التوحيد؛ لأنها نفتْ حقيقةَ الألوهيةِ عن غيرِ الله تعالى... والتقدير: لا إلهَ موجودٌ إلاّ هو.

٢٥٦- {وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}.

والله سميعٌ إيمانَ المؤمنِ بالله وحده، الكافرِ بالطاغوت، عند إقرارِهِ بوحدانيةِ الله وتبرُّئِهِ من الأندادِ والأوثانِ التي تُعبَدُ من دونِ الله.

عليمٌ بما عزمَ عليه من توحيدِ الله وإخلاصِ ربوبيتهِ قلبَهُ، وما انطوَى عليه – من البراءة من الآلهةِ والأصنامِ والطواغيت – ضميرهُ، وبغيرِ ذلك مما أخفتْهُ نفسُ كلِّ أحدٍ مِن خَلقه، لا ينكتمُ عنه سرٌّ ولا يخفَى عليه أمر، حتى يجازيَ كلاً يومَ القيامةِ بما نطقَ به لسانهُ وأضمرتْهُ نفسه، إنْ خيراً فخيراً، وإنْ شرًّا فشرًّا. (الطبري).

٢٥٧- {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}.

{الطَّاغُوتُ}: قالَ في (الطاغوت) في الآيةِ السابقة، ما ملخصه: الطاغوت: الأوثانُ والأصنام، والمسلمون يسمُّون الصَّنم: الطاغية، ولا أحسبهُ ألاّ من مصطلحاتِ القرآن. وهو مشتقٌّ من الطغيان، وهو الارتفاعُ والغلوُّ في الكِبر، وهو مذمومٌ ومكروه. وجُعِلَ علَماً على الكفر، وعلى الأصنام، ويطلقُ على الواحدِ والجمعِ والمذكرِ والمؤنث، كشأنِ المصادر. اهـ.

{أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}: حكمَ عليهم بالخلودِ في النارِ لكفرهم. (ابن عطية).

٢٥٨- {قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ}.

الحجةُ أن الله {يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ} تحريكًا قسريًّا حسبما تقتضيهِ مشيئته، والباءُ للتعدية، {فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ} تسييرًا طبيعيًّا، فإنه أهون، إن كنتَ قادرًا على مثلِ مقدوراتهِ تعالى. (روح البيان).

٢٥٩- **{قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير}.**

{كَمْ لَبِثْتَ}: قالَ الله له: كم قدرُ الزمانِ الذي لبثتَ ميتاً قبل أن أبعثكَ من مماتِكَ حيًّا؟ (الطبري).

أي: كم مكثت؟

{ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا}: ثم كسا العظامَ لحماً ودماً.

{فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ} ذلك عيانًا. (البغوي)

{أَنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ} من الأشياء، التي من جملتها ما شاهدَهُ في نفسهِ وفي غيرهِ من تعاجيبِ الآثار، {قَدِير}: لا يستعصي عليه أمرٌ من الأمور. (روح البيان).

٢٦٠- **{ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيم}.**

ثم أمرَهُ الله عزَّ وجلَّ أن يدعوَهنَّ، فدعاهنَّ كما أمرَهُ الله عزَّ وجلّ، فجعلَ ينظرُ إلى الريشِ يطيرُ إلى الريش، والدمِ إلى الدم، واللحمِ إلى اللحم، والأجزاءِ من كلِّ طائرٍ يتصلُ بعضُها إلى بعض، حتى قامَ كلُّ طائرٍ على حِدَته، وأتينَهُ يمشين سعياً؛ ليكونَ أبلغَ له في الرؤيةِ التي سألها. وجعلَ كلُّ طائرٍ يجيءُ ليأخذَ رأسَهُ الذي في يدِ إبراهيمَ عليه السلام، فإذا قدَّمَ له غيرَ رأسهِ يأباه، فإذا قدَّمَ إليه رأسَهُ تركبَ مع بقيةِ جسدهِ بحولِ الله وقوَّته، ولهذا قال: {وَاعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيم} أي: عزيزٌ لا يَغلبهُ شيء، ولا يمتنعُ منه شيء، وما شاءَ كان بلا ممانع؛ لأنه العظيمُ القاهرُ لكلِّ شيء، حكيمٌ في أقوالهِ وأفعاله، وشرعهِ وقدَره. (ابن كثير).

٢٦١- **{وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيم}.**

{وَاللهُ وَاسِعٌ} أن يزيدَ من يشاءُ من خَلقهِ المنفقين في سبيله، على أضعافِ السبعمائةِ التي وعدَهُ أن يزيده، {عَلِيمٌ} مَن يستحقُّ منهم الزيادة. (الطبري).

٢٦٢- {**الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُواْ مَنًّا وَلاَ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ**}.

{الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ}: يعني تعالى ذكرهُ بذلك: المعطي مالَهُ المجاهدين في سبيلِ الله معونةً لهم على جهادِ أعداءِ الله. يقولُ تعالى ذكره: الذين يُعينون المجاهدين في سبيلِ الله بالإنفاقِ عليهم، وفي حمولاتهم، وغيرِ ذلك من مؤنهم.

{لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ}: لهم ثوابهم وجزاؤهم على نفقتهم التي أنفقوها في سبيلِ الله، ثم لم يُتبِعونها منًّا ولا أذى. (الطبري).

٢٦٤- {**لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**}.

{بِالْمَنِّ وَالْأَذَى}: ذكرَ في الآيةِ السابقة أن المنَّ أصلهُ الإنعامُ والفضل، يقال: مَنَّ عليه مَنًّا، ثم أُطلِقَ على عدِّ الإنعامِ على المنعَمِ عليه، ومنه قولهُ تعالى: {وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ} [سورة المدثر: ٦]، وهو إذا ذُكِرَ بعد الصدقةِ والعطاءِ تعيَّنَ للمعنى الثاني. وإنّما يكونُ المنُّ في الإنفاقِ في سبيلِ الله بالتطاولِ على المسلمين، والرياءِ بالإنفاق، وبالتطاولِ على المجاهدين الذين يُجهِّزهم أو يَحْملهم...

وقالَ في الأذى: هو أن يؤذيَ المنفِقُ مَن أنفقَ عليه بإساءةٍ في القولِ أو في الفعل.

{كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا}: الصفوان: الحجرُ الكبيرُ الأملس. والوابل: المطرُ الشديد، والصلد: الأجردُ النقيُّ من الترابِ الذي كان عليه. (فتح القدير، باختصار).

٢٦٥- {**وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**}.

أي: لا يخفَى عليه مِن أعمالِ عبادهِ شيء. (ابن كثير).

٢٦٦- {**أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاء فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُون**}.

{جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ}: الجنةُ تطلقُ على الأشجارِ الملتفَّةِ المتكاثفة، وهو الأنسبُ بقولهِ تعالى: {تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ}، إذ على كونها بمعنى الأرضِ المشتملةِ على الأشجارِ الملتفَّة، لا بدَّ من تقديرٍ مضاف، أي: من تحتِ أشجارها. {لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ} أي: له رزقٌ من كلِّ الثمرات. وليس المرادُ بالثمراتِ العموم، بل إنما هو التكثير. والنخيلُ والأعنابُ لما كانا أكرمَ الشجرِ وأكثرها نفعًا خصَّهما بالذكر، وجعلَ الجنةَ منهما وإن كانت محتويةً على سائرِ الأشجار، تغليبًا لهما على غيرهما، ثم أردفهما ذكرَ كلِّ الثمرات. (روح البيان).

{الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُون}: كذلكَ يبيّنُ لكم الآياتِ سوَى ذلك، فيعرّفُكم أحكامَها، وحلالَها وحرامَها، ويوضّحُ لكم حُجَجَها، إنعامًا منه بذلك عليكم، {لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ} يقول: لتتفكَّروا بعقولِكم فتتدبَّروا وتعتبروا بحججِ اللهِ فيها، وتعملوا بما فيها من أحكامِها، فتطيعوا الله به. (الطبري).

٢٦٨- {**الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**}.

{مَغْفِرَةً مِنْهُ}: يعني أن الله عزَّ وجلَّ يعدُكم أيها المؤمنون، أن يسترَ عليكم فحشاءكم، بصفحهِ لكم عن عقوبتكم عليها، فيغفرُ لكم ذنوبكم بالصدقةِ التي تتصدَّقون، {وَفَضْلاً}، يعني ويعدُكم أن يخلفَ عليكم من صدقتكم، فيتفضَّلَ عليكم من عطاياه، ويسبغَ عليكم في أرزاقكم.

{عَلِيمٌ}: عليمٌ بنفقاتِكم وصدقاتِكم التي تُنفقونَ وتَصدَّقون بها، يُحصيها لكم حتى يجازيَكم بها عند مقدمِكم عليه في آخرتِكم. (الطبري).

٢٦٩- {يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَاب}.

يعني بذلك جلَّ ثناؤه: وما يتعظُ بما وَعظَ به ربُّهُ في هذه الآياتِ التي وَعظ فيها المنفقين أموالَهم بما وَعظَ به غيرَهم فيها وفي غيرها من آي كتابه، فيذكرُ وعدَهُ ووعيدَهُ فيها، فينزجرُ عمّا زجرَهُ عنه ربُّه، ويطيعهُ فيما أمرَهُ به، {إِلاَّ أُولُوا أَلالْبَابِ}... (الطبري).

٢٧١- {إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاء فَهُوَ خَيْرٌ لُّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِير}.

(مِن) تبعيضية، أي: شيئًا من سيئاتكم؛ لأنه يمحو بعضَ الذنوبِ بالتصدقِ في السرِّ والعلانية، أو زائدةٌ على رأي الأخفش، فالمعنى: يمحو عنكم جميعَ ذنوبكم. {وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ} من الإسرارِ والإعلان، {خَبِيرٌ}، فهو ترغيبٌ في الإسرار. (روح البيان).

٢٧٢- {وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلأنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاء وَجْهِ اللّهِ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُون}.

من مال. (النسفي، الخازن).

٢٧٣- {وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيم}.

هو المال، كما في الآيةِ السابقة.

٢٧٦- {وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيم}.

عظيمِ الكفرِ باستحلالِ الربا. (النسفي).

٢٧٧- {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ تفسيرها. يعني متفرقة.

وتفسيرها: إنَّ الذين آمنوا وأتْبَعُوا إيمانَهم بالأعمالِ الصالحة، فأطاعوا ربَّهم، وشكروا لهُ نِعَمَهُ عليهم، ورَضُوا بما قَسَمَ لهم من الحلال، وأحسَنوا إلى خَلْقه، وداوموا على صلواتِهم، وأعطَوا زَكاةَ أموالِهم للفقراءِ والمحتاجين، لهم جميعاً الجزاءُ العظيمُ عند ربِّهم، ولا خوفٌ عليهم يومَ الحساب، في مقابلِ التخبُّطِ والهلعِ الذي يُصيبُ المُرابي، ولا هم يَحزنونَ على ما فاتَهم منَ الدُّنيا، فهم في مكانٍ أجلّ، ونعيمٍ أعظم، وسعادةٍ لا تُوصَفُ ولا تُقارَنُ بما في الدنيا. (الواضح في التفسير).

٢٧٩- {**وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ**}.

إن تركتم استحلالَ الربا ورجعتم عنه. (البغوي).

٢٨١- {**ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**}.

{وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ} بنقصِ ثوابٍ وتضعيفِ عقاب. (البيضاوي).

٢٨٢- {**فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاء إِذَا مَا دُعُواْ وَلاَ تَسْأَمُوْاْ أَن تَكْتُبُوْهُ صَغِيرًا أَو كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللّهِ وَأَقْومُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلاَّ تَرْتَابُواْ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوْاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلاَ يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم**}.

{مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاء}: فيه دلالةٌ على اشتراطِ العدالةِ في الشهود، وهذا مقيدٌ حكمَ به الشافعيُّ على كلِّ مطلقٍ في القرآن، من الأمرِ بالإشهادِ من غيرِ اشتراط، وقد استدلِّ مَن ردِّ المستورَ بهذه الآيةِ الدالةِ على أن يكونَ الشاهدُ عدلًا مرضيًّا. (ابن كثير).

{وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم}: يعني مِن أعمالِكم وغيرها، يُحصيها عليكم ليجازيَكم بها. (الطبري).

سورة آل عمران

٤- {مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ}.

{هُدًى}: بيانًا للناسِ من الله، فيما اختلفوا فيه، من توحيدِ الله، وتصديقِ رُسله، ومفيداً يا محمدُ أنك نبيّي ورسولي، وفي غيرِ ذلك من شرائعِ دينِ الله. (الطبري).

{عَزِيزٌ}: ذكرَ أنه تقدَّمَ عند قولهِ تعالى في سورةِ البقرة: {فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [الآية ٢٠٩]، ومما قالَهُ هناك: العزيزُ فعيلٌ من عزَّ إذا قويَ ولم يُغلَب، وأصلهُ من العزَّة.

٦- {هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}

ذكرَ أنه تقدَّمَ معنى (العزيز الحكيم) في قولهِ تعالى: {فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [سورة البقرة: ٢٠٩]، ومما قالَهُ هناك: العزيزُ فعيلٌ من عزَّ إذا قويَ ولم يُغلَب، وأصلهُ من العزَّة. والحكيم: يجوزُ أن يكونَ اسمَ فاعلٍ من حكمَ، أي: قويُّ الحُكم، ويحتملُ أنه المحكِمُ للأمور، فهو من مجيءِ فَعِيل بمعنى مُفعل...

١١- {كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ}.

{بِآيَاتِنَا}: أي: بكتبِنا ورسلنا. (روح البيان). وقالَ ابنُ كثير: المكذّبين للرسلِ فيما جاؤوا به من آياتِ الله وحججه.

{وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ} أي: شديدُ الأخذ، أليمُ العذاب، لا يمتنعُ منه أحد، ولا يفوتهُ شيء، بل هو الفعَّال لما يريد، الذي قد غلبَ كلَّ شيء، وذَلَّ له كلُّ شيء، لا إلهَ غيره، ولا ربَّ سواه. (ابن كثير).

١٢- {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ}.

{قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا}: قل يا محمدُ للذين كفروا من يهودِ بني إسرائيل الذين يتَّبعون ما تشابهَ من آي الكتابِ الذي أنزلتهُ إليك، ابتغاءَ الفتنةِ وابتغاءَ تأويله (الطبري): {سَتُغْلَبُونَ} أي: في الدنيا، {وَتُحْشَرُونَ} أي: يومَ القيامة، {إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ}. (ابن كثير)، والحشر: الجمعُ والإحضار، وقوله {وَبِئْسَ الْمِهَادُ} يعني جهنم، هذا ظاهرُ الآية، وقال مجاهد: المعنى: بئسَ ما مهَّدوا لأنفسهم، فكأن المعنى: وبئسَ فعلُهم الذي أدَّاهم إلى جهنم. (ابن عطية).

١٣- {**قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاء إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَّأُوْلِي الأَبْصَارِ**}.

{قَدْ كَانَ لَكُمْ} أي: قد كان لكم أيها اليهودُ المغترُّون بعَددهم وعُددهم {آيَةٌ} أي: علامةٌ عظيمةٌ دالَّةٌ على صدقِ ما أقولُ لكم أنكم ستُغلبون.

{وَاللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاء إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَّأُوْلِي الأَبْصَارِ}: واللهُ المتَّصفُ بصفاتِ الجمالِ والجلال، يقوّي بعونهِ مَن يشاءُ أنْ يؤيّدَه مِن غيرِ توسُّطِ الأسبابِ المعتادة، كما أيَّدَ الفئةَ المقاتلةَ في سبيله، {إِنَّ فِي ذَلِكَ} المذكورِ من النصر، اتعاظاً ودلالةً لذوي العقولِ والبصائر، أو لمن أبصرهم ورآهم بعيني رأسه. (روح المعاني، باختصار).

١٤- {**وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ**}.

أي: الإبلِ والبقرِ والغنم، جمعُ نَعَم. (روح البيان).

١٥- {**لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا**}.

إنَّهُ مِن نصيبِ عبادِ اللهِ المتَّقين، الذين آمنوا باللهِ وقاموا بالأعمالِ الصَّالحة. فهؤلاءِ لهم عند ربِّهم جنانٌ جميلة، واسعةٌ رائعة، تجري من تحتِها جداولُ المياهِ والأنهارُ العذبة، ومنها ما يجري بالعسلِ واللبنِ وأنواعِ الأشربة، وفيها ما لم يرَهُ الإنسانُ وما لم يسمعْ به، مع حياةٍ دائمةٍ هنيئة، لا نَغْصَ فيها ولا انقطاع. (الواضح).

١٨- {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}.

{وَأُولُو الْعِلْمِ}: والعلماءُ من الناس. (قالَهُ السدّي).

{الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} يعني بالعزيز: الذي لا يمتنعُ عليه شيءٌ أراده، ولا ينتصرُ منه أحدٌ عاقبَهُ أو انتقمَ منه. الحكيمُ في تدبيره، فلا يدخلهُ خلَل. (الطبري).

٢٠- {فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ}.

يعني: وأسلمَ من اتَّبعني أيضاً وجهَهُ لله معي. (الطبري).

٢١- {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}.

{يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ}: يجحدون بآياتِ الله، يعني القرآن. (البغوي).

{بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}: موجعٍ مهين. (ابن كثير).

٢٥- {فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}.

{لَا رَيْبَ فِيهِ}: في وقوعهِ ووقوعِ ما فيه. (روح البيان).

وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}: أي: لا ينقصُ من حسناتهم، ولا يُزاد على سيئاتهم. (البغوي).

٢٦- {إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.

... لأنكَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ دونَ سائرِ خَلقك، ودونَ مَن اتَّخذهُ المشركونَ من أهلِ الكتابِ والأميينَ من العربِ إلهًا وربًّا يعبدونَهُ من دونك، كالمسيح، والأندادِ التي اتَّخذها الأميونَ ربًّا (الطبري، باختصار).

٣١- {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}.

{وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ} أي: يتجاوزْ لكم عنها، {وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} أي: لمن تحبَّبَ إليه بطاعته، وتقرَّبَ إليه باتِّباعِ نبيِّهِ صلَّى الله عليه وسلَّم. (روح المعاني).

٣٢- {**قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ**}.

{قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ} أي: تخالَفوا عن أمره، {فَإِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ}، فدلَّ على أن مخالفتَهُ في الطريقةِ كفر، والله لا يحبُّ من اتصفَ بذلك، وإن ادَّعَى وزعمَ في نفسهِ أنه يحبُّ اللهَ ويتقرَّبُ إليه، حتى يتابعَ الرسولَ النبيَّ الأميَّ خاتمَ الرسل، ورسولَ الله إلى جميعِ الثقلَين: الجنِّ والإنس، الذي لو كان الأنبياءُ، بل المرسلون، بل أولو العزمِ منهم في زمانه، ما وسعَهم إلا اتِّباعُهُ، والدخولُ في طاعته، واتِّباعُ شريعته. (ابن كثير).

٣٤- {**ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**}.

{عَلِيمٌ} بأفعالهم وما تكنُّهُ صدورهم، فيصطفي من يشاءُ منهم. (روح المعاني).

٣٥- {**فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيم**}.

التقبل: أخذُ الشيءِ على وجهِ الرضا، وأصلهُ المقابلةُ بالجزاء و{تَقَبَّلْ} هنا بمعنى اِقبَل. {إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ} لسائرِ المسموعات، فتَسمعُ دعائي، {ٱلْعَلِيمُ} بما كانَ ويكون، فتعلمُ نيتي. (روح المعاني).

٣٦- {**وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم**}.

{وَإِنِّيۤ أُعِيذُهَا}: أمنعُها وأُجيرها {بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا}: أولادها {مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ}، فالشيطان: الطريدُ اللعين، والرجيم: المرمَى بالشهب. (البغوي).

٣٧- {**وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا**}.

بمعنى: وضمنَها الله إلى زكريا وجعلهُ كافلًا لها، وضامنًا لمصالحها، قائمًا بتدابيرِ أمورها. والكافلُ هو الذي ينفقُ على إنسان، ويهتمُّ بإصلاحِ مصالحه. (روح البيان).

٣٩- {مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ}.

{وَحَصُورًا} قالَ رحِمَهُ الله: أي: حصورٌ عن قربانِ النساء. اهـ. قالَ صاحبُ (روح البيان): أي: مبالغًا في حصرِ النفسِ وحبسِها عن الشهواتِ مع القدرة... والحصور: الممتنعُ من النساءِ مع القدرةِ عليهن.. اهـ.

{وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ}: رسولاً لربِّهِ إلى قومه، ينبِّئهم عنه بأمرِهِ ونهيه، وحلالهِ وحرامه، ويبلِّغُهم عنه ما أرسلَهُ به إليهم. ويعني بقوله: {مِنَ الصَّالِحِينَ}: مِن أنبيائهِ الصالحين. (الطبري).

٤١- {وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ}.

العشيُّ من حينِ تزولُ الشمسُ إلى أن تغيبَ، والإبكارُ بين مطلعِ الفجرِ إلى وقتِ الضحى. (الطبري، باختصار).

٤٤- {ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ}.

أي: من أخبارِ الغيب (البغوي)، والغيب: ما غابَ عن مداركِ الإنسان. و{نُوحِيهِ} معناه: نلقيهِ في نفسِكَ في خفاء، وحدُّ الوحي إلقاءُ المعنى في النفسِ في خفاء، ثم تختلفُ أنواعه، فمنه بالملَك، ومنه بالإلهام، ومنه بالإشارة، ومنه بالكتاب.. (ابن عطية).

٤٥- {وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِين}.

{وَالآخِرَةِ}: رفعهُ في الآخرةِ مكانتهُ ونعيمهُ وشفاعته. (البغوي).

وَمِنَ الْمُقَرَّبِين}: يعني أنه ممن يقرِّبهُ اللهُ يومَ القيامةِ فيُسكِنهُ في جوارِهِ ويُدنيهِ منه. (الطبري).

٤٧- {قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاء إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُون}.

{وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ}: وأنا لستُ بذاتِ زوج، ولا من عزمي أن أتزوج، ولستُ بغيًّا حاشا لله؟

{إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُون} أي: فلا يتأخرُ شيئاً، بل يوجدُ عقيبَ الأمرِ بلا مهلة، كقوله: {وَمَآ أَمْرُنَآ إِلاَّ وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ} [سورة القمر: ٥٠] أي: إنما نأمرُ مرةً واحدةً لا مثنويةَ فيها، فيكونُ ذلك الشيءُ سريعاً كلمحِ البصر. (ابن كثير).

٤٩- **{وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ وَأُبْرِىءُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِين}.**

{وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ}: بأنه نبيٌّ وبشيرٌ ونذير.

{بِآيَةٍ}: يعني بعلامةٍ من ربّكم تحقّقُ قولي وتصدّقُ خبري، أني رسولٌ من ربّكم إليكم.

{لآيَةً}: لعبرةً لكم، ومتفكّراً تتفكرون في ذلك، فتعتبرون به أني محقٌّ في قولي لكم إني رسولٌ من ربّكم إليكم، وتعلمون به أني فيما أدعوكم إليه من أمرِ الله ونهيهِ صادق. (الطبري).

٥٠- **{وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ}.**

وجئتُكم بآياتٍ مُعجِزاتٍ تَشهدُ بصِحَّة إرسالي إليكم، فالتزِموا طاعةَ اللهِ واجتنِبوا معصيتَه، وأطيعوني فيما آمرُكم بهِ وأنهاكم عنه. (الواضح).

٥٣- **{رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ}**

أي: صدَّقنا بما أنزلتَ على نبيِّكَ عيسى من كتابِك، وصرنا أتباعَ عيسى على دينِكَ الذي ابتعثتهُ به، وأعوانَهُ على الحقِّ الذي أرسلتَهُ به إلى عبادك. (باختصار من الطبري).

٥٥- **{ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}.**

فأقضي حينئذٍ بين جميعِكم في أمرِ عيسى بالحقِّ فيما كنتُم فيه تختلفون من أمره. (الطبري).

٥٧- **{وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ}.**

يعني تعالى ذكره: وأما الذين آمنوا بكَ يا عيسى، يقول: صدَّقوكَ فأقرُّوا بنبوَّتك، وبما جئتَهم به من الحقِّ من عندي، ودانوا بالإسلامِ الذي بعثتُكَ به، وعملوا بما فرضتُ من فرائضي على لسانك، وشرعتُ من شرائعي، وسننتُ من سنني. (الطبري).

٥٨- {ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ}.

يعني القرآن... وقيل: هو اللوحُ المحفوظ. (البغوي).

٦٠- {الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُن مِّن الْمُمْتَرِينَ}.

هم الشاكُّون، والمرية: الشكّ، ونهيُ النبيِّ عليه السلامُ في عبارةٍ اقتضتْ ذمَّ الممترين، وهذا يدلُّ على أن المرادَ بالامتراءِ غيره. ولو قيل: "فلا تكنْ ممترياً" لكانت هذه الدلالةُ أقلّ، ولو قيل: "فلا تمترِ" لكانت أقلّ. ونهيُ النبيِّ عليه السلامُ عن الامتراءِ مع بُعدهِ عنه، على جهةِ التثبيتِ والدوامِ على حاله. (ابن عطية).

٦١- {فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ}.

أي: جادلك. (البغوي).

٦٣- {فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ}.

أي: مَن عدلَ عن الحقِّ إلى الباطلِ فهو المفسِد، والله عليمٌ به، وسيجزيهِ على ذلك شرَّ الجزاء، وهو القادرُ الذي لا يفوتهُ شيء، سبحانهُ وبحمده، ونعوذُ به من حلولِ نقمته. (ابن كثير).

٦٤- {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}

{أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا}: لا وثنًا، ولا صنمًا، ولا صليبًا، ولا طاغوتًا، ولا نارًا، ولا شيئًا. بل نُفردُ العبادةَ للهِ وحدَهُ لا شريكَ له. وهذه دعوةُ جميعِ الرسل. (ابن كثير).

وقوله: {وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا} يقول: ولا يدينَ بعضُنا لبعضٍ بالطاعةِ فيما أمرَ به من معاصي الله، ويعظِّمَهُ بالسجودِ له، كما يسجدُ لربِّه، {فَإِن تَوَلَّوْاْ} يقول: فإن أعرضوا عمَّا دعوتَهم إليه من الكلمةِ السواءِ التي أمرتُكَ بدعائهم إليها، فلم يجيبوك إليها... (الطبري).

٦٥- {**أَفَلاَ تَعْقِلُون**}.

أي: تتفكرون في دحوضِ حجَّتِكم، وبطلانِ قولِكم. (فتح القدير).

٦٦- {**هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**}.

{حَاجَجْتُمْ}: تجادَلتُم...

هذا إنكارٌ على من يحاجُّ فيما لا علمَ له به، فإن اليهودَ والنصارَى تحاجُّوا في إبراهيمَ بلا علم، ولو تحاجُّوا فيما بأيديهم منه علمٌ مما يتعلَّقُ بأديانهم التي شُرعتْ لهم إلى حينِ بعثةِ محمدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم، لكان أولَى بهم، وإنما تكلَّموا فيما لا يعلمون، فأنكرَ الله عليهم ذلك. (ابن كثير).

٦٧- {**مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا**}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ في سورةِ البقرة. ويعني في الآية (١٣٥) من منها، ومما ذكرَهُ هناك: أن الحنَفَ هو الميلُ في الرِّجْل، وإنما كان هذا مدحاً للملَّة؛ لأن الناسَ يومَ ظهورِ ملَّةِ إبراهيمَ كانوا في ضلالةٍ عمياء، فجاءَ دينُ إبراهيمَ مائلاً عنهم، فلقبَ بالحنيف، ثم صارَ الحنيفُ لقبَ مدحٍ بالغلبة.

٦٨- {**وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ**}.

واللهُ ناصرُ المؤمنينَ بمحمدٍ، المصدِّقينَ له في نبوَّته، وفيما جاءَهم به مِن عندهِ على مَن خالفَهم مِن أهلِ المِلَل والأديان. (الطبري).

٦٩- {**وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ**}.
قالَ ابنُ كثير: وهم لا يشعرون أنهم ممكورٌ بهم.
وقالَ ابنُ عطية: ثم أعلمَ أنهم لا يشعرون أنهم لا يَصلون إلى إضلالكم.

٧٠- {**يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُون**}.
{وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ} أن نعتَهُ [صلى الله عليه وسلم] في التوراةِ والإنجيلِ مذكور. (البغوي).

٧١- {**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ**}.
أي: تخلطون. (روح البيان).

٧٤- {**يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**}.
أي: اختصَّكَم أيها المؤمنون من الفضلِ بما لا يُحَدُّ ولا يوصف، بما شرَّفَ به نبيَّكم محمداً صلَّى الله عليه وسلَّمَ على سائرِ الأنبياء، وهداكم به إلى أكملِ الشرائع. (ابن كثير).
{وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} يقول: ذو فضلٍ يتفضَّلُ به على من أحبَّ وشاءَ مِن خلقه. ثم وصفَ فضلَهُ بالعِظَم، فقال: فضلهُ عظيمٌ لأنه غيرُ مشبَّهٍ في عِظَمِ موقعهِ ممَّن أفضلَهُ عليه أفضالَ خلقه، ولا يقاربهُ في جلالةِ خطرهِ ولا يدانيه (الطبري).

٧٧- {**إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**}.
ذكرَ أن أوصافَ اليهودَ هذه وردتْ متفرقةً في سورةِ البقرة.
قالَ الإمامُ الطبري: يعني بذلك جلَّ ثناؤه: إن الذين يستبدلون بتركهم عهدَ الله الذي عهدَ إليهم، ووصيتَهُ التي أوصاهم بها في الكتبِ التي أنزلها الله إلى أنبيائهِ باتباعِ محمدٍ وتصديقه، والإقرارِ به، وما جاءَ به من عندِ الله، وبأيمانهم الكاذبةِ التي يستحلُّون بها ما حرَّمَ الله عليهم من أموالِ الناسِ التي اؤتمنوا عليها ثمناً، يعني عوضاً وبدلاً خسيساً من عرَضِ الدنيا وحطامها،

{أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ}، يقول: فإن الذين يفعلون ذلك لا حظَّ لهم في خيراتِ الآخرة، ولا نصيبَ لهم من نعيمِ الجنة، وما أعدَّ الله لأهلها فيها، دونَ غيرهم. (الطبري).
{وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}: أي: مؤلمٌ موجع. والظاهرُ أن ذلك في القيامة، إلا أنه لم يقيَّدْ به اكتفاءً بالأول. وقيل: إنه في الدنيا، بالإهانةِ وضربِ الجزية، بناءً على أن الآيةَ في اليهود. (روح المعاني).

٧٨- **{وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}**.

ويزعمون أن ما لووا به ألسنتَهم من التحريفِ والكذبِ والباطلِ فألحقوهُ في كتابِ اللهِ مِن عندِ الله، وما هو من عندِ الله، ولكنهُ مما أحدَثوهُ من قِبَلِ أنفسهم، افتراءً على الله. فهم يتعمَّدون قيلَ الكذب على الله، والشهادةَ عليه بالباطل، والإلحاقَ بكتابِ الله ما ليس منه، طلبًا للرياسةِ والخسيسِ من حطامِ الدنيا. (الطبري، باختصار).

٧٩- **{مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ}**.

لا ينبغي لإنسانٍ أنزلَ اللهُ عليهِ الكتابَ الناطقَ بالحقّ، الذي فيه أمرٌ بتوحيدِ اللهِ وإخلاصِ العبادةِ له، وآتاهُ عقلاً وفهماً، وأوحَى إليهِ وجعلَهُ نبيًّا، ثمَّ يقولُ هذا الإنسان، وهو بشَرٌ مِن عبادِ الله: كونوا أيُّها الناسُ عباداً لي لا عباداً لله... (الواضح).

٨١- **{وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ}**.

{آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ}: وهي بيانُ أحكامِ الحلالِ والحرامِ والحدود.
{وَلَتَنصُرُنَّهُ}: وتنصرنَّهُ على أعدائهِ لإظهارِ دينِ الحق. (روح البيان).

٨٤- {قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ}.

... والأسباطِ، وهم بطونٌ مِن أولادِ يعقوبَ عليهِ السلام، مِن صُحُفٍ ووحي، وما أوتيَهُ موسَى، وهو التوراة، وما أوتيَهُ عيسَى، وهو الإنجيل، وما أوتيَ كلُّ الأنبياءِ مِن ربِّهم مِن كتبٍ ومعجِزات. (الواضح).

٨٧- {أُوْلَئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللهِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِين}.

ذكرَ أن معناهُ تقدَّمَ في سورةِ البقرة، ويعني الآيةَ (١٦١) منها: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِين}، قالَ هناك: وإنما قالَ هنا {وَالنَّاسِ أَجْمَعِين} لأن المشركين يلعنهم أهلُ الكتابِ وسائرُ المتدينين الموحِّدين للخالق، بخلافِ الذين يكتمون ما أُنزِلَ من البيِّنات، فإنما يلعنُهم الله والصالحون من أهل دينِهم كما تقدَّم، وتلعنهم الملائكة، وعمومُ الناسِ عرفٌ، أي: الذين هم من أهلِ التوحيد.

٨٨- {خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ}.

ماكثينَ في عقوبةِ الله، لا يُنقَّصونَ مِن العذابِ شيئًا في حالٍ مِن الأحوال، ولا يُنفَّسُون فيه، ولا هم يُنظَرونَ لمعذرةٍ يعتذرون. (الطبري).

٨٩- {إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}.

ذكرَ أن معناهُ تقدَّمَ في سورةِ البقرة، ويعني الآيةَ (١٦٠) منها: {إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيم}، قالَ هناك: ... وشُرِطَ للتوبةِ أن يُصلحوا ما كانوا أفسدوا، وهو بإظهارِ ما كتموه، وأن يبيِّنوهُ للناس، فلا يكفي اعترافُهم وحدَهم أو في خلواتهم، فالتوبةُ هنا الإيمانُ بمحمدٍ صلى الله عليه وسلم، فإنه رجوعٌ عن كتمانهم الشهادةَ له الواردةَ في كتبهم. وإطلاقُ التوبةِ على الإيمانِ بعدَ الكفرِ واردٌ كثيراً؛ لأن الإيمانَ هو توبةُ الكافرِ من كفره، وإنما زادَ بعدهُ {وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا} لأن شرطَ كلِّ توبةٍ أن يتداركَ التائبُ ما يمكنُ تداركهُ مما أضاعَهُ بفعلهِ الذي تابَ عنه.

٩٠- **{وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ}**.

أي: الخارجون عن المنهجِ الحقِّ إلى طريقِ الغيّ. (ابن كثير).

الجزء الرابع

٩٤- {فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}.

...فهم الكافرونَ القائلونَ على اللهِ الباطل. (الطبري).

٩٥- {قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}.

فاتَّبِعوا ملَّةَ إبراهيم، المائلةَ عن كلِّ شرك، الداعيةَ إلى التوحيدِ الخالص، كما بيَّنها اللهُ في القرآن، وما كان منَ المشركين، فلِمَ يُشركُ أهلُ الكتابِ الذينَ يدَّعونَ أنَّهم ورثةُ إبراهيمَ عليهِ السلام؟ (الواضح).

١٠٣- {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}.

... لتهتدوا إلى سبيلِ الرشادِ وتسلكوها فلا تضلُّوا عنها. (الطبري).

١٠٦- {فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ}.

... بما كنتم تجحدونَ في الدنيا ما كان اللهُ قد أخذَ ميثاقَكم بالإقرارِ به والتصديق. (الطبري).

١٠٧- {وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون}.

ماكثون فيها أبداً، لا يبغون عنها حِوَلاً. (ابن كثير).

١١٠- {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ}.

ذكرَ أن المعروفَ والمنكرَ تقدَّمَ بيانهما قريبًا، وقد تقدَّما في الآيةِ (١٠٤) من السورة، ومما قالَهُ هناك: المعروفُ هو ما يُعرف، وهو مجازٌ في المقبولِ المرضيِّ به، لأنّ الشيءَ إذا كان معروفاً كان مألوفاً مقبولاً مرضيّاً به، وأُريدَ به هنا ما يُقبَلُ عند أهلِ العقول، وفي الشَّرائع، وهو الحقُّ والصلاح، لأنّ ذلك مقبولٌ عند انتفاءِ العوارض. والمنكرُ مجازٌ في المكروه، والكُرْهُ لازمٌ للإنكار؛

لأنّ النكرَ في أصلِ اللِّسانِ هو الجهل، ومنه تسميةُ غيرِ المألوفِ نكرة، وأُريدَ به هنا الباطلُ والفساد، لأنَّهما من المكروهِ في الجبلّةِ عند انتفاءِ العوارض.

١١٢- {**وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ**}.

{بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ}: أي: رجعوا بغضبٍ كائنٍ منه تعالى، مستوجبين له. (روح البيان).

{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ}: ذكرَ أنه تقدَّمَ عند قولهِ تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ} [الآية ٢١]، وملخصُ قولهِ هناك: أنه استئنافٌ لبيانِ بعضِ أحوالِ اليهود... الذين قتلوا الأنبياءَ في زمنٍ مضى، وكلُّ تلك الجرائمِ معدودةٌ عليهم؛ لأنّهم رضُوا بها، وألحُّوا في وقوعها. وقوله: {بِغَيْرِ حَقٍّ}: ظرفٌ مستقرٌّ في موضعِ الحالِ المؤكّدةِ لمضمونِ جملةِ {وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ}، إذ لا يكونُ قتلُ النبيّين إلاّ بغيرِ حقّ، والمقصودُ من هذه الحالِ زيادةُ تشويهِ فعلهم.

١١٤- {**يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ**}.

يعني بقوله جلَّ وعزّ: {يُؤْمِنُونَ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ}: يصدّقون بالله، وبالبعثِ بعد الممات، ويعلمونَ أن اللهَ مُجازيهم بأعمالهم، وليسوا كالمشركين الذين يجحدونَ وحدانيةَ الله، ويعبدونَ معه غيره، ويكذّبون بالبعثِ بعد الممات، وينكرونَ المجازاةَ على الأعمال، والثوابَ والعقاب. (الطبري).

وقولهُ تعالى: {وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} ذكرَ في الآيةِ (١٠٤) من السورةِ ما مختصره: المعروفُ هو ما يُعرف، وهو مجازٌ في المقبولِ المرضيّ به، لأنّ الشيءَ إذا كان معروفاً كان مألوفاً مقبولاً مرضيّاً به، وأُريدَ به هنا ما يُقبَلُ عند أهلِ العقول، وفي الشَّرائع، وهو الحقُّ والصلاح، لأنّ ذلك مقبولٌ عند انتفاءِ العوارض. والمنكرُ مجازٌ في المكروه، والكُرْهُ لازمٌ للإنكار؛ لأنّ النكرَ في أصلِ اللِّسانِ هو الجهل، ومنه تسميةُ غيرِ المألوفِ نكرة، وأُريدَ به هنا الباطلُ والفساد، لأنَّهما من المكروهِ في الجبلّةِ عند انتفاءِ العوارض.

{الخَيْراتِ} أي: يبادرون إلى فعلِ الخيراتِ والطاعاتِ خوفَ الفواتِ بالموتِ مثلا، أو يعملون الأعمالَ الصالحةَ راغبين فيها غيرَ متثاقلين؛ لعلمهم بجلالةِ موقعها وحسنِ عاقبتها، وهذه صفةٌ جامعةٌ لفنونِ الفضائلِ والفواضل، وفي ذكرها تعريضٌ بتباطؤِ اليهودِ وتثاقلهم عن ذلك. (روح المعاني).

{مِنَ الصَّالِحِينَ}: أي: من جملةِ من صلحتْ أحوالهم عند الله تعالى، واستحقُّوا رضاهُ وثناءه. (روح البيان).

١١٥- {**وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ**}.

{وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ}: وما تفعلُ هذه الأمةُ من خير، وتعملُ من عملٍ لله فيه رضا..

{وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ}: والله ذو علمٍ بمن اتَّقاه، بطاعتهِ واجتنابِ معاصيه، وحافظٌ أعمالَهُمُ الصالحة، حتى يثيبَهم عليها، ويجازيَهم بها، تبشيرًا منه لهم جلَّ ذكرهُ في عاجلِ الدنيا، وحضًّا لهم على التمسُّكِ بالذي هم عليه من صالحِ الأخلاقِ التي ارتضاها لهم (الطبري).

١١٦- {**وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**}.

... ويكونُ مصـــيرَهم النارُ المحرِقة، التي تأتي على وجوهِهم وأفئدتِهم في يومِ القيامة، خالدين فيها أبداً. (الواضح).

١١٧- {**كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ**}.

{فَأَهْلَكَتْهُ} عن آخره، ولم تدَعْ له عيناً ولا أثراً، عقوبةً لهم على معاصيهم.. (روح المعاني).

١١٨- {**قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ**}.

قد لاحَ على صفحاتِ وجوههم وفلتاتِ ألسنتهم من العداوةِ، مع ما هم مشتملون عليه في صدورهم من البغضاءِ للإسلامِ وأهله، ما لا يخفَى مثلهُ على لبيبٍ عاقل. (ابن كثير).

١١٩- {وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا}.

إذا لقوا المؤمنينَ مِن أصحابِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أعطَوهم بألسنتِهم تقيَّة، حذرًا على أنفسِهم منهم، فقالوا لهم: قد آمنّا وصدَّقنا بما جاءَ به محمدٌ صلى الله عليه وسلم. (الطبري).

١٢٠- {إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيط}.

تفسيرُ الآية: وممّا يبدو مِن عداوةِ المنافقينَ لكم، أنَّ اللهَ إذا منَّ عليكم برزقٍ أو نصرٍ أو فتح، أصابَهم الهمُّ والغمّ، وإذا أصابَكم مكروهٌ كقحطٍ أو هزيمة، فرحُوا واستَبشروا، فلا يُحزِنَنَّكم هذا، واتَّقوا شرَّهم بالتحلّي بالصَّبر، والدوامِ على طاعةِ الله، وحُسنِ التوكُّلِ عليه، ولن يضرَّكم شيءٌ مِن كيدِهم إذا كنتُم كذلك، فاللهُ محيطٌ بهم، عليمٌ بما يصنعون، ولن يقعَ شيءٌ في الوجودِ إلا بتقديرِهِ ومشيئتِه. (الواضح في التفسير).

ويعني بكيدهم: غوائلَهم التي يبتغونها للمسلمين، ومكرَهم بهم؛ ليصدُّوهم عن الهُدَى وسبيلِ الحقّ. (الطبري).

١٢١- {وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}.

سميعٌ لِما تقولون، عليمٌ بضمائركم. (ابن كثير).

١٢٣- {فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}.

ذكرَ في الآيةِ (١٠٢) من السورة، أن التقوى حاصلُها: امتثالُ الأمر، واجتنابُ المنهي عنه، في الأعمالِ الظاهرة، والنوايا الباطنة.

١٢٥- {بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـذَا}.

يعني: تصبروا على عدوِّكم، وتتقوني وتطيعوا أمري. (ابن كثير).

١٢٧- {لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ}.

{فَيَنقَلِبُواْ} أي: يرجعوا، {خَآئِبِينَ} أي: لم يحصلوا على ما أملوا. (ابن كثير).

والخيبةُ هو الحرمانُ من المطلوب، والفرقُ بينها وبين اليأس، أن الخيبةَ لا تكونُ إلا بعد التوقع، وأما اليأسُ فإنه قد يكونُ بعد التوقعِ وقبله، فنقيضُ اليأسِ الرجاء، ونقيضُ الخيبةِ الظفر. (روح البيان).

١٢٩- {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}.

وكلُّ شيءٍ في السَّماءِ والأرضِ مُلكٌ للهِ وحدَه، وهو المتصرِّفُ المطلَقُ في شأنِ العباد، يغفرُ لمن يشاءُ منهم فيُدخلُهم الجنَّة، ويعذِّبُ مَن يشاءُ منهم في النّار، وقضاؤهُ هذا بالحكمةِ والعدل، وبالرحمةِ والمغفرة. (الواضح).

١٣٠- {وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}.

لتنجحوا؛ فتنجوا مِن عقابه، وتُدركوا ما رغَّبكم فيه مِن ثوابه، والخلودِ في جنانه. (الطبري).

١٣٢- {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}.

يعني بذلك جلَّ ثناؤه: وأطيعوا الله أيها المؤمنونَ فيما نهاكم عنه، من أكلِ الربا وغيرِهِ من الأشياء، وفيما أمرَكم به الرسول؛ لتُرحَموا فلا تعذَّبوا (الطبري، باختصار).

١٣٦- {أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ}.

ذكرَ في الآيةِ (٢٥) من سورةِ البقرة، أن الجنةَ هي المكانُ الذي تكاثرتْ أشجاره، والتفَّ بعضُها ببعضٍ حتى كثرَ ظلُّها، وذلك من وسائلِ التنعمِ والترفهِ عند البشرِ قاطبة. والجريُ يطلقُ مجازًا على سيلِ الماءِ سيلًا متكررًا متعاقبًا، وأحسنُ الماءِ ما كان جاريًا غيرَ قارّ؛ لأنه يكونُ بذلك جديدًا... وأكملُ محاسنِ الجناتِ جريانُ المياهِ من خلالها... ومعنى {مِنْ تَحْتِهَا}: من

أسفلها... {وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}: احتراسٌ مِن تَوهُّمِ الانقطاعِ بما تعوَّدوا من انقطاعِ اللذَّاتِ في الدنيا؛ لأن جميعَ اللذَّاتِ في الدنيا معرَّضةٌ للزوال، وذلك ينغِّصُها عند المنعَمِ عليه.

١٤٨- {وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}.

محبةُ الله للعبدِ عبارةٌ عن رضاهُ عنه، وإرادةِ الخيرِ به، فهي مبدأٌ لكلِّ سعادة. (روح البيان). فعلَ الله ذلك بإحسانهم، فإنه يحبُّ المحسنين، وهم الذين يفعلون مثلَ الذي وصفَ عنهم تعالى ذكرهُ أنهم فعلوهُ حين قُتِلَ نبيُّهم. (الطبري).

١٤٩- {فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ}.

{فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ} كرامةَ الدنيا وسعادةَ الآخرة، أما الأُولى فلأن أشقَّ الأشياءِ على العقلاءِ في الدنيا الانقيادُ للعدوِّ والتذلُّلُ له وإظهارُ الحاجةِ إليه، وأما الثانيةُ فلأنه يُحرَمُ من الثوابِ المؤبَّد، ويقعُ في العذابِ المخلَّد. (روح البيان).

١٥٢- {وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِين}.

والله ذو طَوَلٍ على أهلِ الإيمانِ به وبرسوله، بعفوهِ لهم عن كثيرِ ما يستوجبونَ به العقوبةَ عليه من ذنوبهم، فإنْ عاقبَهم على بعضِ ذلك، فذو إحسانٍ إليهم بجميلِ أياديهِ عندهم. (الطبري).

١٥٣- {وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}.

يعني جلَّ ثناؤه: واللهُ بالذي تعملون - أيها المؤمنون، من إصعادكم في الوادي هربًا مِن عدوِّكم، وانهزامِكم منهم، وتركِكم نبيَّكم وهو يدعوكم في أُخراكم، وحزنِكم على ما فاتَكم مِن عدوِّكم، وما أصابَكم في أنفسِهم - ذو خبرةٍ وعلم، وهو مُحصٍ ذلك كلَّه عليكم، حتى يجازيَكم به، المحسنَ منكم بإحسانه، والمسيءَ بإساءته، أو يعفوَ عنه (الطبري).

١٥٥- {وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ}.

{وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ}: أي: عمَّا كان منهم من الفرار، {إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ}، أي: يغفرُ الذنب، ويحلُمُ عن خلقه، ويتجاوزُ عنهم. (ابن كثير).

١٥٦- **{وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}**.

أي: بيدهِ الخَلقُ وإليهِ يرجعُ الأمر، ولا يحيا أحدٌ ولا يموتُ إلا بمشيئتهِ وقدره، ولا يُزادُ في عمرِ أحدٍ ولا يُنقَصُ منه إلا بقضائهِ وقدَره، {وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} أي: وعلمهُ وبصرهُ نافذٌ في جميعِ خلقه، لا يخفَى عليه مِن أمورِهم شيء. (ابن كثير).

١٥٩- **{فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ}**.

{فَاعْفُ عَنْهُمْ} ... فيما يتعلَّقُ بحقوقك، {وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ} اللهَ تعالى فيما يتعلقُ بحقوقهِ سبحانهُ وتعالى، إتماماً للشفقة، وإكمالاً للتربية. (روح المعاني).

١٦١- **{وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}**.

{ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ}: ثم تُعطَى كلُّ نفسٍ جزاءَ ما كسبتْ بكسبها وافيًا، غيرَ منقوصٍ ما استحقَّهُ واستوجبَهُ من ذلك.

{وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ} يقول: لا يُفعَلُ بهم إلا الذي ينبغي أن يُفعَلَ بهم، من غيرِ أن يُعتدَى عليهم فيُنقَصوا عمَّا استحقُّوه. (تفسير الطبري).

١٦٢- **{أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}**.

... فاستحقَّ بذلك سكنَى جهنم، وبئسَ المصيرُ الذي يصيرُ إليه ويؤوبُ إليه. (الطبري، باختصار).

١٦٣- **{هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ}**.

أي: وسيُوفيهم إيّاها، لا يظلمُهم خيرًا، ولا يزيدهم شرًّا، بل يُجازي كلاًّ بعمله. (ابن كثير).

١٦٧- {يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ}.
واللهُ أعلمُ بما يُخفونَهُ مِن كفرٍ ونفاق، وما يَغْمِرُ قلوبَهم مِن شرٍّ وفساد. (الواضح).

١٦٨- {الَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَؤُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِين}.
{وَقَعَدُواْ}: قعدوا عن القتالِ بالانخذال.
{فَادْرَؤُوا}: أي: ادفعوا. (روح البيان).

١٧٠- {فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}.
{فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ}: وهو شرفُ الشهادة، والفوزُ بالحياةِ الأبدية، والزلفَى من الله تعالى، والتمتعُ بالنعيمِ المخلَّدِ عاجلًا.
{أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} أي: يفرحون بما بُشِّرَ لهم وبُيِّن، من حيثُ حالُ إخوانهم الذين تركوهم، وهو أنهم إذا ماتوا أو قُتلوا يفوزون بحياةٍ أبدية، لا يدركها خوفُ وقوعِ محذور، ولا حزنُ فوتِ مطلوب. والخوفُ يكونُ بسببِ توقعِ المكروهِ النازلِ في المستقبل، والحزنُ يكونُ بسببِ فوتِ المنافعِ التي كانت موجودةً في الماضي، فبيَّنَ الله أنه لا خوفٌ عليهم مما سيأتيهم من أهوالِ القيامةِ وأحوالها، ولا حزنٌ لهم مما فاتهم من نعمِ الدنيا ولذّاتها. (روح البيان).

١٧٢- {الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ}.
{الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ}: يعني بذلك جلَّ ثناؤه: {وَأَنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِين} المستجيبين لله والرسول، من بعد ما أصابهم الجراحُ والكلوم، وإنما عنى الله تعالى ذكرُهُ بذلك الذين اتبعوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم إلى حمراءِ الأسدِ في طلبِ العدوِّ أبي سفيان، ومن كان معه من مشركي قريشٍ منصرفَهم عن أُحد... (الطبري).

{لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ} بطاعةِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وإجابتهِ إلى الغزو، {وَاتَّقَوْا} معصيته، {أَجْرٌ عَظِيمٌ}. (تفسير البغوي).

١٧٤- {وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ}.

{وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ} يعني بذلك أنهم أرضَوا اللهَ بفعلهم ذلك، واتّباعِهم رسولَهُ إلى ما دعاهم إليه، من اتّباعِ أثرِ العدوّ، وطاعتهم.

{وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ} يعني: والله ذو إحسانٍ وطَولٍ عليهم، بصرفِ عدوّهم الذي كانوا قد همُّوا بالكرَّة إليهم، وغيرِ ذلك من أياديهِ عندهم، وعلى غيرهم بنعمه، عظيمٍ عندَ من أنعمَ به عليهِ من خلقه. (تفسير الطبري).

١٧٥- {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ}.

يعني: يخوّفُ المؤمنين بالكافرين. (البغوي). والمعنى: إن تخويفَهُ بالكفارِ إنما يتعلقُ بالمنافقين الذين هم أولياؤه، وأما أنتم أيها المؤمنون، فأولياءُ اللهِ وحزبهُ الغالبون، لا يتعلقُ بكم تخويفه. (روح البيان).

١٧٦- {يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}.

... ثم أخبرَ أنهم مع حرمانهم ما حُرِموا من ثوابِ الآخرة، لهم عذابٌ عظيمٌ في الآخرة، وذلك عذابُ النار. (الطبري).

١٧٨- {إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ}.

{إِثْمًا}: فسَّرَهُ الفخرُ الرازي بالبغي والطغيان، وجاءَ من بعد: الغيُّ والطغيان. (مفاتح الغيب).

{مُهِينٌ} أي: يهانون به في الآخرة. (روح البيان).

١٧٩- {وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيم}.

وإنْ تصدِّقوا مَن اجتبيتهُ من رسلي بعلمي، وأطلعتهُ على المنافقين منكم، وتتَّقوا ربَّكم بطاعتهِ فيما أمركم به نبيُّكم محمدٌ صلى الله عليه وسلم وفيما نهاكم عنه، فلكم بذلك من إيمانكم واتِّقائكم ربَّكم ثوابٌ عظيم. (الطبري).

١٨٠- {وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ}.
أي: لا يحسبنَّ البخيلُ أن جمعَهُ المالَ ينفعه، بل هو مضرَّةٌ عليه في دينه، وربما كان في دنياه. (ابن كثير).

١٨١- {سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ}.
وردَ مثلهُ في الآيةِ (٢١) من السورة، وملخصُ قولهِ هناك: أنه استئنافٌ لبيانِ بعضِ أحوالِ اليهود... الذين قَتلوا الأنبياءَ في زمنٍ مضى، وكلُّ تلك الجرائمِ معدودةٌ عليهم؛ لأنّهم رضُوا بها، وألحَوا في وقوعها. وقوله: {بِغَيْرِ حَقٍّ}: ظرفٌ مستقرٌّ في موضعِ الحالِ المؤكّدةِ لمضمونِ جملةِ {وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ}، إذ لا يكونُ قتلُ النبيّين إلاّ بغيرِ حق، والمقصودُ من هذه الحالِ زيادةُ تشويهِ فعلهم.

١٨٢- {ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ}
ذوقوا عذابَ الحريقِ بما أسلفتْ أيديكم، واكتسبتها أيامَ حياتِكم في الدنيا (الطبري).

١٨٣- {قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ}.
ذكرَ في تفسيرِ الآيةِ التالية، أن الآياتِ هي الدلائلُ على الصدق.

١٨٥- {وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُور}.
تصغيرٌ لشأنِ الدنيا، وتحقيرٌ لأمرها، وأنها دنيئةٌ فانية، قليلةٌ زائلة، كما قالَ تعالى: {بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ} [سورة الأعلى ١٦ – ١٧] ... وقالَ قتادةُ في قولهِ تعالى: {وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُور}: هي متاعٌ متروكةٌ أوشكتْ - والله الذي لا إله إلا هو -

أن تضـمحلَّ عن أهلها، فخذوا من هذا المتاعِ طاعةَ الله إن اسـتطعتم، ولا قوةَ إلا بالله. (ابن كثير).

١٨٧- {فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ}.
... فبئستِ الصفقةُ صفقتهم، وبئستِ البيعةُ بيعتهم. (ابن كثير).

١٨٨- {وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}.
ولهم عذابٌ في الآخرةِ أيضاً مؤلم، مع الذي لهم في الدنيا معجَّل. (الطبري).

١٨٩- {وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.
يقولُ تعالى ذكرهُ مكذِّباً لهم: لله ملكُ جميعِ ما حوتهُ السماواتُ والأرض، فكيف يكونُ – أيها المفترون على الله – من كان ملكُ ذلك له فقيراً؟! ثم أخبرَ جلَّ ثناؤهُ أنه القادرُ على تعجيلِ العقوبةِ لقائلي ذلك، ولكلِّ مكذِّبٍ به ومفترٍ عليه، وعلى غيرِ ذلك مما أرادَ وأحبّ، ولكنه تفضَّلَ بحِلمهِ على خلقه، فقال: {وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}: يعني مِن إهلاكِ قائلِ ذلك، وتعجيلِ عقوبتهِ لهم، وغيرِ ذلكَ مِن الأمور. (الطبري).

١٩٠- {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ}.
فسَّـرَهُ في الآيةِ (١٦٤) من سـورةِ البقرة، وأطال، وملخصـه: يعني تعاقبهما وخلفَ أحدهما الآخر. **وهو** تذكيرٌ بآيةٍ عظيمة، وهي اختلافُ حالتي الأرضِ في ضـياءٍ وظلمة، وما في الضياءِ من الفوائدِ للناس، وما في الظلمةِ من الفوائدِ لهم، لحصولِ سكونهم، واسترجاعِ قواهم المنهوكةِ بالعمل. وهو من آثارِ دورانِ الأرضِ حولَ الشـمسِ في كلِّ يوم.. وقد أضـيفَ الاختلافُ لكلٍّ من الليلِ والنهار؛ لأن كلَّ واحدٍ منهما يخلفُ الآخر، فتحصـلُ منه فوائدُ تعاكسُ فوائدَ الآخر، بحيث لو دامَ أحدهما لانقلبَ النفعُ ضـرراً. وللاختلافِ معنى آخر، هو مرادٌ أيضـاً، وهو تفاوتهما في الطولِ والقصـر، فمرةً يعتدلان، ومرةً يزيدُ أحدهما على الآخر، وذلك بحسـبِ أزمنةِ الفصـول، وبحسـبِ أمكنةِ الأرضِ في أطوالِ البلادِ وأعراضـها، كما هو

مقررٌ في علمِ الهيئة، وهذا أيضاً من مواضعِ العبرة؛ لأنه آثارُ الصنعِ البديعِ في شكلِ الأرضِ ومساحتها للشمسِ قرباً وبعداً.

١٩٢- {وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ}.
لمن خالفَ أمرَ الله فعصاه. (الطبري).

١٩٣- {وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ}.
جمعُ بارّ، أو برّ، وأصلهُ من الاتساع، فكأن البارَّ متسِعٌ في طاعةِ الله، ومتسَعةٌ له رحمته، قيل: هم الأنبياء، ومعنى اللفظِ أوسعُ من ذلك. (فتح القدير).

١٩٤- {وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ}.
اسمُ مصدرٍ بمعنى الوعد. وهذه الدعواتُ وما في تضاعيفها من كمالِ الضراعةِ والابتهالِ ليست لخوفهم من إخلافِ الميعاد، بل لخوفهم أن لا يكونوا من جملةِ الموعودين، لسوءِ عاقبةٍ أو قصورٍ في الامتثال، فمرجعها إلى الدعاءِ بالتثبيت، أو للمبالغةِ في التعبدِ والخشوع. (روح البيان).
أي: لا بدَّ من الميعادِ الذي أخبرتَ عنه رسلك، وهو القيامُ يومَ القيامةِ بين يديك. (ابن كثير).

١٩٥- {فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ}.
يعني: لأمحوَنَّها عنهم، ولأتفضَّلنَّ عليهم بعفوي ورحمتي، ولأغفرنَّها لهم، ولأدخلنَّهم جناتٍ تجري مِن تحتها الأنهار، جزاءً لهم على ما عملوا وأبلَوا في اللهِ وفي سبيله، مِن قِبَل اللهِ لهم، واللهُ عندَهُ مِن جزاءِ أعمالهم جميعُ صنوفه، وذلك ما لا يبلغهُ وصفُ واصِف. (الطبري، باختصار).

١٩٧- {مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ}.

ثم مأواهم جهنمُ بعد مماتهم. والمأوى: المصيرُ الذي يأوون إليه يومَ القيامة، فيصيرون فيه. ويعني بقوله: {وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ} أي: وبئسَ الفِراشُ والمضجَعُ جهنَّم (المصدر السابق).

١٩٨- **{لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا}**.

وفي مقابِلهمُ المؤمنون، الذينَ سمعوا نداءَ الإيمانِ فآمنوا وثبتُوا، وعزمُوا على الأعمالِ الصَّالحةِ والتزَموا، فجازاهمُ اللهُ جنَّاتٍ واسعات، تجري في خلالها الأنهارُ المتنوِّعة.. (الواضح).

١٩٩- **{وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ}**.

وهناكَ طائفةٌ مِن أهلِ الكتابِ يؤمنونَ باللهِ حقَّ الإيمان، ويؤمنونَ بما أُنزِلَ على النبيِّ محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم إضافةً إلى إيمانِهم بالكتبِ المتقدِّمة، مثلَ المسلِمين، مع خشوعٍ وخشيةٍ منَ الله، وطاعةٍ له وتذلُّل.

٢٠٠- **{وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}**.

ذكرَ في الآيةِ (١٠٢) من السورة، أن التقوى حاصلُها: امتثالُ الأمر، واجتنابُ المنهي عنه، في الأعمالِ الظاهرة، والنوايا الباطنة.

سورة النساء

١- **{يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}**.

{اتَّقُواْ}: ذكرَ في الآيةِ (١٨٣) من سورةِ البقرة، أن التقوى الشرعيةَ هي اتقاءُ المعاصي.

{إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} أي: هو مراقبٌ لجميعِ أحوالكم وأعمالكم، كما قال: {وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [سورة البروج: ٩]. وفي الحديثِ الصحيح: "اعبدِ اللهَ كأنكَ تراه، فإنْ لم تكنْ تراهُ فإنه يراك". (ابن كثير).

٧- {**لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ**}.

ذكرَ أن النصيبَ تقدَّمَ في قوله: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوْتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ} [الآية ٢٣ من السورة]. وقد ذكرَ هناك أنه القسطُ والحظّ.

١١- {**إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيما حَكِيمًا**}.

{إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيماً} بالخلقِ ومصالحهم، {حَكِيماً} في كلِّ ما قضَى وقدَّرَ ودبَّر. (روح البيان).

١٣- {**وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**}.

ذكرَ في الآيةِ (٢٥) من سورةِ البقرة، أن الجنةَ هي المكانُ الذي تكاثرتْ أشجاره، والتفَّ بعضُها ببعضٍ حتى كثرَ ظلُّها، وذلك من وسائلِ التنعمِ والترفهِ عند البشرِ قاطبة. والجريُ يطلقُ مجازًا على سيلِ الماءِ سيلًا متكررًا متعاقبًا، وأحسنُ الماءِ ما كان جاريًا غيرَ قارّ؛ لأنه يكونُ بذلك جديدًا... وأكملُ محاسنِ الجناتِ جريانُ المياهِ من خلالها... ومعنى {مِنْ تَحْتِهَا}: من أسفلها..

١٦- {**فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَا إِنَّ اللهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا**}.

{فَإِن تَابَا} من الفاحشةِ التي أتيا، فراجَعا طاعةَ الله بينهما، {وَأَصْلَحَا}، يقول: وأصلَحا دينَهما، بمراجعةِ التوبةِ من فاحشتهما، والعملِ بما يرضي الله، {فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَا}، يقول: فاصفحوا عنهما، وكفُّوا عنهما الأذَى الذي كنتُ أمرتكم أن تؤذوهما به عقوبةً لهما على ما أتيا من الفاحشة، ولا تؤذوهما بعد توبتهما. وأما قوله: {إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّاباً رَّحِيماً} فإنه يعني: أن الله لم يزلْ راجعاً لعبيدهِ إلى ما يحبون إذا هم راجعوا ما يحبُّ منهم من طاعته، {رَحِيمًا} بهم، يعني: ذا رحمةٍ ورأفة. (الطبري).

١٨- {**أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**}.

{أَعْتَدْنَا لَهُمْ}: أعدَدنا لهم، {عَذَاباً أَلِيماً} يقول: مؤلماً موجعاً. (الطبري).

٢٠- {أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا}.

أي: آثمين عيانًا، أو للذنبِ الظاهر. (روح البيان).

٢٢- {إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاء سَبِيلا}.

{إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً} أي: إنه فاحشة، و"كان" فيه صلة، والفاحشة: أقبحُ المعاصي، {وَمَقْتاً} أي: يُورثُ مقتَ الله، والمقت: أشدُّ البُغض، {وَسَآءَ سَبِيلاً}: وبئسَ ذلك طريقاً. (البغوي).

٢٤- {وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاء إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاء ذَلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا}.

{كِتَابَ اللهِ عَلَيْكُمْ} أي: كتبَ الله عليكم تحريمَ هؤلاء كتابًا، وفرضَهُ فرضًا. (روح البيان).

{إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا} بما يُصلحُ أمرَ الخَلق، {حَكِيمًا} فيما شرعَ لهم، ومِن ذلكَ عقدُ النكاح، الذي يحفَظُ الأموالَ والأنساب. (روح المعاني).

٢٩- {إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا}.

أي: فيما أمرَكم به، ونهاكم عنه. (ابن كثير).

وكان اللهُ رحيماً بكم عندما نهاكم عن أكلِ الحرامِ وإهلاكِ النَّفس. (الواضح).

٣٠- {وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا}.

... وكان إصلاءُ فاعلِ ذلك النارَ وإحراقهُ بها على الله سهلاً يسيرًا، لأنه لا يقدرُ على الامتناعِ على ربِّهِ مما أرادَ به من سوء... (الطبري).

٣٣- {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا}

يعني بذلكَ جلَّ ثناؤه: فآتُوا الذينَ عقدتْ أيمانُكم نصيبَهم مِن النصرةِ والنصيحةِ والرأي، فإن اللهَ شاهدٌ على ما تفعلونَ مِن ذلك، وعلى غيرِهِ مِن أفعالكم، مراعٍ لكلِّ ذلكَ حافظ، حتى يجازيَ جميعَكم على جميعِ ذلكَ جزاءه، أما المحسنُ منكم المتَّبعُ أمري وطاعتي فبالحُسنَى، وأما المُسيءُ منكم المخالفُ أمري ونهيي فبالسوأى.

ومعنى قوله: {شَهِيدًا}: ذو شهادةٍ على ذلك. (الطبري).

٣٥- {إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا}.

يعني جلَّ ثناؤه: إنَّ اللهَ كانَ عليمًا بما أرادَ الحكمانِ من إصلاحٍ بين الزوجينِ وغيره، خبيرًا بذلكَ وبغيرهِ مِن أمورهما وأمورِ غيرهما، لا يخفَى عليه شيءٌ منه، حافظٌ عليهم، حتى يجازيَ كلاًّ منهم جزاءَهُ بالإحسانِ إحسانًا، وبالإساءةِ غفرانًا أو عقابًا. (الطبري).

٣٦- {وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ}.

تقدَّمَ تفسيرهُ في الآيةِ (١٧٧) من سورةِ البقرة، وكان ملخصُ ما قالَ هناك: ... اليتامى، وهم مظنةُ الضـــعف، لظهورِ أن المرادَ اليتيمُ المحتاجُ حاجةً دون الفقر، وَإنما هو فاقدُ ما كان ينيلهُ أبوهُ من رفاهيةِ عَيش، فإيتاؤهم المالَ يجبرُ صـــدعَ حياتهم. والمســـكين، وهو الفقيرُ الذي أذلَّهُ الفقر، قال: وقد اتفقَ أئمةُ اللغةِ أن المســـكينَ غيرُ الفقير، فقيل: هو أقلُّ فقراً من الفقير، وقيل: هو أشدُّ فقراً، وهذا قولُ الجمهور، وقد يطلقُ أحدُهما في موضعِ الآخَرِ إذا لم يجتمعا...

٣٧- {وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا}.

يعني العقابَ المذلّ. (الطبري).

٣٨- {وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا}.

خليلاً وصاحباً. (الطبري).

٤٣- {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا}.

يقول: فلم يزلْ يسترُ عليهم ذنوبَهم بتركهِ معاجلتَهم العذابَ على خطاياهم، كما سترَ عليكم أيها المؤمنون بتركهِ معاجلتَكم على صلاتِكم في مساجدكم سكارى. (الطبري).

٤٤- {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِـيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْـتَرُونَ الضَّـلاَلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِـلُّواْ السَّبِيلَ}.

{نَصِيبًا}: ذكرَ أنه تقدَّم.. وقد بيَّنَ في الآيةِ ٢٣ من السورة، أن معناهُ القسطُ والحظّ.

{الضَّلاَلَةَ}: ذكرَ تقدُّمها أيضًا، في الآيةِ (١٦) من سورةِ البقرة، وقد قالَ في آخره: ... باعتبارِ أنهم بلغوا الغايةَ في اشتراءِ الضلالةِ والحرصِ عليها، إذ جمعوا الكفرَ والسفهَ والخداعَ والإفسادَ والاستهزاءَ بالمهتدين.

٤٦- {**وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ**}.
واسمعْ منا، وانْظُرنا ما نقول، وانتظرنا نفهمْ عنكَ ما تقولُ لنا. (الطبري).

٤٧- {**أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولا**}.
ذكرَ أن أصحابَ السبتِ هم الذين في قوله: {وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَواْ مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِين} [سورة البقرة: ٦٥]، وقد قالَ هناك: كانت طائفةٌ من سكانِ أيلةَ على البحرِ رأوا تكاثرَ الحيتانِ يومَ السبتِ بالشاطئ، لأنها إذا لم ترَ سفنَ الصيادين وشباكهم أمنتْ فتقدمتْ إلى الشاطئ تفتحُ أفواهها في الماءِ لابتلاعِ ما يكونُ على الشواطئ من آثارِ الطعامِ ومن صغيرِ الحيتانِ وغيرها، فقالوا: لو حفرنا لها حياضًا وشرعنا إليها جداولَ يومَ الجمعة، فتمسكُ الحياضُ الحوتَ إلى يومِ الأحدِ فنصطادها. وفعلوا ذلك، فغضبَ الله تعالى عليهم لهذا الحرصِ على الرزق، أو لأنهم يشغلون بالهم يومَ السبتِ بالفكرِ فيما تحصَّلَ لهم، أو لأنهم تحيَّلوا على اعتياضِ العملِ في السبت. وهذا الذي أحسبه؛ لما اقترنَ به من الاستخفاف، واعتقادهم أنهم علموا ما لم تهتدِ إليه شريعتهم، فعاقبهم الله تعالى بما ذكرَهُ هنا.

٤٩- {**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللهُ يُزَكِّي مَن يَشَاء وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلا**}.
يزكّي: يُطهّرُ ويُبرّئ من الذنوبِ ويُصلِحُ مَن يشاء. (البغوي).

٥٠- {**انظُرْ كَيفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا**}.
{يَفْتَرُونَ}: ذكرَ عند تفسيرِ الآيةِ (٩٤) من سورةِ آلِ عمران، أن الافتراءَ هو الكذب، وهو مرادفُ الاختلاق، وكأن أصلَهُ كنايةٌ عن الكذبِ وتلميح، وشاعَ ذلك حتى صارَ مرادفًا للكذب.

{إِثْمًا مُّبِينًا}: لا يخفَى كونهُ مأثمًا مِن بين آثامِهم. وهذا عبارةٌ عن كونهِ عظيمًا منكرًا. (روح المعاني).

٥٢- {أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا}.

أخزاهم اللهُ فأبعدهم مِن رحمته، بإيمانهم بالجبتِ والطاغوت، وكفرهم باللهِ ورسوله، عنادًا منهم للهِ ولرسوله. ومْن يُخزِهِ اللهُ فيُبعِدهُ مِن رحمته، فلن تجدَ له ناصرًا ينصره... (الطبري، باختصار).

٥٥- {وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا}.

سعيرًا: وقودًا. (البغوي).

أي: وكفَى بالنارِ عقوبةً لهم على كفرهم وعنادهم، ومخالفتِهم كتبَ الله ورسله. (ابن كثير).

٥٦- {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا}.

آياتِ تنزيلهِ ووحي كتابه، وهي دلالاتهُ وحججهُ على صدقِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم. (الطبري).

٥٧- {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا}.

والذين آمنوا بآياتِنا، وأتْبَعوا إيمانَهم بالأعمالِ الصَّالحةِ والطَّاعاتِ المقبولة، سنُدخِلُهم جنّاتٍ كبيرةً وارفةَ الظِّلال، تجري مِن تحتِها الأنهار، مع خلودٍ دائمٍ فيها. (الواضح).

٦١- {رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا}.

أي: يُعرضون عنكَ إعراضاً كالمستكبرين عن ذلك. (ابن كثير).

٦٤- {وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا}.

... وجاؤوا إليكَ معترفينَ بذلك، وأبدَوا ندمَهم فاستغفَروا اللهَ مِن ذنبِهم، واستغفرَ لهم نبيُّهم محمَّدٌ صلى الله عليه وسلم، لتابَ اللهُ عليهم ورَحِمَهم. (الواضح).

٦٥- {**وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**}.

أي: وينقادوا لأمرِكَ انقياداً. (البغوي).

٦٧- {**وَإِذاً لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْراً عَظِيمًا**}.

يعني بذلك جلَّ ثناؤه: {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ} [سورة النساء: ٦٦]؛ لإيتائنا إيّاهم على فعلهم ما وُعظوا به من طاعتِنا والانتهاءِ إلى أمرنا {أَجْراً} يعني: جزاءً وثواباً عظيماً، وأشدَّ تثبيتاً لعزائمهم وآرائهم، وأقوى لهم على أعمالهم. (الطبري).

٧٤- {**وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**}.

فلهُ عندَ اللهِ مثوبةٌ عظيمةٌ وأجرٌ جزيل. (ابن كثير).

٧٦- {**الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا**}.

ذكرَ في الآيةِ (٧٥) من السورة، أن معنى: {فِي سَبِيلِ اللَّهِ}: لأجلِ دينهِ ولمرضاته. اهـ.

{فَقاتِلُوا} أيها المؤمنون {أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ} يعني بذلك: الذين يتولَّونهُ ويطيعونَ أمرَهُ في خلافِ طاعةِ الله والتكذيبِ به، وينصرونه. {إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كانَ ضَعِيفًا} يعني بكيده: ما كادَ به المؤمنين، من تحزيبهِ أولياءَهُ من الكفارِ باللهِ على رسولهِ وأوليائهِ أهلِ الإيمانِ به، يقول: فلا تهابوا أولياءَ الشيطان، فإنما هم حزبهُ وأنصاره، وحزبُ الشيطانِ أهلُ وهنٍ وضَعف.

وإنما وصفَهم جلَّ ثناؤهُ بالضعف، لأنهم لا يقاتلون رجاءَ ثواب، ولا يتركون القتالَ خوفَ عقاب، وإنما يقاتلون حميَّةً أو حسدًا للمؤمنينَ على ما آتاهم اللهُ من فضله، والمؤمنونَ يقاتلُ مَن قاتلَ منهم رجاءَ العظيمِ من ثوابِ الله، ويتركُ القتالَ إنْ تركَهُ على خوفٍ من وعيدِ الله في

تركه، فهو يقاتلُ على بصيرةٍ بما له عندَ اللهِ إنْ قُتل، وبما له من الغنيمةِ والظفرِ إنْ سَلم. والكافرُ يقاتلُ على حذرٍ من القتل، وإياسٍ من مَعاد، فهو ذو ضعفٍ وخوف (الطبري).

٧٧- **{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّواْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلا}**.

{وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ} يقول: وأدُّوا الصلاةَ التي فرضَها الله عليكم بحدودها، {وَآتُواْ الزَّكَاةَ} يقول: وأعطُوا الزكاةَ أهلَها، الذين جعلها الله لهم من أموالِكم، تطهيراً لأبدانكم وأموالكم.

{وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى} يعني: ونعيمُ الآخرةِ خير، لأنها باقية، ونعيمها باقٍ دائم، لمن اتقَى الله بأداءِ فرائضهِ واجتنابِ معاصيه، فأطاعَهُ في كلِّ ذلك. (الطبري، باختصار).

٧٩- **{وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا}**.

أي: على أنه أرسلك، وهو شهيدٌ أيضاً بينك وبينهم، وعالمٌ بما تبلِّغُهم إيّاه، وبما يردُّون عليكَ من الحقِّ كفراً وعناداً. (ابن كثير).

٨٤- **{عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا}**.

البأسُ في الأصل: المكروه، ثم وُضِعَ موضعَ الحربِ والقتال، قالَ تعالى: {وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا} [سورة الأحزاب: ١٨]. (روح البيان).

٨٧- **{اللّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ حَدِيثًا}**.

{ٱللَّهُ لاَ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ}: إخبارٌ بتوحيدهِ وتفردهِ بالإلهيةِ لجميعِ المخلوقات، وتضمنَ قسَماً؛ لقوله: {لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ}، وهذه اللامُ موطِّئةٌ للقسَم، فقوله: {ٱللَّهُ لاَ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ}: خبرٌ وقسَمٌ أنه سيجمعُ الأولين والآخِرين في صعيدٍ واحد، فيجازي كلَّ عاملٍ بعمله،

وقولهُ تعالى: {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثاً} أي: لا أحدَ أصدقُ منه في حديثهِ وخبره، ووعدهِ ووعيده، فلا إله إلا هو، ولا ربَّ سواه. (ابن كثير).

٨٨- {وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا}.

ومَن خذلَهُ عن دينهِ واتّباعِ ما أمرَهُ به، مِن الإقرارِ به وبنبيّهِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم وما جاءَ به مِن عنده، فأضلَّهُ عنه، فلن تجدَ له يا محمدُ طريقًا تهديهِ فيها إلى إدراكِ ما خذلَهُ اللهُ عنه، ولا منهجًا يصلُ منه إلى الأمرِ الذي قد حرمَهُ الوصولَ إليه. (الطبري).

٩١- {كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى الْفِتْنِةِ أُرْكِسُواْ فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثِقِفْتُمُوهُمْ}.

{أُرْكِسُواْ}: قالَ في معنى {أَرْكَسَهُم} في الآيةِ (٨٨) من السورة: ردَّهم إلى حالهم السوأى، لأنّ معنى أركس: رَدَّ إلى الرِّكْس، والركسُ قريبٌ من الرجس. وفي حديثِ الصحيحِ في الروث: "إنّ هذا رِكْسٌ". وقيل: معنى أركسَ نكس، أي: ردَّ ردًّا شنيعاً، وهو مقاربٌ للأول. وقد جعلَ الله ردَّهم إلى الكفرِ جزاءً لسوءِ اعتقادهم، وقلَّةِ إخلاصهم مع رسوله صلى الله عليه وسلم، فإنّ الأعمالَ تتوالدُ من جنسها، فالعملُ الصالحُ يأتي بزيادةِ الصالحات، والعملُ السيّءُ يأتي بمنتهى المعاصي. اهـ.

{فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُواْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثِقِفْتُمُوهُمْ}: فإذا لم يَكفُّوا عن التعرُّضِ لكم بوجهٍ ما، ولم يُلقُوا إليكم الصُّلحَ والمهادنة، ولم يَكفُّوا أنفسَهُم عن قتالِكم، فخُذوهم أُسرَاءَ واقتُلوهم أينما وجدتُموهم. (الواضح في التفسير).

٩٢- {وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا}.

{وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيماً} بمن قتلَ خطأً، {حَكِيماً} فيما حكمَ به عليكم. (البغوي).

٩٣- {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا}.

... وغضبَ اللهُ بقتلهِ إيَّاهُ متعمِّدًا، وأبعدَهُ من رحمته، وأخزاه، وأعدَّ له عذابًا لا يعلمُ قدرَ مبلغهِ سواهُ تعالى ذكره. (تفسير الطبري، باختصار).

٩٤- {**وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُواْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**}.

{عَرَضَ}: عرَضُ الدنيا ما يُتمتَّعُ به فيها من المال، نقدًا كان أو غيره، قليلًا كان أو كثيرًا، يقال: الدنيا عرَضٌ حاضرٌ يأكلُ منها البَرُّ والفاجر، وتسميتهُ عرَضًا تنبيهٌ على أنه سريعُ الفناء، قريبُ الانقضاء. (روح البيان).

{إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا}: إنَّ اللهَ كان بقتلِكم مَن تَقتلون، وكفِّكم عمّن تكفُّونَ عن قتلهِ مِن أعداءِ اللهِ وأعدائكم، وغيرِ ذلكَ مِن أمورِكم وأمورِ غيرِكم، {خَبِيرًا}: يعني ذا خبرةٍ وعلمٍ به، يحفظهُ عليكم وعليهم، حتى يجازيَ جميعَكم به يومَ القيامة، جزاءَ المحسنِ بإحسانه، والمسيءِ بإساءته. (الطبري).

٩٥- {**وَكُلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى**}.

{وَكُلاًّ}: من القاعدين والمجاهدين، {وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى} أي: المثوبةَ الحُسنَى، وهي الجنة؛ لحُسنِ عقيدتهم، وخلوصِ نيَّتهم، وإنما التفاوتُ في زيادةِ العملِ المقتضي لمزيدِ الثواب. (روح البيان).

٩٦- {**دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا**}.

{دَرَجَاتٍ مِّنْهُ}: فضائلَ منه ومنازلَ من منازلِ الكرامة... ثم قال: وأولَى التأويلات بتأويلِ قوله: {دَرَجَاتٍ مِّنْهُ} أن يكونَ معنيًّا به درجاتِ الجنة، {وَمَغْفِرَةً}: وصفحَ لهم عن ذنوبهم، فتفضَّلَ عليهم بتركِ عقوبتهم عليها، {وَرَحْمَةً}: ورأفةً بهم، {وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً}: ولم يزلِ الله غفورًا لذنوبِ عبادهِ المؤمنين، فيصفحُ لهم عن العقوبةِ عليها، رحيمًا بهم، يتفضَّلُ عليهم بنعمه، مع خلافهم أمرَهُ ونهيه، وركوبهم معاصيه. (الطبري، باختصار).

٩٧- {**وَسَاءَتْ مَصِيرًا**}.

وساءتْ جهنمُ لأهلِها، الذين صاروا إليها مصيرًا ومسكنًا ومأوى (الطبري).

٩٩- {وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا}.

معنى كونهِ عفوًّا: صفحهُ وإعراضهُ عن العقوبة، ومعنى كونهِ غفورًا: سترُ القبائحِ والذنوبِ في الدنيا والآخرة، فهو كاملُ العفو، تامُّ الغفران. (روح البيان).

١٠٠- {وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا}.

يقول: ولم يزلِ الله تعالى ذكرهُ غفورًا، يعني ساترًا ذنوبَ عبادهِ المؤمنين، بالعفوِ لهم عن العقوبةِ عليها، رحيمًا بهم، رفيقًا. (تفسير الطبري).

١٠١- {وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ الصَّلاَةِ}.

أي: حرجٌ وإثم. (البغوي).

١٠٣- {إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا}.

واجبًا مفروضًا. (البغوي).

١٠٤- {وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا}.

{وَلَا تَهِنُوا} أي: لا تضعفوا.

{وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً} أي: هو أعلمُ وأحكمُ فيما يقدّرهُ ويقضيه، وينفذهُ ويمضيه، من أحكامهِ الكونيةِ والشرعيةِ، وهو المحمودُ على كلِّ حال. (ابن كثير).

١٠٦- {وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا}.

إنَّ اللهَ لم يزلْ يصفحُ عن ذنوبِ عبادهِ المؤمنينَ بتركهِ عقوبتهم عليها إذا استغفروهُ منها، رحيمًا بهم، فافعلْ ذلكَ أنتَ يا محمَّدُ يغفرِ اللهُ لكَ ما سلفَ مِن خصومتِكَ عن هذا الخائن. (الطبري).

١٠٧- {إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا}.

{إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ}: عدمُ المحبةِ كنايةٌ عن البغضِ والسخط. (روح البيان)، {مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا}: كثيرَ الخيانةِ مفرطًا فيها، منهمكًا في الإثم (روح المعاني).

١٠٨- {وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا}.

أي بعملِهم، أو بالذي يعملونَهُ من الأعمالِ الظاهرةِ والخافية، حفيظًا، أو عالمًا، لا يعزبُ عنه شيءٌ ولا يفوت. (روح المعاني، بشيء من الاختصار).

١٠٩- {هَاأَنتُمْ هَؤُلاء جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلا}.

الاستفهامُ للإنكارِ والتوبيخ، أي: فمن يخاصمُ ويجادلُ الله عنهم يومَ القيامةِ عند تعذيبهم بذنوبهم؟ {أَمْ مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً} أي: مجادلاً ومخاصماً، والوكيلُ في الأصل: القائمُ بتدبيرِ الأمور. والمعنى من ذاك: يقومُ بأمرهم إذا أخذهم الله بعذابه. (فتح القدير).

١١١- {وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا}.

{يَكْسِبْ}: يعني بذلك جلَّ ثناؤه: ومن يأتِ ذنباً على عمدٍ منه له ومعرفةٍ به.

وأما قوله: {وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً} فإنه يعني: وكان الله عالماً بما تفعلون أيها المجادلون عن الذين يختانون أنفسهم في جدالكم عنهم، وغيرِ ذلك من أفعالكم وأفعالِ غيركم، وهو يُحصيها عليكم وعليهم، حتى يجازيَ جميعكم بها.

{حَكِيماً}، يقول: وهو حكيمٌ بسياستكم وتدبيركم، وتدبيرِ جميعِ خلقه. (الطبري).

١١٢- {وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا}.

ذكرَ في تفسيرِ الآيةِ السابقة، أن الإثمَ هو الكبيرة.

١١٣- {وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مُّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا}.

{وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ} أي: وما يضرُّونكَ شيئاً من الضرر؛ لما أنه تعالى عاصمُكَ عن الزيغِ في الحكم، وأما ما خطرَ ببالِكَ فكان عملاً منكَ بظاهرِ الحال، ثقةً بأقوالِ القائلين من غيرِ أن يخطرَ لكَ أن الحقيقةَ على خلافِ ذلك...

{وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا}: لا تحويهِ عبارة، ولا تحيطُ به إشارة، ومن ذلكَ النبوَّةُ العامَّة، والرئاسةُ التامَّة، والشفاعةُ العظمَى يومَ القيامة (روح المعاني).

١١٤- {وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا}.

فسوفَ نعطيهِ جزاءً لما فعلَ مِن ذلكَ عظيمًا، ولا حدَّ لمبلغِ ما سمَّى اللهُ عظيمًا يعلمهُ سواه. (الطبري).

١١٥- {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا}.

قال ابنُ كثير رحمَهُ الله: جعلَ النارَ مصيرَهُ في الآخرة؛ لأن مَن خرجَ عن الهُدَى لم يكنْ له طريقٌ إلا إلى النارِ يومَ القيامة.

١١٦- {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ تفسيره، ويعني في الآية (٤٨) من السورة، وقد أطالَ هناك وتوسَّع.

وقال الإمامُ الطبري مختصرًا وبما يناسبُ الموقف: إنَّ اللهَ لا يغفرُ لـ "طعمة" إذْ أشركَ وماتَ على شركهِ بالله، ولا لغيرهِ مِن خلقهِ بشركهم وكفرهم به، ويغفرُ ما دونَ الشركِ باللهِ مِن الذنوبِ لمن يشاء.

١١٩- {وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا}

أي: فقد خسرَ الدنيا والآخرة، وتلكَ خسارةٌ لا جبرَ لها، ولا استدراكَ لفائتها. (ابن كثير).

١٢٠- {يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا}.

هذا إخبارٌ عن الواقع، فإن الشيطانَ يَعِدُ أولياءه، ويمنّيهم بأنهم هم الفائزون في الدنيا والآخرة، وقد كذبَ وافترى في ذلك، ولهذا قالَ الله تعالى: {وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً}، كما قالَ تعالى مخبراً عن إبليسَ يومَ المعاد: {وَقَالَ ٱلشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ ٱلأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِّن سُلْطَانٍ}، إلى قوله: {إِنَّ ٱلظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [سورة إبراهيم: ٢٢]. (ابن كثير).

وقالَ العلّامة إسماعيل حقي في أوله: {يَعِدُهُمْ} ما لا ينجزه، من طولِ العمر، والعافية، ونيلِ لذائذِ الدنيا، من الجاهِ والمالِ وقضاءِ شهواتِ النفس، {وَيُمَنِّيهِمْ} ما لا ينالون، نحو: أنْ لا بعثَ ولا حسابَ ولا جزاء، أو نيلِ المثوباتِ الأخرويةِ من غيرِ عمل.. (روح البيان).

١٢١- {أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلاَ يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا}.

أي: مصيرُهم ومآلهم يومَ القيامة. (ابن كثير).

١٢٢- {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا}.

{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}: صلاحُ الأعمالِ في إخلاصها، فالعملُ الصالحُ هو ما أريدَ به وجهُ الله تعالى، وينتظمُ جميعَ أنواعه، من الصلاةِ والزكاةِ وغيرهما، {سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} أي: أنهارُ الماءِ واللبنِ والخمرِ والعسل، {خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} أي: مقيمين في الجنةِ إلى الأبد. (روح البيان).

١٢٤- {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا}.

ومَن يعملِ الأعمالَ الصالحةَ مِن عباده، ذكوراً أو إناثاً، مع الإيمانِ الصحيح، فأولئكَ يدخُلونَ الجنَّةَ جزاءَ أعمالِهم، ولا يُنقَصُونَ شيئاً مِن ثوابِها، ولو كانَ شيئاً قليلاً جدّاً، حتَّى لو كان مثلَ الخيطِ الذي في شِقِّ النَّواة. (الواضح).

١٢٦- {**وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ**}.

الجميعُ مُلكهُ وعبيدهُ وخَلقه، وهو المتصرِّفُ في جميعِ ذلك، لا رادَّ لما قضَى، ولا معقِّب لما حكم، ولا يُسألُ عمّا يفعل، لعظمتهِ وقدرتهِ، وعدلهِ وحكمته، ولطفهِ ورحمته. (ابن كثير).

١٢٧- {**وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاء قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاء اللَّاتِي لاَ تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا**}.

{وَيَسْتَفْتُونَكَ} أي: يستخبرونك. (البغوي).

وقوله: {وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيماً} تهييجًا على فعلِ الخيرات، وامتثالِ الأمر، وأنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ عالمٌ بجميعِ ذلك، وسيجزي عليه أوفرَ الجزاءِ وأتمَّه (ابن كثير).

١٢٨- {**وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**}.

{نُشُوزاً}: تجافياً عنها وترفعاً عن صحبتها؛ كراهةً لها ومنعاً لحقوقها، {أَوْ إِعْرَاضاً}: بأن يقلَّ مجالستَها ومحادثتَها.

{وَإِن تُحْسِنُواْ} في العشرة، {وَتَتَّقُواْ} النشوزَ والإعراضَ ونقصَ الحق، {فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ} من الإحسانِ والخصومةِ {خَبِيراً}: عليماً به، وبالغرضِ فيه، فيجازيكم عليه. (البيضاوي).

١٢٩- {وَلَن تَسْتَطِيعُواْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ النِّسَاء وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلاَ تَمِيلُواْ كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا}.

{وَلَوْ حَرَصْتُمْ} أي: على تحرّي ذلك وبالغتُم فيه.

{وَإِن تُصْلِحُواْ} ما كنتم تفسدون من أمورهنّ، {وَتَتَّقُواْ} فيما يُستقبَلُ من الزمان، {فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُوراً}: يغفرُ لكم ما مضَى من ميلكم. (البيضاوي)، {رَّحِيمًا}: يتفضَّلُ عليكم برحمته. (روح البيان).

١٣٠- {وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا}.

{مِّن سَعَتِهِ}: غناهُ وقدرته، {وَكَانَ ٱللَّهُ وَاسِعاً حَكِيماً}: مقتدراً، متقناً في أفعالهِ وأحكامه. (البيضاوي).

١٣٣- {إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا}.

أي: هو قادرٌ على إذهابِكم وتبديلِكم بغيركم إذا عصيتُموه. (ابن كثير).

١٣٤- {مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا}.

وكان الله سميعًا لما يقولُ هؤلاءِ المنافقون، الذين يريدونَ ثوابَ الدنيا بأعمالهم، وإظهارِهم للمؤمنينَ ما يُظهِرونَ لهم إذا لَقُوا المؤمنينِ وقولِهم لهم آمنّا. {بَصِيرًا}: يعني وكان ذا بصرٍ بهم وبما هم عليه منطوونَ للمؤمنينَ فيما يكتمونَهُ ولا يُبدونَهُ لهم مِن الغِشّ والغلّ الذي في صدورهم. (الطبري).

١٣٥- {فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ}.

قالَ الإمامُ الطبري: فلا تتبعوا أهواءَ أنفسكم...

وقالَ ابنُ كثير: فلا يحملنَّكم الهوى والعصبيةُ وبغضُ الناسِ إليكم...

١٣٦- {وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا}.

معناه: ومَن يكفرْ بمحمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم، فيجحدُ نبوَّته، فهو يكفرُ باللهِ وملائكتهِ وكتبهِ ورسلهِ واليومِ الآخر، لأنَّ جحودَ الشيءِ مِن ذلكَ بمعنى جحودهِ جميعه، وذلكَ لأنه لا يصحُّ إيمانُ أحدٍ مِن الخلقِ إلا بالإيمانِ بما أمرَهُ اللهُ بالإيمانِ به، والكفرُ بشيءٍ منه كفرٌ بجميعه، فلذلكَ قال: {وَمَنْ يَكْفُرْ باللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ} بعقبِ خطابهِ أهلَ الكتاب، وأمرهِ إيّاهم بالإيمانِ بمحمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم تهديدًا منه لهم، وهم مقرُّون بوحدانيةِ اللهِ والملائكةِ والكتبِ والرسلِ واليومِ الآخرِ سوَى محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم وما جاءَ به مِن الفرقان.

وأما قوله: {فَقَدْ ضَلّ ضَلالاً بَعِيدا} فإنه يعني: فقد ذهبَ عن قصدِ السبيل، وجارَ عن محجَّةِ الطريقِ إلى المهالكِ ذهابًا وجورًا بعيدًا، لأنَّ كفرَ مَن كفرَ بذلك خروجٌ منه عن دينِ اللهِ الذي شرعَهُ لعباده، والخروجُ عن دينِ الله: الهلاكُ الذي فيه البوار، والضلالُ عن الهُدَى هو الضلال. (الطبري).

١٣٨- {بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا}.

يعني: بأن لهم يومَ القيامةِ من الله على نفاقهم عذابًا أليمًا، وهو الموجِع، وذلك عذابُ جهنم. (الطبري).

١٣٩- {الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعًا}.

{أَوْلِيَاء}: أولياءَ وأنصاراً أو بطانة.

{الْعِزَّةَ}: أي: المعونةَ والظهورَ على محمدٍ صلَّى الله عليه وسلم وأصحابه. وقيل: أيطلبون عندهم القوةَ والغلبة؟ (البغوي).

١٤٢- {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ الكلامُ على معنى مخادعةِ المنافقين اللهَ تعالى في سورةِ البقرة، عند قوله: {يُخَادِعُونَ اللّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا} [الآية ٩]، وقد أطالَ فيه، ومما قاله: ... فهم قصدوا خداعَ المؤمنين؛ لأنهم

يكذِّبون أن يكونَ الإسلامُ من عند الله، فلمّا كانت مخادعتهم المؤمنين لأجلِ الدِّين، كان خداعُهم راجعاً لشارعِ ذلك الدين..

١٤٣- {**وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا**}.

أي: يخذله، ويسلبهُ التوفيق. (فتح القدير).

١٤٤- {**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ**}.

يعني مصاحبتهم، ومصادقتهم، ومناصحتهم، وإسرارَ المودةِ إليهم، وإفشاءَ أحوالِ المؤمنين الباطنةِ إليهم.. (ابن كثير).

الجزء السادس

١٥١- {**وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا**}.

يُهينُهم ويُذلُّهم جزاءَ كفرِهم الذي ظنُّوا به العزَّة. (روح المعاني).

١٥٢- {**وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ**}.

{وَلَمْ يُفَرّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مّنْهُمْ}: بأنْ يؤمنوا ببعضٍ ويكفروا بآخرين، كما فعلَ الكفرة، {أُوْلَئِكَ} المنعوتون بهذه النعوتِ الجليلةِ، {سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ} اللهُ تعالى {أُجُورَهُمْ} الموعودةَ لهم. (روح المعاني، باختصار).

١٥٣- {**فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ**}.

قالَ عند تفسيرِهِ الآيةَ (٥٥) من سورةِ البقرة {فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ}: ... والصاعقةُ نارٌ كهربائيةٌ من السحابِ تُحرقُ من أصابته، وقد لا تظهرُ النار، ولكن يصلُ هواؤها إلى الأحياء، فيختنقون بسببِ ما يخالطُ الهواءَ الذي يتنفسون فيه من الحوامضِ الناشئةِ عن شدةِ الكهربائية. وقد قيل: إن الذي أصابهم نار، وقيل: سمعوا صعقةً فماتوا.

١٥٤- {**وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ**}.

ورفعنا فوقَ رؤوسِهم جبلَ الطورِ ليُعطُوا ميثاقَهم بقبولِ شريعةِ التَّوراة، فلمّا رأوهُ كالظُّلَّةِ فوقهم خافوا أنْ يقعَ عليهم، فوافقوا وعاهدوا.

وقلنا لهم على لسانِ نبيِّهم موسَى: إذا دخلتُم بابَ بيتِ المقدِسِ فادخلوا ساجدينَ خاضعين.

فلم يفعلوا، بل عاندوا وخالفوا ودخلوا زاحفينَ على أُستاهُم!

ووصَّيناهم بأنْ لا يَظلِموا أنفُسَهم باصطيادِ الحيتانِ في يومِ السَّبت. (الواضح).

١٥٥- {فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ}.

فبمخالفتِهم ونكثِهم عهودَهم ومواثيقَهم التي ائتُمِنوا عليها، وكفرِهم بالمعجزاتِ والحُجَجِ الدالَّةِ على صدقِ أنبيائهِ، وقتلِهمُ الأنبياءَ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ بغيرِ حقّ، كزكريّا ويحيَى عليهما السَّلام. وقولِهم للنبيّ محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم: قلوبُنا مغلَّفةٌ لا يَصِلُ إليها كلامُكَ ولا تَعِيه! (الواضح).

١٦١- {وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا}.

وجعلنا للكافرينَ باللهِ وبرسولهِ محمَّدٍ مِن هؤلاءِ اليهودِ العذابَ الأليم، وهو الموجِعُ مِن عذابِ جهنَّم، عدةً يصلَونَها في الآخرةِ إذا وردوا على ربِّهم، فيعاقبهم بها. (الطبري).

١٦٥- {رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ}.

أرسلتُهم رسُلاً إلى خَلقي وعبادي مبشِّرينَ بثوابي مَن أطاعني واتَّبعَ أمري وصدَّق رسُلي، ومُنذِرينَ عقابي مَن عصاني وخالفَ أمري وكذَّب رسُلي. (الطبري).

١٧٠- {وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا}.

والله عليمٌ بأحوالِكم وبمن يستحقُّ الهدايةَ منكم فيَهديه، حكيمٌ فيما يشرِّعهُ ويدبِّرهُ ويقدِّره. (الواضح).

١٧١- {وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ}.

{انتَهُواْ} أي: عن التثليث، {خَيْرًا لَّكُمْ} أي: انتهاءً خيرًا لكم، أو ائتوا خيرًا لكم من القولِ بالتثليث. (روح البيان).

١٧٢- {وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا}.

يعني جلَّ ثناؤهُ بذلك: ومَن يتعظَّمْ عن عبادةِ ربه، ويأنفْ مِن التذلُّلِ والخضوعِ له بالطاعةِ مِن الخلقِ كلِّهم، ويستكبرْ عن ذلك، فسيبعثُهم يومَ القيامةِ جميعًا، فيجمعُهم لموعدِهم عنده. (الطبري).

١٧٣- {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا}.

{فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}: فأما المؤمنونَ المقرُّون بوحدانيةِ الله، الخاضعون له بالطاعة، المتذلِّلون له بالعبودية، والعاملون الصالحاتِ من الأعمال...

{وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا}: وأما الذين تعظَّموا عن الإقرارِ للهِ بالعبودةِ والإذعانِ له بالطاعة، واستكبروا عن التذلُّلِ لألوهتهِ وعبادتهِ وتسليمِ الربوبيةِ والوحدانيةِ له، فيعذِّبهم عذابًا موجعًا، ولا يجدُ المستنكفونَ من عبادتهِ والمستكبرونَ عنها إذا عذَّبهم اللهُ الأليمَ من عذابهِ سوَى اللهِ لأنفسِهم، وليًّا ينُجيهم من عذابهِ وينقذُهم منه، ولا ناصرًا ينصرهم، فيستنقذُهم من ربِّهم ويدفعُ عنهم بقوَّتهِ ما أحلَّ بهم من نقمته، كالذي كانوا يفعلونَ بهم إذا أرادَهم غيرُهم من أهلِ الدنيا في الدنيا بسوءٍ من نصرتِهم والمدافعةِ عنهم. (الطبري، باختصار).

١٧٥- {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ}

يرحمهم فيُدخلهم الجنة، ويزيدُهم ثوابًا ومضاعفةً ورفعًا في درجاتهم مِن فضلهِ عليهم وإحسانهِ إليهم. (ابن كثير).

١٧٦- {وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}.

هو عالمُ بعواقبِ الأمورِ ومصالحها، وما فيها مِن الخيرِ لعباده، وما يستحقُّهُ كلُّ واحدٍ من القرباتِ بحسبِ قربهِ من المتوفَّ. (ابن كثير).

سورة المائدة

٢- {وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَـنَآنُ قَوْمٍ أَن صَـدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْـجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}.

{صَدُّوكُمْ}: أي: لأنْ منعوكم عن زيارتِهِ والطوافِ به للعمرةِ عامَ الحديبية.

{الْبرِّ وَالتَّقْوَى}: أي: على العفوِ، والإغضاءِ، ومتابعةِ الأمر، ومجانبةِ الهوى.

{الإِثْمِ}: المعاصي.

{وَاتَّقُواْ اللّهَ} في جميعِ الأمور، التي من جملتها مخالفةُ ما ذُكِرَ من الأوامرِ والنواهي، فثبتَ وجوبُ الاتقاءِ فيها بالطريقِ البرهاني، {إِنَّ اللّهَ شَـدِيدُ الْعِقَابِ}: فانتقامهُ أشـدُّ لمن لا يتقيه. (روح البيان).

٣- {الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَـوْهُمْ وَاخْشَـوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِـيتُ لَكُمُ الإِسْـلاَمَ دِينًا فَمَنِ اضْـطُرَّ فِي مَخْمَصَـةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيم}.

{وَاخْشَوْنِ}: فأنا القادرُ على كلِّ شيء، إن نصرتكم فلا غالبَ لكم، وإن خذلتكم لم يستطعْ غيري أن ينصركم. (فتح القدير).

{رَّحِيم} يقول: وهو به رفيق، من رحمتِهِ ورفقِهِ به أباحَ له أكلَ ما أباحَ له أكلَه، من الميتةِ وسائرِ ما ذُكِرَ معها في هذه الآية، في حالِ خوفِهِ على نفسه، من كَلَب الجوعِ، وضُرِّ الحاجةِ العارضةِ ببدنه. (الطبري).

٤- {وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ}.

يعني جلَّ ثناؤه: واتَّقوا اللهَ أيها الناسُ فيما أمركم به وفيما نهاكم عنه، فاحذروهُ في ذلك أنْ تُقدِموا على خلافه، وأنْ تأكلوا مِن صيدِ الجوارحِ غيرِ المعلَّمة، أو ممّا لم تُمسِكْ عليكم مِن صيدها وأمسكتهُ على أنفسِها، أو تَطعَموا ما لم يُسَمَّ اللهُ عليه مِن الصيدِ والذبائح، ممَّا صادَهُ

أهلُ الأوثانِ وعبدةُ الأصنام، ومَن لم يوحِّدِ اللهَ مِن خلقه، أو ذبحوه، فإنَّ الله قد حرَّمَ ذلكَ عليكم فاجتنبوه.

ثم خوَّفهم إنْ هم فعلوا ما نهاهُم عنه مِن ذلكَ ومِن غيره، فقال: اعلموا أن اللهَ سريعٌ حسابهُ لمن حاسبَهُ على نعمتهِ عليه منكم، وشكرِ الشاكرِ منكم ربَّهُ على ما أنعمَ به عليه بطاعتهِ إياهُ فيما أمرَ ونهَى، لأنه حافظٌ لجميعِ ذلك فيكم، فيحيطُ به، لا يخفَى عليه منه شيء، فيجازي المطيعَ منكم بطاعته، والعاصيَ بمعصيته، وقد بيَّن لكم جزاءَ الفريقين. (تفسير الطبري).

٥- {**مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ**}.

ذكرَ أن القولَ فيه كالقولِ في نظيرهِ الذي تقدَّمَ في هذه السورة: {مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلاَ مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ}. وهو في الآيةِ (٢٥) من سورةِ النساء، وليس في هذه السورة. وقد قالَ هناك: وقوله: {مُحْصَنَاتٍ} حالٌ من ضميرِ الإماء، والإحصانُ التزوّجُ الصحيح، فهي حالٌ مقدَّرة، أي: ليصرنَ محصنات. وقوله: {غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ}: صفةٌ للحال، وكذلك: {وَلاَ مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ}، قُصِدَ منها تفظيعُ ما كانت ترتكبهُ الإماءُ في الجاهليةِ بإذنِ مواليهنَّ لاكتسابِ المالِ بالبغاءِ ونحوه، وكان الناسُ يومئذٍ قريبًا عصرُهم بالجاهلية. والمسافحات: الزواني مع غيرِ معيّن. ومتّخذاتُ الأخدانِ هنَّ متّخذاتُ أخلاّء، تتّخذُ الواحدةُ خليلاً تختصُّ به لا تألَفُ غيره. وهذا وإن كان يشبهُ النكاحَ من جهةِ عدمِ التعدُّد، إلاّ أنه يخالفهُ من جهةِ التستر، وجهلِ النسب، وخلعِ برقعِ المروءة، ولذلك عطفَهُ على قوله: {غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ} سدًّا لمداخلِ الزنا كلِّها.

وقد قالَ في الآيةِ التي قبلها من سورةِ النساء: {مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ} أي: محصنين أنفسكم من الزنى، والمراد: متزوّجين على الوجهِ المعروف. {غَيْرَ مُسَافِحِينَ}: حالٌ ثانية، والمسافح: الزاني...

٦- {**وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ**}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ نظيرهُ في سورةِ النساء، ويعني الآيةَ (٤٣) منها: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلاَ جُنُبًا إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىَ تَغْتَسِلُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مِّنكُم مِّن الْغَآئِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا}. وهو مفصلٌ هناك، مطوَّل. ومختصرُ تفسيره: وإذا كنتُم مُجنِبينَ فاغتَسِلوا. وإذا كنتُم مرضَى ويَضرُّكمُ استعمالُ الماءِ معه، أو كنتُم مسافرين، أو جئتُم مِن الغائطِ (أي قضاءِ الحاجة)، أو لامستمُ النساءَ – على الخلافِ الواردِ بين المفسِّرين والفقهاءِ، مِن معنَى الجِماعِ أو مسِّ البشَرة – ولم تجدوا ماءً تتوضَّؤون به، فتيمَّموا تراباً طاهراً، أو ما صعدَ منَ الأرضِ مِن رملٍ وحجَرٍ وغيرِه، على أقوال، فامسَحوا وجوهَكم به، ثمَّ أيديكم إلى المرافق... (الواضح في التفسير).

٨- {**وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُون**}.

{وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ}. ذكرَ أنه تقدَّم، وهو في الآيةِ الثانيةِ من السورة: {وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ}. وفيه اختلافُ ألفاظ.

وأشارَ هناك إلى معنى {يَجْرِمَنَّكُمْ} في هذه السورة، بأنه: يحملنَّكم. والشنآن: هو البغض، وقيل: شدَّةُ البغض، وهو المناسب، لعطفهِ على البغضاء. اهـ.

وتفسيرُ الآية: ولا يَحملنَّكم بغضُ قومٍ على ظلمِهم وعدمِ إقامةِ العدلِ فيهم، بلِ اعدِلوا فيهم وإنْ أساؤوا إليكم، وأنصِفوا فيهم وإنْ مالوا وظَلموا، فإنَّ عدلَكم معهم أقربُ إلى رِضا اللهِ واتِّقاءِ عذابِه.

قالَ الفخرُ الرازيُّ رحمَهُ الله: "وفيهِ تنبيهٌ عظيمٌ على وجوبِ العدلِ مع الكفّار، الذينَ هم أعداءُ اللهِ تعالَى، فما الظنُّ بوجوبهِ مع المؤمنين، الذينَ هم أولياؤهُ وأحبّاؤه"؟!

فواظِبوا على تقوَى اللهِ وطاعتهِ والخوفِ منه، فإنَّهُ خبيرٌ بأعمالِكم كلِّها، وسيُجازيكم عليها. (الواضح).

٩- {**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ**}.

وعدَ اللهُ الذين صـدَّقوا اللهَ ورسـوله، وأقرُّوا بما جاءَهم به مِن عندِ ربِّهم، وعملوا بما واثقَهم اللهُ به، وأوفَوا بالعقودِ التي عاقدهم عليها، وأطاعوه، فعملوا بما أمرهم اللهُ به، وانتهَوا عمّا نهاهم عنه، لهم مغفرة، وأجرٌ عظيم. والعظيمُ مِن خيرٍ غيرُ محدودٍ مبلغُه، ولا يَعرفُ منتهاهُ غيرهُ تعالَى ذكره. (الطبري، باختصار).

١٠- {**وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ**}.

والذين جحدوا وحدانيةَ الله، ونقضـوا ميثاقَهُ وعقودَهُ التي عاقدوها إيّاه، وكذَّبوا بأدلَّةِ اللهِ وحُجَجِهِ الدالَّةِ على وحدانيتهِ التي جاءتْ بها الرسلُ وغيرُها، هؤلاءِ أهلُ النار، الذين يخلدونَ فيها ولا يخرجونَ منها أبدًا. (الطبري، بشيء من الاختصار).

١٢- {**وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ**}.

{وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضاً حَسَناً}: وهو الإنفاقُ في سبيلهِ وابتغاءَ مرضاته، {لأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ} أي: ذنوبكم، أمحوها وأسترها، ولا أؤاخذكم بها، {وَلأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلأَنْهَٰرُ} أي: أدفعُ عنكم المحذور، وأحصلُ لكم المقصود.

وقوله: {فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ} أي: فمن خالفَ هذا الميثاق بعد عقدهِ وتوكيدهِ وشدِّه، وجحَدَه، وعاملَهُ معاملةَ من لا يعرفه، فقد أخطأ الطريقَ الواضح، وعدلَ عن الهدَى إلى الضلال. (ابن كثير).

١٢- {**وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيل**}.

{وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ}: أخذَ الله عهدَ طائفةِ اليهود.

{وَآمَنتُم بِرُسُلِي} أي: بجميعهم. (روح البيان).
{وَلأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنكُمْ}: ولأدخلنَّكم جزاءَ أعمالكم المرضـــيَّةِ جنّات، تجري مِن تحتِها الأنهار. ومَن خالفَ الوعدَ ونقضَ الميثاق، فكفرَ بالله، وكذَّبَ رسُلي، فقد ابتعدَ عن الهُدى.. (الواضح).

١٣- {**فَبِمَا نَقْضِـهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِـيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِـعِهِ وَنَسُـــوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**}.
{فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ}: ذكرَ أنه تقدَّمَ نظيرهُ في سورةِ النساء، وهو في الآيةِ (١٥٥) منها، ومختصرُ قولهِ هناك: (ما) مزيدةٌ بعد الباءِ لتوكيدِ التسبُّب... والمعنى: ما حرَّمنا عليهم طيّباتٍ إلاّ بسببِ نقضهم. اهـ. كما ذكرَ في الآيةِ (٢٧) من سورةِ البقرة، أن الميثاقَ هو العهد.
{فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ}: وهذا هو عينُ النصرِ والظفر، كما قالَ بعضُ السلف: ما عاملتَ مَن عصَى اللهَ فيكَ بمثلِ أن تطيعَ اللهَ فيه. وبهذا يحصلُ لهم تأليفٌ وجمعٌ على الحقّ، ولعلَّ الله أن يهديَهم؛ ولهذا قالَ تعالَى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} يعني به: الصفحَ عمَّن أساءَ إليك. (ابن كثير).

١٤- {**وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ**}.
قالَ في مثلها، في الآيةِ السابقة، وهي في اليهود: النسيانُ مرادٌ به الإهمالُ المفضي إلى النسيانِ غالباً. وعبَّرَ عنه بالفعلِ الماضي لأنَّ النسيانَ لا يتجدَّد، فإذا حصلَ مضى، حتّى يُذكِّرَهُ مُذكِّر. وهو وإن كان مراداً به الإهمال، فإنَّ في صوغهِ بصيغةِ الماضي ترشيحاً للاستعارةِ أو الكنايةِ لتهاونهم بالذكرى. والحظّ: النصيب، وتنكيرهُ هنا للتعظيمِ أو التكثيرِ بقرينةِ الذمّ. وما ذُكِّروا به هو التّوراة.

١٥- {**يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ**}.

أي: يبينُ ما بدَّلوهُ وحرَّفوهُ وأوَّلوه، وافتروا على الله فيه، ويسكتُ عن كثيرٍ مما غيَّروه، ولا فائدةَ في بيانه. (ابن كثير).

١٧- {وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.

وهو القادرُ على ما يشاء، لا يُسألُ عما يَفعلُ بقدرتهِ وسلطانهِ وعدلهِ وعظمته. (ابن كثير).

١٨- {وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ}.

أي: الجميعُ مُلكهُ وتحتَ قهرهِ وسلطانه، والمرجعُ والمآبُ إليه، فيحكمُ في عبادهِ بما يشاء، وهو العادلُ الذي لا يجور. (ابن كثير).

١٩- {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.

... حتَّى لا تحتجُّوا وتقولوا ما جاءَنا رسولٌ يبشِّرُنا بحُسنِ الثوابِ إنْ أصَبنا وأطَعنا، ويُنذِرُنا بالعقوبةِ إنْ أخطأنا وعصَينا، فقد جاءَكم البشيرُ النذيرُ محمَّدٌ صلى الله عليه وسلَّم خاتماً لجميعِ أنبيائه، فلا عذرَ لكم إذا لم تتَّبعوه. واللهُ قادرٌ على كلِّ شيء، ومنه إرسالُ الرسُل، ومعاقبةُ مَن لم يتَّبعْهُم. (الواضح).

٢٦- {قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً}.

لما دعا عليهم موسى عليه السلام حين نكلوا عن الجهاد، حكمَ الله بتحريمِ دخولها عليهم مدةَ أربعينَ سنة، فوقعوا في التيه، يسيرون دائماً لا يهتدون للخروجِ منه، وفيه كانت أمورٌ عجيبة، وخوارقُ كثيرة... (ابن كثير).

٣٢- {مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاء تْهُمْ رُسُلُنَا بِالبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُون}.

{أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ}: قالَ في معنى (الفسادِ) في الآيةِ التي بعدها: إتلافُ الأنفسِ والأموال، فالمحاربُ يقتلُ الرجلَ لأخذِ ما عليه من الثيابِ ونحوِ ذلك.

وقالَ الشوكاني: اختلفَ في هذا الفسادِ المذكورِ في هذه الآيةِ ماذا هو؟ فقيل: هو الشرك، وقيل: قطعُ الطريق. وظاهرُ النظمِ القرآني أنه ما يصدقُ عليه أنه فسادٌ في الأرض، فالشركُ فسادٌ في الأرض، وقطعُ الطريقِ فسادٌ في الأرض، وسفكُ الدماءِ وهتكُ الحرمِ ونهبُ الأموالِ فسادٌ في الأرض، والبغيُ على عبادِ الله بغيرِ حقٍّ فسادٌ في الأرض، وهدمُ البنيانِ وقطعُ الأشجارِ وتغويرُ الأنهارِ فسادٌ في الأرض، فعرفتَ بهذا أنه يصدقُ على هذه الأنواعِ أنها فسادٌ في الأرض، وهكذا الفسادُ الذي سيأتي في قوله: {وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلأَرْضِ فَسَاداً} يصدقُ على هذه الأنواع..

{وَلَقَدْ جَاء تْهُمْ رُسُلُنَا بِالبَيِّنَاتِ}: جملةٌ مستقلةٌ مؤكدةٌ باللامِ الموطئةِ للقسم، متضمنةٌ للإخبارِ بأن الرسلَ عليهم الصلاةُ والسلامُ قد جاؤوا العبادَ بما شرعَهُ الله لهم من الأحكامِ التي من جملتها أمرُ القتل. (فتح القدير).

٣٥- {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**}.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ}: يقولُ تعالى آمرًا عبادَهُ المؤمنينَ بتقواه، وهي إذا قُرِنَتْ بالطاعةِ كان المرادُ بها الانكفافَ عن المحارم، وتركَ المنهيّات.

{لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} ... ورغَّبهم في ذلك بالذي أعدَّهُ للمجاهدين في سبيلِهِ يومَ القيامة، من الفلاح، والسعادةِ العظيمةِ الخالدةِ المستمرة، التي لا تبيدُ ولا تحولُ ولا تزول، في الغرفِ العاليةِ الرفيعةِ الآمنة، الحسنةِ مناظرها، الطيبةِ مساكنها، التي من سكنها ينعمُ لا يبأس، ويحيا لا يموت، لا تبلَى ثيابه، ولا يفنَى شبابه. (ابن كثير).

٣٦- {**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**}.

{لِيَفْتَدُوا بِهِ}: ليجعلوهُ فديةً لأنفسهم. (فتح القدير).

{وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}: ... بل هو معذِّبُهم في حميمِ يومِ القيامةِ عذاباً موجعاً لهم. (الطبري).

٣٧- {يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا}.

كما قالَ تعالى: {كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا} الآية [سورة الحج: ٢٢]، فلا يزالون يريدون الخروجَ مما هم فيه من شدَّتهِ وأليمِ مسِّه، ولا سبيلَ لهم إلى ذلك، وكلما رفعهم اللهبُ فصاروا في أعلَى جهنم، ضربتهم الزبانيةُ بالمقامعِ الحديد، فيردُّوهم إلى أسفلها. (ابن كثير).

٣٨- {وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}.

عزيزٌ في شرعِ الردع، حكيمٌ في إيجابِ القطع. أو: عزيزٌ في انتقامهِ مِن السارقِ وغيرِهِ مِن أهلِ المعاصي، حكيمٌ في فرائضهِ وحدوده. (روح المعاني).

٣٩- {فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}.

إنَّ اللهَ عزَّ ذكرهُ ساترٌ – على مَن تابَ وأنابَ عن معاصيهِ إلى طاعتهِ – ذنوبَهُ، بالعفوِ عن عقوبتهِ عليها يومَ القيامة، وتركهِ فضيحتَهُ بها على رؤوسِ الأشهاد، رحيمٌ به وبعبادهِ التائبينَ إليه مِن ذنوبهم. (الطبري).

٤٠- {وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.

واللهُ على تعذيبِ مَن أرادَ تعذيبَهُ مِن خلقهِ على معصيته، وغفرانِ ما أرادَ غفرانَهُ منهم باستنقاذهِ مِن الهلكةِ بالتوبةِ عليه، وغيرِ ذلك من الأمورِ كلِّها، قادر؛ لأن الخَلقَ خلَقه، والمُلكَ مُلكُه، والعبادَ عبادُه. (تفسير الطبري).

٤١- {وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ}.

... وفي الآخرةِ عذابُ جهنَّم، خالدين فيها أبدًا (الطبري).

٤٢- {سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ}.

فسَّرَهُ في الآيةِ السابقةِ بقوله: السمَّاع: الكثيرُ السمع، أي: الاستماعِ لما يُقالُ له. والسَّمعُ مستعملٌ في حقيقته، أي أنهم يُصغون إلى الكلامِ الكذبِ وهم يعرفونَهُ كَذِبًا، أي أنهم يحفلون بذلك ويتطلَّبونَهُ فيكثرُ سماعهم إيّاه. وفي هذا كنايةٌ عن تفشّي الكذبِ في جماعتهم بين سامعٍ ومختلق؛ لأنّ كثرةَ السمعِ تستلزمُ كثرةَ القول. والمرادُ بالكذب: كذبُ أحبارهم، الزاعمين أن حكمَ الزنى في التوراةِ التحميم.

٤٣- **{وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ}**.

{يُحَكِّمُونَكَ}: يجعلونكَ حكماً بينهم فيرضون بحكمك. (البغوي).

{ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ}: يتركونَ الحكمَ به. (الطبري).

٤٤- **{وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا}**.

ذكرَ أنه تقدَّمَ في سورةِ البقرة، وهو في الآيةِ (٤١) منها، وقد أطالَ وأسهب، ومما قال: استعيرَ الاشتراءُ هنا لاستبدالِ شيءٍ بآخرَ دون تبايع... ووجهُ المشابهةِ بين إعراضِهم وبين الاشتراء، أن إعراضَهم عن آياتِ القرآنِ لأجلِ استبقاءِ السيادة، والنفعُ في الدنيا يشبهُ استبدالَ المشترِي، في أنه يعطي ما لا حاجةَ له به، ويأخذُ ما إليه احتياجهُ وله فيه منفعته...

٤٨- **{وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَـكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُون}**.

{مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ}: ذكرَ أنه تقدَّمَ بيانه، وهو في الآيةِ (٤٦) من السورة، عن عيسى عليه السلام، قال: تصديقُ عيسى التّوراةَ أمرهُ بإحياءِ أحكامها، وهو تصديقٌ حقيقي، وتصديقُ الإنجيلِ التوراةَ اشتمالهُ على ما وافقَ أحكامَها، فهو تصديقٌ مجازي. وهذا التصديقُ لا ينافي أنّه نَسخَ بعضَ أحكامِ التّوراةِ كما حكى الله عنه. اهـ.

وقالَ العلامةُ إسماعيل حقي: {مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ} أي: مصدِّقًا لما تقدَّمَهُ من جنسِ الكتبِ المنزلة، من حيثُ إنه نازلٌ حسبما نُعِتَ فيه، وموافقًا له في التوحيدِ والعدلِ وأصولِ الشرائع.
{الخَيْرَاتِ}: ما هو خيرٌ لكم في الدارين، من العقائدِ الحقيةِ والأعمالِ الصالحةِ المندرجةِ في القرآنِ الكريم.
{إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا} أي: مرجعُ من آمنَ ومن لم يؤمنْ جميعًا. (روح البيان).

٤٩- **{وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ}.**
{وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ} قال: هو كقولِهِ قبله: {وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ}، وهو في الآيةِ التي قبل هذه، قال: {وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ} بالانحرافِ عنه إلى ما يشتهونه، فـ {عَنْ} متعلقةٌ بـ {لَا تَتَّبِعْ}، على تضمينِ معنى العدولِ ونحوه، كأنه قيل: لا تعدلْ عمّا جاءكَ من الحقِّ متَّبِعًا أهواءهم. اهـ.
{تَوَلَّوْا}: أعرضوا عن الإيمانِ والحكمِ بالقرآن.
{يُصِيبَهُمْ}: يعجِّلَ لهم العقوبةَ في الدنيا. (البغوي).

٥٠- **{وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ}.**
أي: هذا الخطابُ وهذا الاستفهامُ لقومٍ يوقنون، فإنهم هم الذين يتبيَّنون أنْ لا أعدلَ من الله، ولا أحسنَ حُكماً منه. (النسفي).

٥٢- **{فَعَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُواْ عَلَى مَا أَسَرُّواْ فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِين}.**
{فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ} قالَ السدّي: يعني فتحَ مكة. وقالَ غيره: يعني القضاءَ والفصل، {أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ} قالَ السدّي: يعني ضربَ الجزيةِ على اليهودِ والنصارى، {فَيُصْبِحُواْ} يعني الذين والَوا اليهودَ والنصارى من المنافقين {عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ} من الموالاة، {نَٰدِمِينَ} أي: على ما كان منهم مما لم يُجدِ عنهم شيئاً، ولا دفعَ عنهم محذوراً، بل كان عينَ المفسدة،

فإنهم فُضحوا، وأظهرَ الله أمرَهم في الدنيا لعبادهِ المؤمنين بعد أن كانوا مستورين، لا يُدرَى كيف حالهم، فلما انعقدتِ الأسبابُ الفاضحةُ لهم، تبيَّنَ أمرُهم لعبادِ الله المؤمنين، فتعجبوا منهم كيف كانوا يُظهرون أنهم من المؤمنين، ويحلفون على ذلك، ويتأوَّلون، فبانَ كذبهم وافتراؤهم. (ابن كثير).

٥٣- {حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ}.

يقول: فأصبحَ هؤلاءِ المنافقونَ عند مجيءِ أمرِ اللهِ بإدالةِ المؤمنين على أهلِ الكفرِ قد وكسوا في شرائهم الدنيا بالآخرة، وخابتْ صفقتُهم وهلكوا. (الطبري).

٥٤- {ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}.

يعني هذا النعتَ الذي نعتهم به تعالى ذكره، من أنهم أذلةٌ على المؤمنين، أعزَّةٌ على الكافرين، يجاهدون في سبيلِ الله، ولا يخافون في الله لومةَ لائم، فضلَ الله الذي تفضَّلَ به عليهم، والله يؤتي فضلَهُ من يشاءُ من خَلقه، منَّةً عليه وتطوّلاً، {وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} يقول: واللهُ جوادٌ بفضلهِ على مَن جادَ به عليه، لا يخافُ نفادَ خزائنهِ فيكفَّ من عطائه، عليمٌ بموضعِ جودهِ وعطائه، فلا يبذلهُ إلاّ لمنِ استحقَّه، ولا يبذلُ لمنِ استحقَّهُ إلاّ على قدرِ المصلحة، لعلمهِ بموضعِ صلاحهِ له مِن موضعِ ضرّه. (الطبري).

وقد ذكرَ مؤلفُ الأصلِ رحمَهُ الله، أنه تقدَّمَ بيانُ {وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيم} عند قولهِ تعالى: {قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيم} [سورة آل عمران: ٧٣]، وقد قالَ هناك: يعني: والله ذو سعةٍ بفضلهِ على من يشاءُ أن يتفضَّلَ عليه، {عَلِيم}: ذو علمٍ بمن هو منهم للفضلِ أهل.

٥٥- {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا}.

ليسَ لكم أيها المؤمنون ناصرٌ إلاَّ الله ورسولهُ والمؤمنون. (الطبري).

٥٦- {وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ}.

يعني: يتولَّى القيامَ بطاعةِ الله ونصرةِ رسولهِ والمؤمنين. قالَ ابنُ عباس رضيَ الله عنهما: يريدُ المهاجرين والأنصار، {فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ}، يعني: أنصارَ دينِ الله، {هُمُ الْغَالِبُونَ}. (البغوي).

٥٨- **{وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا}**

بيَّنَ معناهُ في الآيةِ السابقةِ بأنه السخريةُ والاستخفافُ والاحتقار.

٥٩- **{هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ}**.

مِن نقمَ منه كذا إذا عابَهُ وأنكرَهُ وكرهه، أي: ما تَعيبون وما تُنكرون منا دينَنا لعلةٍ من العللِ {إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ...}. (روح البيان).

٦٠- **{وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ}**

{وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ}: ذكرَ أنه تقدَّمَ القولُ في حقيقتهِ في سورةِ البقرة، وهو الآيةُ (٦٥) منها: {وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَواْ مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِين}، ومما قالَهُ هناك: تكوينُهم قردةً يحتملُ أن يكونَ بتصييرِ أجسامهم أجسامَ قردةٍ مع بقاءِ الإدراكِ الإنساني، وهذا قولُ جمهورِ العلماءِ والمفسرين..

{وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ} أي: عن طريقِ الحق. (البغوي).

قصدَ الطريقَ المتوسط، بين غلوِّ النصارى وقدحِ اليهود. (البيضاوي).

٦١- **{وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ}**

أي: واللهُ عالمٌ بسرائرِهم وما تنطوي عليهم ضمائرهم، وإنْ أظهروا لخلقهِ خلافَ ذلك، وتزيَّنوا بما ليسَ فيهم، فإنَّ عالمَ الغيبِ والشهادةِ أعلمُ بهم منهم، وسيجزيهم على ذلكَ أتمَّ الجزاء. (ابن كثير).

٦٢- {وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.

{يُسَارِعُونَ} قال: تقدَّمَ عند قوله: {وَلاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ} [سورة آل عمران: ١٧٦]، وقد قالَ في معناهُ هناك: يتوغَّلون فيه، ويَعجَلون إلى إظهارِهِ وتأييدِهِ والعملِ به عند سنوحِ الفرص، ويحرصون على إلقائِهِ في نفوسِ الناس...

{السُّحْتَ} قال: تقدَّمَ في قوله: {سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ} [سورة المائدة: ٤٢].

قالَ هناك: السحتُ يشملُ جميعَ المالِ الحرام، كالربا والرشوةِ وأكلِ مالِ اليتيمِ والمغصوب...

{لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}: أي: لبئسَ العملُ كان عملهم، وبئسَ الاعتداءُ اعتداؤهم. (ابن كثير).

٦٣- {لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ}.

{الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ}: قالَ في الآيةِ (٤٤) من سورةِ المائدة، ما مختصره: الربّانيون جمعُ ربّاني، وهو العالمُ المنسوبُ إلى الربّ، أي إلى الله تعالى. وقيل: الربّاني: العالمُ المربّي، وهو الذي يبتدىءُ الناسَ بصغارِ العلمِ قبلَ كباره.

{الْإِثْمَ}: قالَ في تفسيرِهِ في الآيةِ السابقة: المفاسدُ من قولٍ وعمل، أُريدَ به هنا الكذب.

{السُّحْتَ}: قالَ فيه، في الآيةِ (٤٢) من سورةِ المائدة: السحتُ يشملُ جميعَ المالِ الحرام، كالربا والرشوةِ وأكلِ مالِ اليتيمِ والمغصوب... اهـ.

وتفسيرُ الآية: فهلاّ نهاهُم عن هذهِ الأعمالِ الشَّنيعةِ علماءُ اليهودِ والنَّصارَى، ووعظوهم بالكفِّ عن الكذبِ والافتراء، والامتناعِ عن أكلِ المالِ الحرام؟ فإنَّ هذهِ وظيفتُهم؛ ليُبصِّروا الناسَ بما يَجهلونَهُ مِن حلالٍ وحرام. (الواضح).

٦٤- {وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ}.

{طُغْيَانًا}: هو المبالغةُ والمجاوزةُ للحدِّ في الأشياء، {وَكُفْرًا}: أي: تكذيبًا. (ابن كثير).

{الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ}: ذكرَ ابنُ عاشور رحمَهُ الله، في الآيةِ (١٤) من السورة، أن بين معنيي العداوةِ والبغضاءِ التضادَّ والتباين، فالعداوةُ كراهيةٌ تصدرُ عن صاحبها: معاملةٌ بجفاء، أو قطيعة، أو إضرار؛ لأنّ العداوةَ مشتقَّةٌ من العدو، وهو التجاوزُ والتباعد، فإن مشتقّاتِ مادةِ (ع د و) كلّها تحومُ حولَ التفرّقِ وعدمِ الوئام. وأمّا البغضاءُ فهي شدَّةُ البغض، وليس في مادةِ (ب غ ض) إلاّ معنَى جنسِ الكراهية، فلا سبيلَ إلى معرفةِ اشتقاقِ لفظها من مادتها.

{أَطْفَأَهَا اللَّهُ}: أبطلها الله، وردَّ كيدهم عليهم، وحاقَ مكرهم السيّءُ بهم. (ابن كثير).

{وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا} ذكرَ مؤلفُ الأصلِ أن القولَ فيه كما تقدَّمَ في نظيرِهِ في الآيةِ (٣٣) من السورة، وقد بيَّنَ هناك أن معنى {وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا} أنّهم يكتسبون الفسادَ ويجتنونهَ ويجترحونه؛ لأنّ السعيَ قد استُعملَ بمعنى الاكتسابِ واللَّمّ. ثم ذكرَ أن الفساد: إتلافُ الأنفسِ والأموال.

{وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ}: واللهُ يَبغَضُ هذهِ الصفاتِ وأهلَها، ويَجزيهم على ذلكَ سوءَ العذاب. (الواضح).

٦٥- **{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ}**.

{وَاتَّقَوْا} ما نهاهم الله عنه فاجتنبوه، {لَكَفَّرْنا عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ} يقول: محونا عنهم ذنوبهم، فغطَّينا عليها ولم نفضحهم بها، {ولأَدْخَلْناهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ} يقول: ولأدخلناهم بساتين ينعمون فيها في الآخرة. (الطبري).

٦٩- **{إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}**.

{وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ} ذكرَ في الآيةِ (٦٢) من سورةِ البقرة، أن الذين هادوا هم بنو إسرائيل، والصابئة: طائفةٌ المنديا، وهي طائفةٌ يهوديةٌ نصرانيةٌ في العراق، يقومون بالتعميدِ كالنصارى... وهذا الدينُ دينٌ قديم، ظهرَ في بلادِ الكلدانِ في العراق، وانتشرَ معظمُ أتباعهِ فيما بين الخابورِ ودجلة، وفيما بين الخابورِ والفرات... اهـ.

{فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}: ... فلا خوفٌ عليهم فيما قَدِموا عليه مِن أهوالِ القيامة، ولا هم يحزنونَ على ما خلَّفوا وراءَهم مِن الدنيا وعيشِها بعدَ معاينتِهم ما أمرهم اللهُ به مِن جزيلِ ثوابه. (الطبري).

٧٠- {**لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ**}.
ذكرَ أنه تقدَّمَ في سورةِ البقرة، وقد قالَ في الآيةِ (٢٧) منها إنه بمعنى العهد.

٧٣- {**وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**}.
أي: في الآخرة، مِن الأغلالِ والنكال. (ابن كثير).

٧٨- {**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ**}.
أي: طُردوا وأُبعِدوا من رحمةِ الله. (روح البيان).

٨٠- {**لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ**}.
وفي عذابِ اللهِ يومَ القيامةِ هم خالدون، دائمٌ مُقامُهم ومُكثهم فيه. (الطبري).

الجزء السابع

٨٥- {فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ}.

{جَنَّاتٍ} أي: بساتين، {تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} أي: تجري من تحتِ أشجارها ومساكنها وغرفها أنهارُ الماءِ والعسلِ والخمرِ واللبن، {خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ} الثوابُ {جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ} أي: الذين أحسنوا النظرَ والعمل، أو الذين اعتادوا الإحسانَ في الأمور. (روح البيان).

٨٧- {إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}.

أي: لا يرضَى عملَ المعتدين على أنفسهم، المتجاوزين حدودَ الله. (روح البيان).

٨٨- {وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ}.

ذكرَ في الآيةِ (١٠٢) من سورةِ آلِ عمران، أن التقوى حاصلُها: امتثالُ الأمر، واجتنابُ المنهي عنه، في الأعمالِ الظاهرة، والنوايا الباطنة.

كما ذكرَ في الآيةِ (١٨٣) من سورةِ البقرة، أن التقوى الشرعيةَ هي اتقاءُ المعاصي.

٨٩- {لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُواْ أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}.

فإنَّ عقوبتَهُ أن يُطعِمَ عشرةَ مساكين، مِن أعدلِ ما يُطعِمُ المرءُ أهلَه، أي ما يكفي الشَّخصَ في اليومِ بشكلٍ وسط، نوعاً ومقداراً.

أو أن يَكسوَ العددَ نفسَهُ من المساكين، ممّا يُطلَقُ عليه كساء، كقميص، أو سروال، أو عَمامة.

أو أن يُعتِقَ عبدًا.

فمَن لم يَقدِرْ أو لم يَجِدِ الأمورَ السابقة، فليَصُمْ ثلاثةَ أيّام، فإنَّ ذلكَ كفّارةٌ لمن حلفَ وحَنَث، ومحوٌ لما ارتكبَ من سيّئةٍ بسببِه.

وراعُوا حَلِفَكم إذا حَنثتُم، فلا تَتركوهُ مِن غيرِ تكفير.

وهكذا يبيّنُ اللهُ لكم أحكامَ شريعتهِ ويوضّحُها، فاشكروهُ على نعمةِ هذا التعليمِ والبيان، الذي هو لخيرِكم وصالِحكم. (الواضح).

٩٠- {**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون**}.

والقمارَ، والأصنامَ التي تُنْصَبُ للعبادةِ وتُذبَحُ عندها القرابين، والقِداحَ التي يُستَقْسَمُ بها. (الواضح).

٩١- {**إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ**}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ القولُ على العداوةِ والبغضاءِ عند قولهِ تعالى: {وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ} في هذه السورة، وهو في الآيةِ (١٤) منها، وقد ذكرَ هناك أن بين معنيي العداوةِ والبغضاءِ التضادَّ والتباين، فالعداوةُ كراهيةٌ تصدرُ عن صاحبها: معاملةٌ بجفاء، أو قطيعة، أو إضرار؛ لأنّ العداوةَ مشتقَّةٌ من العدو، وهو التجاوزُ والتباعد، فإن مشتقّاتِ مادةِ (ع د و) كلّها تحومُ حولَ التفرّقِ وعدمِ الوئام. وأمّا البغضاءُ فهي شدَّةُ البغض، وليس في مادةِ (ب غ ض) إلاّ معنَى جنسِ الكراهية، فلا سبيلَ إلى معرفةِ اشتقاقِ لفظها من مادتها.

٩٣- {**وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**}.

والله يحبُّ المتقرّبين إليه بنوافلِ الأعمالِ التي يرضاها. (الطبري).

٩٧- {**جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ**}.

الهَدْيُ والقلائدُ أيضاً قيامٌ لهم، فهي ممّا يَخصُّ مناسكَ الحجّ، وهي النُّسُكُ التي تُهدَى للحرَم، فتُذْبَحُ هناكَ ويُوَزَّعُ لحمُها على مساكينِه. والقلائدُ هي البُدْنُ التي تُقلَّدُ بقلائدَ ليَعرِفَ الناسُ أنَّها للحرَمِ فلا يتعرَّضُ لها أحد، وذُكِرَ أنَّ الثوابَ فيها أكثَر، والحجَّ بها أظهر. (الواضح).

١٠١- **{وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ}**.

واللهُ ساترٌ ذنوبَ مَن تابَ منها، فتاركٌ أنْ يفضحَهُ في الآخرة، حليمٌ أنْ يعاقبَهُ بها، لتغمُّدِهِ التائبَ منها برحمتهِ وعفوهِ عن عقوبتهِ عليها. (الطبري).

١٠٤- **{أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ}**.

ذكرَ أنه تقدَّمَ القولُ على نظيرِهِ في سورةِ البقرة، وهو في الآيةُ (١٧٠) منها: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُون}، وقد أطالَ جدًّا هناك، حتى قال: "وقد أشبعتُ الكلامَ على (لو) هذه؛ لأن الكلامَ عليها لا يوجدُ مفصَّلاً في كتب النحو".

وتفسيره: ... لكنْ لماذا يقلِّدونَ آباءَهم هكذا بدونِ تعقُّلٍ ولا تفكير؟ فإذا كانَ الآباءُ جهَلةً ضالِّينَ مثلَهم، لا يَفهمونَ الحقَّ ولا يعرفونَ سبيلَ الاهتداءِ إليه، فكيفَ يتَّبِعونَهم والحالةُ هذه؟ (الواضح).

١١٠- **{إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي}**.

{وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ}: ذكرَ أنه تقدَّمَ في سورةِ آلِ عمران (الآية ٤٨)، وقد بيَّنَ هناك معنى (الكتاب) بقوله: الكتابُ مرادٌ به الكتابُ المعهود. وعطفُ التوراةِ تمهيدٌ لعطفِ الإنجيل. ويجوزُ أن يكونَ الكتابُ بمعنى الكتابة. اهـ.

و(الحكمة) هي الفهمُ بمعاني الكتابِ الذي أنزلتهُ إليك، وهو الإنجيل. (الطبري).
{وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي} قالَ مؤلفُ الأصلِ في الآيةِ (٤٩) من سورةِ آل عمران: الأكمه: الأعمى، أو الذي ولدَ أعمى. والأبرص: المصابُ بداءِ البرص، وهو داءٌ جلديٌّ له مظاهرُ متنوعة، منها الخفيف، ومنها القويّ، وأعراضهُ بقعٌ بيضاءُ شديدةُ البياض، تظهرُ على الجلد، فإن كانت غائرةً في الجلدِ فهو البرص، وإن كانت مساويةً لسطحِ الجلدِ فهو البَهق، ثم تنتشرُ على الجلد، فربما عمَّتِ الجلدَ كلَّهُ حتى يصيرَ أبيض، وربما بقيتْ متميزةً عن لونِ الجلد. وأسبابهُ مجهولة، ويأتي بالوراثة، وهو غيرُ مُعْد.

١١١- **{وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي}**.
قالَ في الآيةِ (٥٢) من سورةِ آل عمران: (الحواريون) لقبٌ لأصحابِ عيسى عليه السلام، الذين آمنوا به ولازموه.

١١٤- **{قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ}**.
قالَ في الآيةِ (١١٢) من السورة: اسمُ (مائدة): هو الخِوانُ الموضوعُ عليه طعام، فهو اسمٌ لمعنًى مركَّبٍ يدلُّ على طعامٍ وما يوضَعُ عليه. والخِوان ـ بكسرِ الخاءِ وضمِّها ـ تختٌ من خشب، له قوائمُ مجعولٌ ليوضعَ عليه الطعامُ للأكل، اتفقوا على أنه معرَّب... وإنّما سألَ الحواريّون كونَ المائدةِ منزلةً من السماءِ لأنهم رغبوا أن تكونَ خارقةً للعادة، فلا تكونُ ممّا صُنِعَ في العالمِ الأرضيّ، فتعيَّنَ أن تكونَ من عالمٍ علوي. (اهـ. باختصار).
{وَآيَةً مِنْكَ}: وعلامةً وحجةً منك يا ربِّ على عبادِكَ في وحدانيتك، وفي صدقي على أني رسولٌ إليهم بما أرسلتني به.
{وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ}: وأعطِنا مِن عطائك، فإنكَ يا ربِّ خيرُ من يعطي، وأجودُ مَن تفضَّل؛ لأنه لا يدخلُ عطاءَهُ مَنٌّ ولا نكد. (الطبري).

١١٦- **{إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ}**.

ما كان وما يكون. (البغوي، روح البيان).
المعنى: ولا علمَ لي أنا بغيب، فكيف تكونُ لي الألوهية؟ (ابن عطية).

١١٧- {وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}.
وأنتَ تشهدُ على كلِّ شيء؛ لأنه لا يخفَى عليكَ شيء، وأما أنا فإنما شهدتُ بعضَ الأشياء، وذلك ما عاينتُ وأنا مقيمٌ بين أظهرِ القوم، فإنما أنا أشهدُ على ذلك الذي عاينتُ ورأيتُ وشهدت. (الطبري).

١١٩- {لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}.
{لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا}: لهم جزاءَ إيمانِهم وصدقِهم جنّاتٌ عالياتٌ تجري مِن تحتِها الأنهار، مقيمينَ فيها أبداً، لا يزولونَ عنها ولا يَحُولون. (الواضح).
{ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} أي: هذا الفوزُ الكبيرُ الذي لا أعظمَ منه.. (ابن كثير).

سورة الأنعام

١٢- {كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ}.
ذكرَ تقدُّمَ القولِ في نظيرِهِ في سورةِ النساء (الآية ٨٧)، وقد قالَ هناك: معنى {لَا رَيْبَ فِيهِ}: نفيُ أن يتطرَّقَهُ جنسُ الريبِ والشكّ، أي: في مَجيئه، والمقصود: لا ريبَ حقيقيًّا فيه، أو أن ارتيابَ المرتابين لوهنِهِ نُزِّلَ منزلةَ الجنسِ المعدوم.

١٩- {وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ}.
أي: أخوِّفكم بما فيه من الوعيدِ أيها الموجودون وقتَ نزولِ القرآن... (روح البيان).

٢٠- {الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ}.

أشارَ إلى معناهُ عند تفسيرِ الآيةِ (١٢) من السورة، وهناك قوله: معنى {خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ}: أضاعوها كما يضيّعُ التاجرُ رأسَ ماله، فالخسرانُ مستعارٌ لإضاعةِ ما شأنهُ أن يكونَ سببَ نفع. فمعنى {خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ}: عدموا فائدةَ الانتفاعِ بما ينتفعُ به الناسُ من أنفسهم، وهو العقلُ والتفكير، فإنّه حركةُ النفسِ في المعقولاتِ لمعرفةِ حقائقِ الأمور. وذلك أنّهم لما أعرضوا عن التدبّرِ في صدقِ الرسولِ عليه الصلاةُ والسلام، فقد أضاعوا عن أنفسهم أنفعَ سببٍ للفوزِ في العاجلِ والآجل، فكان ذلك سببَ أن لا يؤمنوا بالله والرسولِ واليومِ الآخر. فعدمُ الإيمانِ مسبّبٌ عن حرمانهم الانتفاعَ بأفضلِ نافع. ويتسبّبُ عن عدمِ الإيمانِ خسرانٌ آخر، وهو خسرانُ الفوزِ في الدنيا بالسلامةِ من العذاب، وفي الآخرةِ بالنجاةِ من النار، وذلك يقالُ له خسران، ولا يقالُ له خسرانُ الأنفس.

٢٥- {**وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا حَتَّى إِذَا جَآؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ**}.

{آيَةٍ} أي: معجزةٍ دالَّةٍ على صدقِ الرسولِ صلى الله عليه وسلم، على ما نُقِلَ عن الزجاج، وهو الذي يقتضيهِ كلامُ ابنِ عباسٍ رضيَ الله تعالى عنهما، كانشقاقِ القمر، ونبعِ الماءِ من بين أصابعهِ الشريفة، وتكثيرِ القليلِ من الطعام، وما أشبهَ ذلك.

{يُجَادِلُونَكَ} أي: يخاصمونكَ وينازعونك. (روح المعاني).

٢٧- {**وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ فَقَالُواْ يَالَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا**}.

أي: القرآن، كما كنا نكذّبُ من قبلُ ونقول: أساطيرُ الأولين. وفسَّرَ بعضهم الآياتِ بما يشملُ ذلك والمعجزات.. (روح المعاني).

٤٣- {**فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا**}.

قالَ عند تفسيرِ الآيةِ السابقة: معنى {يَتَضَرَّعُون}: يتذلَّلون؛ لأنّ الضراعةَ التذلُّلُ والتخشُّع، وهو هنا كنايةٌ عن الاعترافِ بالذنبِ والتوبةِ منه، وهي الإيمانُ بالرسل.

٤٨- {**فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**}.

{فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ} أي: بالنسبةِ لما يستقبلونه، {وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} أي: بالنسبةِ إلى ما فاتهم وتركوهُ وراءَ ظهورهم من أمرِ الدنيا وصنيعها، الله وليُّهم فيما خلَّفوه، وحافظُهم فيما تركوه. (ابن كثير).

٤٩- {وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ}.
ذكرَ أنه تقدَّمَ في الآيةِ (٧٣) من سورةِ المائدة، وقد قالَ هناك: المسُّ مجازٌ في الإصابة، لأن حقيقةَ المسِّ وضعُ اليدِ على الجسم، فاستعملَ في الإصابةِ بجامعِ الاتصال.

٥١- {لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ}.
ذكرَ في الآيةِ (٧٠) من هذه السورة، أن الوليَّ هو الناصر، والشفيع: الطالبُ للعفوِ عن الجاني، لمكانةٍ له عند من بيدهِ العقاب.

٥٣- {وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ}.
الفتنة: الاختبار، أي: عاملناهم معاملةَ المختبرين. (فتح القدير).

٥٤- {كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ}.
ذكرَ تقدُّمهُ في الآيةِ (١٢) من السورة: {كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ}، وفيه: "التذكيرُ بأنّه رحيمٌ بعبيده، عساهم يتوبون ويقلعون عن عنادهم"، ثم فصَّل.

٦٤- {قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ}.
الكرب: غايةُ الغمِّ الذي يأخذُ بالنفس. (روح البيان).

٧٢- {وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}.
ذكرَ أنه تقدَّمَ معنى إقامةِ الصلاةِ في صدرِ سورةِ البقرة (الآية ٣)، ومما قالَهُ هناك: إقامةُ الصلاةِ استعارةٌ تبعية، شبهتِ المواظبةُ على الصلواتِ والعنايةُ بها بجعلِ الشيءِ قائماً.

٧٩- {**إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا**}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ في سورةِ البقرة (الآية ١٣٥ منها)، ومما ذكرَهُ هناك: أن الحنَفَ هو الميلُ في الرِّجْل، وإنما كان هذا مدحاً للملَّة؛ لأن الناسَ يومَ ظهورِ ملَّةِ إبراهيمَ كانوا في ضلالةٍ عمياء، فجاءَ دينُ إبراهيمَ مائلاً عنهم، فلقبَ بالحنيف، ثم صارَ الحنيفُ لقبَ مدحٍ بالغلبة.

٨١- {**فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**}.

{إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} مَن أحقُّ به فأخبروني. (روح البيان).

٨٢- {**الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ**}.

{وَهُمْ مُهْتَدُونَ} إلى الحق، ومَن عداهم في ضلالٍ مبين. (روح البيان).

٨٥- {**وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ**}.

أي: من الكاملينَ في الصلاح، الذي هو عبارةٌ عن الإتيانِ بما ينبغي، والتحرُّز عمّا لا ينبغي (روح المعاني).

٩١- {**قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُواْ أَنتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ**}.

{وَهُدًى}: مما قالَهُ في معنى (هُدًى) عند تفسيرِ الآيةِ (٤٤) من سورةِ المائدة: {إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ} أن أحكامها هاديةٌ وواضحة.

{ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ} ذكرَ تقدُّمَ القولِ فيها متفرقةً في ثلاثةِ مواضع، وتفسيرها: ثم دَعهم في جهلِهم وضلالِهم يلعبون، حتى يأتيَهم مِن اللهِ اليقين، فسوفَ يعلمون أَلَهُمُ العاقبةُ أم لعبادِ اللهِ المتَّقين؟ (ابن كثير).

٩٣- {وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ}.

آياتِ القرآن، كما أفادَهُ البغوي.

٩٧- {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا}.

... أدلةً في البرِّ والبحرِ إذا ضللتمُ الطريق، أو تحيَّرتم فلم تهتدوا فيها ليلاً تستدلونَ بها على المحجَّة، فتهتدون بها إلى الطريقِ والمحجَّةِ فتسلكونه، وتنجونَ بها من ظلماتِ ذلك. (الطبري).

٩٨- {قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ}.

أي: قد بيَّنا الحُجَجَ وميَّزنا الأدلَّةَ والأعلامَ وأحكمناها.. (الطبري).

٩٩- {وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُون}.

{وَجَنَّاتٍ}: بساتين.

{لآيَاتٍ}: حججٌ وبرهانٌ وبيان. (الطبري).

١٠١- {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}.

{بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} ذكرَ أنه تقدَّمَ الكلامُ عليه في سورةِ البقرة (الآية ١١٧، ومما قالَهُ هناك: "البديعُ مشتقٌّ من الإبداع، وهو الإنشاءُ على غيرِ مثال، فهو عبارةٌ عن إنشاءِ المنشآتِ على غيرِ مثالٍ سابق، وذلك هو خلقُ أصولِ الأنواعِ وما يتولَّدُ من متولِّداتها، فخلقُ السماواتِ إبداع، وخلقُ الأرضِ إبداع، وخلقُ آدمَ إبداع، وخلقُ نظامِ التناسلِ إبداع".

وقالَ من بعد: "وصفُ الله تعالى ببديعِ السماواتِ والأرض، مرادٌ به أنه بديعُ ما في السماواتِ والأرضِ من المخلوقات، وفي هذا الوصفِ استدلالٌ على نفي بنوةِ من جعلوهُ ابناً لله تعالى؛ لأنه تعالى لما كان خالقَ السماواتِ والأرضِ وما فيهما، فلا شيءَ من تلك الموجوداتِ أهلٌ لأن يكونَ ولداً له، بل جميعُ ما بينهما عبيدٌ لله تعالى...".

{وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}: واللهُ الذي خلقَ كلَّ شيء، لا يخفَى عليه ما خَلق ولا شيءٌ منه، ولا يعزبُ عنه مثقالُ ذرَّةٍ في الأرضِ ولا في السماء، عالمٌ بعددِكم وأعمالِكم وأعمالِ مَن دعوتموهُ ربًّا أو للهِ ولداً، وهو مُحصيها عليكم وعليهم، حتى يجازيَ كلاًّ بعمله. (الطبري، باحتصار).

١٠٥- {**وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ**}.

قالَ عند تفسيرِ الآيةِ (٦٥) من هذه السورة {انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُون}: تصريفُ الآياتِ تنويعُها، بالترغيبِ تارة، والترهيبِ أخرى. فالمرادُ بالآياتِ آياتُ القرآن.

١٠٩- {**وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا**}.

ذكرَ عند تفسيرِ الآيةِ (٥٣) من سورةِ المائدة، أن جَهدَ الأيمانِ أقواها وأغلظها.

١١٠- {**وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُون**}.

ذكرَ أن الطغيانَ والعمهَ تقدَّما عند قوله: {وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُون} [سورة البقرة: ١٥]، وفيه أن الطغيانَ هو الإفراطُ في الشرِّ والكِبْر، والعَمَهُ: انطماسُ البصيرةِ وتحيُّرُ الرأي.

الجزء الثامن

١١٢- {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ}.

أي: وذلك كلُّهُ بقدرِ الله وقضائه، وإرادتهِ ومشيئته، أن يكونَ لكلِّ نبيٍّ عدوٌّ من هؤلاء. (ابن كثير).

١١٨- {إِن كُنتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِين}.

بأحكامهِ وأوامره. (ابن عطية).

١١٩- {وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ بيانهُ في سورةِ المائدة، وهو في الآيةِ الثالثةِ منها: {فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيم}. ومما قالَهُ هناك: الاضطرار: الوقوعُ في الضرورة، وفعلهُ غلبَ عليه البناءُ للمجهول.

ثم قال: المعنى أنّه اضطرَّ غيرَ مائلٍ إلى الحرام، من أخذِ أموالِ الناس، أو من مخالفةِ الدين. وهذه حالٌ قُصِدَ بها ضبطُ حالةِ الاضطرارِ في الإقدامِ والإحجام، فلا يُقدِمُ على أكلِ المحرّماتِ إذا كان رائماً بذلك تناولها مع ضعفِ الاحتياج، ولا يَحجمُ عن تناولها إذا خشيَ أن يتناولَ ما في أيدي الناسِ بالغصبِ والسرقة...

١٢٠- {إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ}.

قالَ مؤلفُ الأصل: تقدَّمَ الكلامُ عليه عند قولهِ تعالى: {قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ} من سورةِ البقرة [الآية ٢١٩]، وقد ذكرَ هناك أن الإثمَ بمعنى الذنب.

١٢٤- {سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ}.

يَكيدون للإسلامِ وأهلهِ بالجدالِ بالباطلِ والزخرفِ مِن القولِ غرورًا لأهلِ دينِ اللهِ وطاعته. (الطبري).

١٣٥- {إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ}.

إنه لا ينجحُ ولا يفوزُ بحاجتهِ عند اللهِ مَن عملَ بخلافِ ما أمرَهُ اللهُ به من العملِ في الدنيا، وذلك معنَى ظلمِ الظالمِ في هذا الموضع. (الطبري).

١٣٦- {وَجَعَلُواْ لِلّهِ مِمّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا}.

ذكرَ في الآيةِ (١٤٢) من هذه السورة، أنها الإبلُ والبقرُ والشاءُ والمعز.

وقالَ عند تفسيرِ الآيةِ التي بعدها: الضأن: اسمُ جمعٍ للغنم، لا واحدَ له من لفظه، ومفردُ الضأنِ شاة، وجمعها شاء.

١٣٧- {فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُون}.

يختلقون من الكذب. (البغوي).

١٣٨- {وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ}.

ذكرَ في الآيةِ (١٤٢) من هذه السورة، أنها الإبلُ والبقرُ والشاءُ والمعز.

١٤٢- {وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِين}.

ذكرَ تقدُّمَهُ في الآيةِ (١٦٨) من سورةِ البقرة، وملخصُ قولهِ هناك: اتباعُ الخطواتِ تمثيلية، أصلها أن السائرَ إذا رأى آثارَ خطواتِ السائرين تبعَ ذلك المسلكَ علماً منه بأنه ما سارَ فيه السائرُ قبلهُ إلا لأنه موصلٌ للمطلوب... وشاعتْ هاتهِ التمثيليةُ حتى صاروا يقولون: هو يتبعُ خُطا فلان، بمعنى يقتدي به ويمتثلُ له، والإتباعُ يساوي السكونَ في الخفَّةِ على اللسان، والاقتداءُ بالشيطان: إرسالُ النفسِ على العملِ بما يوسوسهُ لها من الخواطرِ الشرّية.

وقوله: {إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِين}: العداوةُ بين الشيطانِ والناسِ معلومةٌ متقررةٌ عند المؤمنين والمشركين، وإنما كان عدوًّا لأن عنصرَ خلقتهِ مخالفٌ لعنصرِ خلقةِ الإنسان، فاتصالهُ بالإنسانِ يؤثرُ خلافَ ما يلائمه، وقد كثرَ في القرآنِ تمثيلُ الشيطانِ في صورةِ العدوِّ المتربّصِ بنا الدوائرَ لإثارةِ داعيةِ مخالفتهِ في نفوسنا، كي لا نغترَّ حين نجدُ الخواطرَ الشريرةَ في أنفسنا فنظنَّها ما نشأتْ فينا إلا وهي نافعةٌ لنا لأنها تولَّدتْ من نفوسنا. ومعنى المبين: الظاهرُ العداوة، من أبان، الذي هو بمعنى بان، وليس من أبان، الذي همزتهُ للتعدية، بمعنى أظهر؛ لأن الشيطانَ لا يُظهِرُ لنا العداوة، بل يلبسُ لنا وسوستَهُ في لباسِ النصيحة، أو جلبِ الملائم.

١٤٤- {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ}.

{افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا}: ذكرَ عند تفسيرِ الآيةِ (٩٤) من سورةِ آلِ عمران، أن الافتراءَ هو الكذب، وهو مرادفُ الاختلاق، وكأن أصلَهُ كنايةٌ عن الكذبِ وتلميح، وشاعَ ذلك حتى صارَ مرادفًا للكذب.

{بِغَيْرِ عِلْمٍ} ذكرَ أنه تقدَّمَ القولُ في نظيرهِ آنفًا، ويعني الآيةَ (١٤٠) من السورة: {قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُواْ أَوْلاَدَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ}. قالَ هناك: فعلوا ذلك ظنًّا منهم أنَّهم أصابوا فيما فعلوا، وأنَّهم علموا كيف يَرأبُون ما في العالم من المفاسد، وينظمون حياتهم أحسنَ نظام، وهم في ذلك مغرورون بأنفسهم، وجاهلون بأنَّهم يجهلون. اهـ.

وقالَ الشوكاني: أي: لأجلِ أن يُضِلَّ الناسَ بجهل. (فتح القدير).

١٤٥- {أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}.

فسَّرَهُ في الآيةِ (١٧٣) من سورةِ البقرة، وملخصه: {أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ} أي: ما أُعلِنَ به، أو نُوديَ عليه بغيرِ اسمِ الله تعالى، وهو مأخوذٌ من (أهلَّ) إذا رفعَ صوتَهُ بالكلام، ومثله (استهلَّ). {غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ}: البغي: الظلم، والعدوان: المحاربةُ والقتال، ومجيءُ هذه الحالِ هنا للتنويهِ بشأنِ المضطرِّ في حالِ إباحةِ هاتهِ المحرَّماتِ له، بأنه بأكلِها يكونُ غيرَ باغٍ ولا عاد، لأن الضرورةَ تُلجيءُ إلى البغي والاعتداء... فالجائعُ يأكلُ من هاتهِ المحرماتِ إن لم يجدْ غيرها أكلاً يُغنيهِ عن الجوع..

١٤٦- {ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ}.

أي: بظلمهم، من قتلهم الأنبياء، وصدِّهم عن سبيلِ الله، وأخذهم الربا، واستحلالِ أموالِ الناسِ بالباطل. (البغوي).

١٤٨- {كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ في سورةِ البقرة، وقد بيَّنَ هناك (الآية ١٧٧) أن الكلمةَ في الآيةِ تعني الحرب، وقالَ أيضًا: البأسُ: النكايةُ والشدةُ في الحربِ ونحوها، كالخصومة: {قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ} [سورة النمل: ٣٣] {بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ} [سورة الحشر: ١٤]. والشرُّ أيضاً بأس.

١٥٠- {وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ}.

{بِآيَاتِنَا}: بوحي الله وتنزيله، في تحريمِ ما حرَّم، وتحليلِ ما أحلَّ لهم. (الطبري).

{بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ}. ذكرَ أنه تقدَّمَ في أولِ هذه السورة، ومما قالَهُ هناك: معنى {يَعْدِلُونَ}: يُسَوُّون. والعدل: التسوية... أي: يعدلون بربِّهم غيرَه، وقد علمَ كلُّ فريقٍ ماذا عدلَ بالله. والمراد: يعدلونَهُ بالله في الإلهيَّة، وإن كان بعضُهم يعترفُ بأنَّ الله أعظم.

١٥٥- {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}

فسَّرَ بعضَ الكلمات.. وتفسيرها: هذا القرآنُ أنزلناهُ على النبيِّ محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، هو كتابٌ نافعٌ جليلٌ عظيمُ الشَّأن، فيه مِن الشَّرائعِ والأحكامِ ما يَضمنُ لكمُ الأمنَ والسعادةَ في الحياةِ الدُّنيا وفي الآخرة، فاعمَلوا به، واتَّقوا نواهيه؛ لتُرحَموا وتَفوزوا. (الواضح).

١٥٧- {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ}.

أي: القرآن. (روح البيان).

١٦١- {مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ في آيةِ سورةِ البقرة (الآية ١٣٥)، قال: هو احتراس؛ لئلّا يغترَّ المشركون بقوله: {بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ} أي: لا نكونُ هوداً ولا نصارى، فيتوهَّمُ المشركون أنه لم يبقَ من الأديانِ إلا ما هم عليه؛ لأنهم يزعمون أنهم على ملَّةِ إبراهيم، وإلا فليس ذلك من المدحِ له بعد ما تقدَّمَ من فضائله. اهـ.

وفي تفسيرِ الطبري: وما كان مِن المشركينَ بالله، يعني إبراهيمَ صلواتُ الله عليه، لأنه لم يكنْ ممَّن يعبدُ الأصنام.

سورة الأعراف

٨- {فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ في سورةِ البقرة (الآية ٥)، ومما قالَهُ هناك: الفلاح: الفوزُ وصلاحُ الحال، فيكونُ في أحوالِ الدنيا وأحوالِ الآخرة، والمرادُ به في اصطلاحِ الدين: الفوزُ بالنجاةِ من العذابِ في الآخرة. والفعلُ منه: أفلح، أي: صارَ ذا فلاح.

٢٦- {ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ}.

من حججِ الله وأدلته.. (الطبري).

٢٧- {إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ}.

جمعُ وليّ، بمعنى الصديق، ضدِّ العدوّ، يقالُ منه تولّاهُ أي: اتخذَهُ صديقًا وخليلًا. (روح البيان).

٣١- {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ القولُ في نظيرِهِ في سورةِ الأنعام (الآية ١٤١)، وقد فصَّلَ القولَ فيه، من ذلك قوله: بيَّنَ أنّ الإسرافَ من الأعمالِ التي لا يحبُّها، فهو من الأخلاقِ التي يلزمُ الانتهاءُ عنها، ونفيُ المحبَّةِ مختلفُ المراتب، فيُعلَمُ أن نفيَ المحبَّةِ يشتدُّ بمقدارِ قوّةِ الإسراف.. اهـ.

وقالَ ابنُ كثير رحمَهُ الله: إن الله لا يحبُّ المتعدّين حدَّهُ في حلالٍ أو حرام، الغالين فيما أحلَّ أو حرَّم، بإحلالِ الحرام، أو بتحريمِ الحلال، ولكنهُ يحبُّ أن يحلِّلَ ما أحلّ، ويحرِّمَ ما حرَّم، وذلك العدلُ الذي أمرَ به. (ابن كثير).

٣٣- {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُون}.

{الْفَوَاحِشَ}: ذكرَ أنه تقدَّمَ معنى الفاحشةِ في سورةِ النساء (الآية ٢٢)، وفي هذه السورة (الآية ٢٨)، ومما قالَهُ في الأخيرة: غلبتِ الفاحشةُ في الأفعالِ الشديدةِ القبح، وهي التي تنفرُ منها الفطرةُ السّليمة، أو يَنشأُ عنها ضرٌّ وفساد، بحيث يأباها أهلُ العقولِ الرّاجحة، ويُنكرها أولو الأحلام، ويَستحيي فاعلُها من الناس، ويتسترُ من فعلها، مثلُ البغاءِ والزّنى والوأدِ والسّرقة، ثم تنهَى عنها الشرائعُ الحقَّة..

{وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُون} أشارَ إلى تقدُّمِ نظيرِهِ في الآيةِ (٢٨) من هذه السورة: {أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُون}، ومما قالَهُ هناك: أي: ما لا تعلمون أنَّ الله أمرَ به، فحُذِفَ المفعولُ لدلالةِ ما تقدَّمَ عليه، لأنهم لم يعلموا أنَّ الله أمرهم بذلك، إذ لا مستندَ لهم فيه، وإنّما قالوهُ عن مجرَّدِ التوهُّم، ولأنهم لم يعلموا أنَّ الله لا يليقُ بجلالهِ وكمالهِ أن يأمرَ بمثلِ تلك الرذائل.

٣٦- {وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا}.

وأما من كذَّبَ بأنباءِ رسلي التي أرسلتها إليه، وجحدَ توحيدي، وكفرَ بما جاءَ به رسلي... (الطبري).

٣٧- {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا}.

ذكرَ أن الافتراءَ والكذبَ تقدَّمَ القولُ فيهما عند قولهِ تعالى: {وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ} في سورةِ العقود (يعني سورة المائدة، ١٠٣). وقد قالَ هناك: "الافتراءُ: الكذب". ثم ذكرَ أنه تقدَّمَ عند تفسيرِ الآيةِ (٩٤) من سورةِ آلِ عمران، وفيه أيضًا أن الافتراءَ هو الكذب، قال: وهو مرادفُ الاختلاق، وكأن أصلَهُ كنايةٌ عن الكذبِ وتلميح، وشاعَ ذلك حتى صارَ مرادفًا للكذب.

٣٨- {كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا}.

شتمتِ الجماعةَ الأخرى من أهلِ ملَّتها تبرُّأً منها. (تفسير الطبري).

٣٩- {وَقَالَتْ أُولاَهُمْ لأُخْرَاهُمْ}.

أُخراهم: الآخِرةُ في الرتبة، وهم الأتباعُ والرعيَّةُ من كلِّ أمةٍ من تلك الأمم، لأن كلَّ أمةٍ في عصرٍ لا تخلو من قادةٍ ورَعاع، والمرادُ بـ (الأُولى): الأولى في المرتبةِ والاعتبار، وهم القادةُ والمتبوعون من كلِّ أمةٍ أيضاً، فالأُخرى والأُولى هنا صفتان جرتا على موصوفَين محذوفين، أي: أُخرى الطّوائفِ لأُولاهم، وقيل: أريدَ بالأُخرى: المتأخرةُ في الزمان، وبالأُولى: أسلافهم.

٤٠- {إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ}.

إن الذين كذَّبوا بحُجَجِنا وأدلَّتِنا، فلم يصدِّقوا بها، ولم يتَّبعوا رسلَنا، وتكبَّروا عن التصديقِ بها، وأنِفوا مِن اتِّباعِها والانقيادِ لها تكبُّرًا... (الطبري).

٤٢- {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}

{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}: والذين صدَّقوا اللهَ ورسولَه، وأقرُّوا بما جاءَهم به مِن وحي اللهِ وتنزيلِهِ وشرائعِ دينه، وعملوا ما أمرَهم اللهُ به، فأطاعوهُ وتجنَّبوا ما نهاهُم عنه...

{هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}: هم في الجنةِ ماكثون، دائمٌ فيها مكثُهم، لا يخرجونَ منها ولا يُسْلَبون نعيمَهم. (الطبري).

٤٣- {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ}.
ذكرَ في الآيةِ (٢٥) من سورةِ البقرة، أن الجنةَ هي المكانُ الذي تكاثرتْ أشجاره، والتفَّ بعضُها ببعضٍ حتى كثرَ ظلُّها، وذلك من وسائلِ التنعمِ والترفهِ عند البشرِ قاطبة. والجريُ يطلقُ مجازًا على سيلِ الماءِ سيلًا متكررًا متعاقبًا، وأحسنُ الماءِ ما كان جاريًا غيرَ قارّ؛ لأنه يكونُ بذلك جديدًا... وأكملُ محاسنِ الجناتِ جريانُ المياهِ من خلالها...

٤٤- {فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ}.
غضبُ الله وسخطهُ وعقوبته. (الطبري).

٤٦- {وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُون}.
يعني أصحابَ الأعراف، لم يدخلوا الجنةَ {وَهُمْ يَطْمَعُونَ} في دخولها. (البغوي).

٤٧- {وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}.
يعني: الكافرين في النار. (البغوي).
تعوذوا بالله من منازلهم. (ابن كثير).

٤٨- {وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ}.
مما قالَهُ مؤلِّفُ الأصلِ في الآيةِ (٤٦) من السورة: الذي ينبغي تفسيرُ الآيةِ به، أنَّ هذه الأعرافَ جعلها الله مكاناً يوقَفُ به مَن جعلَهُ الله من أهلِ الجنَّةِ قبل دخولهِ إيّاها، وذلك ضربٌ من العقابِ خفيف، فجعلَ الداخلين إلى الجنَّةِ متفاوتين في السبق، تفاوتاً يعلمُ الله أسبابَهُ ومقاديره.

٤٩- {ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ}.

معناه: لا تخافون ما يأتي، ولا تحزنون على ما فات. (ابن عطية).

٥١- {**الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ**}.

{الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ} الذي أمرهم الله به {لَهْوًا وَلَعِبًا} يقول: سخريةً ولعباً. (الطبري). وهو ما زيَّنَ لهم الشيطان، من تحريمِ البَحيرةِ وأخواتها، والمُكاءِ والتصديةِ حولَ البيت، وسائرِ الخصالِ الذميمة، التي كانوا يفعلونها في الجاهلية. (البغوي).

{وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ}: قال: ومعنى جحدِ الآياتِ تقدَّمَ عند قولهِ تعالى: {وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ} في سورةِ الأنعام (الآية ٣٣). قالَ هناك: ... ثم إنَّ الجحدَ بآياتِ الله أُريدَ به الجحدُ بما جاءَ به الرسولُ صلى الله عليه وسلم من الآيات. وجحْدُها إنكارُ أنها من آياتِ الله، أي: تكذيبُ الآتي بها في قوله: إنها من عند الله، فآلَ ذلك إلى أنهم يكذِّبون الرسولَ عليه الصلاةُ والسلام.

٥٣- {**أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ**}.

أو هل نردُّ إلى الدنيا؟ (روح البيان).

٦١- {**قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ**}.

فسَّرَ (الضلال) في الآيةِ التي تسبقها بقوله: الضلال: اسمُ مصدرِ ضَلّ، إذا أخطأَ الطريقَ الموصل.

٦٣- {**لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**}.

وكي تتقوا عقابَ الله وبأسه، بتوحيده، وإخلاصِ الإيمان به، والعملِ بطاعته، {ولَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} يقول: وليرحمَكم ربُّكم إنِ اتَّقيتمُ اللهَ وخِفتموهُ وحذرتُم بأسَه. (الطبري).

٦٤- {فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ في سورةِ البقرة (الآية ١٦٤). والمقصودُ السفن، قال: وهو ومفردهُ سواءٌ في الوزن.

٦٥- {قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ}.

... فأفرِدوا له العبادة، ولا تجعلوا معه إلهًا غيرَه، فإنهُ ليسَ لكم إلهٌ غيره، {أفلا تَتَّقُونَ} ربَّكم فتحذَرونَهُ وتخافون عقابَهُ بعبادتِكم غيرَه، وهو خالقُكم ورازقُكم دونَ كلِّ ما سواه؟. (الطبري).

٦٦- {قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ}.

قالَ في الآيةِ (٦٠) من السورة: الملأ: الجماعةُ الذين أمرُهم واحد، ورأيهم واحد؛ لأنهم يُمالِئُ بعضُهم بعضاً، أي: يعاونهُ ويوافقه، ويطلقُ الملأُ على أشرافِ القومِ وقادتهم؛ لأن شأنهم أن يكونَ رأيهم واحداً عن تشاور، وهذا المعنى هو المناسبُ في هذه الآية..

٦٧- {قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ}.

قالَ في الآيةِ السابقة: السفاهة: سخافةُ العقل.

{وَلَكِنِّي رَسُولٌ} قالَ في مثيلتها في الآيةِ (٦١) من السورة: لرفعِ ما توهَّموهُ من أنه في ضلال، حيث خالفَ دينَهم، أي: هو في حالِ رسالةٍ عن الله، مع ما تقتضي الرسالةُ من التبليغِ والنصحِ والإخبارِ بما لا يعلمونه، وذلك ما حسبوهُ ضلالاً.

ثم قال: واختيارُ طريقِ الإضافةِ في تعريفِ المرسِل لما تؤذنُ به من تفخيمِ المضاف، ومن وجوبِ طاعتهِ على جميعِ الناس، تعريضاً بقومهِ إذ عصوه.

٦٨- {أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي}.

قالَ في مثلها، في الآيةِ (٦٢) من السورة: صفةٌ لرسول، أو مستأنفة، والمقصودُ منها إفادةُ التجدُّد، وأنه غيرُ تاركٍ التبليغَ من أجلِ تكذيبهم، تأييساً لهم من متابعتهِ إياهم...

٦٩- {أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ}.

فسَّرَهُ في الآيةِ (٦٣) من السورة، ومما قالَهُ هناك: حقيقةُ العَجَبِ أنه انفعالٌ نفسانيٌّ يحصلُ عند إدراكِ شيءٍ غيرِ مألوف، وقد يكونُ العجَبُ مشوباً بإنكارِ الشيءِ المتعجَّبِ منه، واستبعادهِ وإحالته... أي: هذا الحدثُ الذي عظَّمتموهُ وضججتم له، ما هو إلاّ ذِكْرٌ من ربِّكم على رَجُلٍ منكم. ووصْفُ {رَجُلٍ} بأنه (منهم) أي: من جنسهم البشري، فضحٌ لشبهتهم، ومع ما في هذا الكلامِ من فضحِ شبهتهم، فيه أيضاً ردٌّ لها بأنهم أحقّاء بأن يكونَ ما جعلوهُ موجبَ استبعادٍ واستحالةٍ هو موجبُ القبولِ والإيمان، إذ الشأنُ أن ينظروا في الذِّكرِ الذي جاءهم من ربِّهم، وأن لا يسرعوا إلى تكذيبِ الجائي به، وأن يعلموا أن كونَ المذكِّرِ رجلاً منهم أقربُ إلى التعقُّل من كونِ مذكِّرِهم من جنسٍ آخر، من مَلَكٍ أو جنّيٍّ، فكان هذا الكلامُ من جوامعِ الكلمِ في إبطالِ دعوى الخصم، والاستدلالِ لصدقِ دعوى المجادل.

٧٢- **{وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا}**.

ذكرَ أن تفسيرَهُ نظيرُ قولهِ: {فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ} في سورةِ الأنعم (الآية ٤٥). ومن قولهِ هناك: أي: فأخذناهم أخذَ الاستئصال. فلم يُبقِ فيهم أحداً. ودابرُ الناس: آخرهم، وذلك مشتقٌّ من الدُّبُر، وهو الوراء. وقطعُ الدابرِ كنايةٌ عن ذهابِ الجميع، لأن المستأصلَ يبدأُ بما يليه، ويذهبُ يستأصلُ إلى أن يبلغَ آخره، وهو دابره. اهـ.

{كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا}: دالٌّ على المعجزة، وإن لم تتعيَّنْ لها. (ابن عطية).

٧٣- **{وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ}**.

قالَ صالحٌ لثمود: يا قومِ اعبدوا الله وحدَهُ لا شريكَ له. (الطبري).

٧٤- **{وَاذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ عَادٍ}**.

نقلَ في تفسيرِ الآيةِ السابقةِ لها، أن ثمودَ قامتْ بعد عاد، فنمَتْ وعظمتْ واتَّسعتْ حضارتها، وكانوا مُوحِّدين، ولعلَّهم اتَّعظوا بما حلَّ بعاد، ثمّ طالتْ مدَّتهم، ونعمَ عيشهم، فعَتوا ونسُوا نعمةَ الله، وعَبدوا الأصنام، فأرسلَ الله إليهم صالحاً رسولاً يدعوهم إلى التوحيد..

٧٥- {قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ}.

قالَ في الآيةِ (٦٠) من السورة: الملأ: الجماعةُ الذين أمرُهم واحد، ورأيهم واحد؛ لأنهم يُمالِئُ بعضُهم بعضاً، أي: يعاونهُ ويوافقه. ويطلقُ الملأُ على أشرافِ القومِ وقادتهم؛ لأن شأنهم أن يكونَ رأيهم واحداً عن تشاور، وهذا المعنى هو المناسبُ في هذه الآية..

٧٩- {فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي}.

أشارَ إلى تفسيرِ مثلهِ في الآيةِ (٦٢) من السورة: {أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي}، قال: صفةٌ لرسول، أو مستأنفة، والمقصودُ منها إفادةُ التجدُّد، وأنه غيرُ تاركٍ التبليغَ من أجلِ تكذيبهم، تأييساً لهم من متابعتهِ إياهم...

وقالَ الإمامُ الطبري: قالَ لقومهِ ثمود: لقد أبلغتُكم رسالةَ ربِّي، وأدَّيتُ إليكم ما أمرني بأدائهِ إليكم ربِّي مِن أمرهِ ونهيه. (الطبري).

٨٥- {وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ}.

ما لكم مِن إلهٍ يستوجبُ عليكم العبادةَ غيرُ الإلهِ الذي خلقَكم، وبيدهِ نفعُكم وضرُّكم. (الطبري).

٨٦- {وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ}.

أشارَ إلى تقدُّمِ معناهُ في الآيةِ (١٦) من هذه السورة، وفيه أنه بمعنى الطريق، ثم توسَّعَ بما يناسبُ السياق.

الجزء التاسع

٨٨- {قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ}.

قالَ في الآيةِ (٦٠) من السورة: الملأ: الجماعةُ الذين أمرُهم واحد، ورأيهم واحد؛ لأنهم يُمالِئُ بعضُهم بعضاً، أي: يعاونهُ ويوافقه. ويطلقُ الملأُ على أشرافِ القومِ وقادتهم؛ لأن شأنهم أن يكونَ رأيهم واحداً عن تشاور، وهذا المعنى هو المناسبُ في هذه الآية..

٨٩- {قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللّهُ مِنْهَا}.

ذكرَ عند تفسيرِ الآيةِ (٩٤) من سورةِ آلِ عمران، أن الافتراءَ هو الكذب، وهو مرادفُ الاختلاق، وكأن أصلَهُ كنايةٌ عن الكذبِ وتلميح، وشاعَ ذلك حتى صارَ مرادفًا للكذب.

٩٠- {وَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ}.

قالَ في الآيةِ (٦٠) من السورة: الملأ: الجماعةُ الذين أمرُهم واحد، ورأيهم واحد؛ لأنهم يُمالِئُ بعضُهم بعضاً، أي: يعاونهُ ويوافقه. ويطلقُ الملأُ على أشرافِ القومِ وقادتهم؛ لأن شأنهم أن يكونَ رأيهم واحداً عن تشاور، وهذا المعنى هو المناسبُ في هذه الآية..

٩١- {فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ}.

قال في مثلها، في قصةِ صالح (الآية ٧٨ من السورة): {فَأَصْبَحُوا} هنا بمعنى صاروا. والجاثم: المكبُّ على صدرهِ في الأرضِ مع قبضِ ساقيهِ كما يجثو الأرنب، ولمّا كان ذلك أشدَّ سكوناً وانقطاعاً عن اضطرابِ الأعضاء، استُعمِلَ في الآيةِ كنايةً عن همودِ الجثّةِ بالموت. ويجوزُ أن يكونَ المرادُ تشبيهَ حالةِ وقوعهم على وجوههم حين صُعِقوا بحالةِ الجاثمِ تفظيعاً لهيئةِ مِيتتهم، والمعنى: أنهم أصبحوا جثثًا هامدةً ميّتةً على أبشعِ منظرِ لميّت.

٩٣- {فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ}.

ثم أعرضَ عنهم وهم هَلْكَى بين الأنقاض، موبِّخاً إيَّاهم على كفرِهم وعنادِهم، مخاطباً إيّاهم بقوله: لقد بلَّغتُكم ما أُمِرتُ به من قِبَلِ ربِّي، واجتهدتُ في نصحِكم وتحذيرِكم، ولكنَّكمُ استكبرتُم ورفضتُم، فكيف أحزنُ عليكم وقد كفرتُم بما جئتُكم به، وجحدتُم رسالةَ ربِّكم؟! (الواضح).

٩٧- {أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَآئِمُون}.
قالَ في الآيةِ (٤) من هذه السورة: أي مبيّتاً لهم.

١٠٠- {وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ}.
ذكرَ أنه تقدَّمَ معنى الطبعِ في الآيةِ (١٥٥) من سورةِ النساء، وقد قالَ هناك: الطبع: إحكامُ الغلق، بجعلِ طينٍ ونحوِهِ على سدِّ المغلوق، بحيثُ لا ينفذُ إليه مستخرِجُ ما فيه إلا بعد إزالةِ ذلك الشيءِ المطبوعِ به، وقد يَسِمُون على ذلك الغلقِ بسمةٍ تتركُ رسماً في ذلك المجعول، وتسمَّى الآلةُ الواسمةُ طابَعاً - بفتحِ الباءِ - فهو يرادفُ الخَتْم. اهـ.
{فَهُمْ لَا يَسْمَعونَ} موعظةً ولا تذكيراً سماعَ منتفِعٍ بهما. (الطبري).

١٠١- {كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ}.
ذكرَ أنه تقدَّمَ نظائرُهُ غيرَ مرة، منها في الآيةِ (١٥٥) من سورةِ النساء، قالَ هناك: الطبع: إحكامُ الغلق، بجعلِ طينٍ ونحوِهِ على سدِّ المغلوق، بحيثُ لا ينفذُ إليه مستخرِجُ ما فيه إلا بعد إزالةِ ذلك الشيءِ المطبوعِ به، وقد يَسِمُون على ذلك الغلقِ بسمةٍ تتركُ رسماً في ذلك المجعول، وتسمَّى الآلةُ الواسمةُ طابَعاً - بفتحِ الباءِ - فهو يرادفُ الخَتْم.

١٠٦- {قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ}.
إنْ كنتَ صادقًا فيما ادَّعيت. (ابن كثير).

١١٤- {قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِين}.

في المنزلةِ الرفيعةِ عندي مع الأجر. (البغوي).

١١٧- {وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ}.

يخبرُ تعالى أنه أوحَى إلى عبدهِ ورسولهِ موسى عليه السلامُ في ذلك الموقفِ العظيم، الذي فرَّقَ الله تعالى فيه بين الحقِّ والباطل، يأمرهُ بأن يُلقي ما في يمينه... (ابن كثير).

١٢٦- {وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِين}.

{بِآيَاتِ رَبِّنَا}: بحججِ ربّنا وأعلامهِ وأدلتهِ التي لا يقدرُ على مثلِها أنت ولا أحدٌ سوى الله، الذي له ملكُ السماواتِ والأرض.

{وَتَوَفَّنَا}: واقبضنا إليك. (الطبري).

١٢٧- {وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ}.

قالَ في الآيةِ (٦٠) من السورة: الملأ: الجماعةُ الذين أمرُهم واحد، ورأيهم واحد؛ لأنهم يُمالِئُ بعضُهم بعضاً، أي: يعاونهُ ويوافقه. ويطلقُ الملأُ على أشرافِ القومِ وقادتهم؛ لأن شأنهم أن يكونَ رأيهم واحداً عن تشاور، وهذا المعنى هو المناسبُ في هذه الآية..

١٢٨- {وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}.

والعاقبةُ المحمودةُ لمن اتقَى الله وراقبه، فخافَهُ باجتنابِ معاصيهِ وأدَّى فرائضه. (تفسير الطبري).

١٣٣- {فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ}.

وكانوا قومًا يعملونَ بما يكرههُ اللهُ مِن المعاصي والفسق، عُتوًّا وتمرُّدًا. (الطبري).

١٣٥- {فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ}.

ذكرَ عند تفسيرِ الآيةِ السابقة، أن المقصودَ (العذابُ المذكور)، ويعني الطوفان، ثم بيَّنَ أن الرجزَ من أسماءِ الطاعون، وأنه يجوزُ أن يكونَ المقصودَ به.

١٤١-) {وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ}.

قالَ في تفسيرِ الآيةِ (٤٩) من سورة البقرة {وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ} ما ملخصه: تنجيةُ أسلافهم تنجيةٌ للخلف، فإنه لو بقيَ أسلافُهم في عذابِ فرعونَ لكان ذلك لاحقاً لأخلافهم، فلذلك كانت منَّةُ النتيجةِ منَّتين: منَّةً على السلف، ومنَّةً على الخلف، فوجبَ شكرها على كل جيلٍ منهم.

وآلُ الرجل: أهله. والأهلُ والآلُ يرادُ به الأقاربُ والعشيرةُ والموالي، وخاصةَ الإنسانَ وأتباعَه. والمرادُ من آلِ فرعونَ وَزَعَتهُ ووكلاؤه، ويختصُّ الآلُ بالإضافةِ إلى ذي شأنٍ وشرفٍ دنيوي.

ومعنى {يَسُومُونَكُمْ}: يعاملونكم معاملةَ المحقوقِ بما عوملَ به.

وسوءُ العذاب: أشدُّهُ وأفظعه، وهو عذابُ التسخيرِ والإرهاق، وتسليطُ العقابِ الشديد، بتذبيحِ الأبناء، وسبي النساء. والمعنى: يذبحون أبناءَ آبائكم، ويستحيون نساءَ قومكم الأولين.

والبلاء: الاختبارُ بالخيرِ والشر، ولما كان الاختبارُ يوجبُ الضجرَ والتعبَ سمِّيَ بلاء، ثم شاعَ في اختبارِ الشر؛ لأنه أكثرُ إعناتاً للنفس. وأشهرُ استعمالهِ إذا أُطلِقَ أن يكونَ للشر، فإذا أرادوا به الخيرَ احتاجوا إلى قرينةٍ أو تصريح. والمرادُ هنا: المصيبة.

١٤٢- {وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِين}.

قالَ أثناءَ تفسيرِ الآيةِ (٢٠٥) من سورةِ البقرة: الفسادُ ضدُّ الصلاح، ومعنى الفساد: إتلافُ ما هو نافعٌ للناسِ نفعًا محققًا أو راجحًا.

١٤٤- {فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِين}.

{وكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ} لله على ما آتاكَ من رسالته، وحصلَ به من النجوى بطاعتهِ في أمرهِ ونهيه، والمسارعةِ إلى رضاه.

١٤٧- {وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا}.

حُجَجِ اللهِ ورسلهِ وآياته. (الطبري).

١٤٨- {اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ}.

ذكرَ أنه كقولهِ في سورةِ البقرة (الآية ٥١): {ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ}، قالَ هناك: حالٌ مقيدةٌ لـ {اتَّخَذْتُمُ}؛ ليكونَ الاتخاذُ مقترناً بالظلم، من مبدئهِ إلى منتهاه، وفائدةُ الحالِ الإشعارُ بانقطاعِ عذرهم فيما صنعوا، وأنْ لا تأويلَ لهم في عبادةِ العجل، أو لأنهم كانوا مدةَ إقامتهم بمصرَ ملازمين للتوحيد، محافظين على وصيةِ إبراهيمَ ويعقوبَ لذريتهما بملازمةِ التوحيد، فكان انتقالهم إلى الإشراكِ بعد أن جاءهم رسولٌ انتقالاً عجيباً! فلذلك كانوا ظالمين في هذا الصنعِ ظلماً مضاعفاً، فالظاهرُ أنْ ليس المرادُ بالظلمِ في هاتهِ الآيةِ الشركَ والكفر، وإن كان من معاني الظلمِ في اصطلاحِ القرآن؛ لظهورِ أنَّ اتخاذَ العجلِ ظلم، فلا يكونُ للحالِ معه موقع.

١٤٩- {وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}.

{قَدْ ضَلُّوا}: قد جاروا عن قصدِ السبيل، وذهبوا عن دينِ الله، وكفروا بربِّهم...

{لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}: ... لنكونَنَّ مِن الهالكينَ الذينَ حبطتْ أعمالهم. (الطبري).

١٥٣- {وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ}.

لساترٌ عليهم أعمالَهم السيّئة، وغيرُ فاضحِهم بها، رحيمٌ بهم، وبكلِّ مَن كانَ مثلهم من التائبين. (الطبري).

١٥٤- {وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ}.

{هُدًى وَرَحْمَةٌ} أي: بيانٌ للحقِ عظيم، ورحمةٌ جليلة، بالإرشادِ إلى ما فيه الخيرُ والصلاح.
{يَرْهَبُونَ} أي: يخافون أشدَّ الخوف. (روح المعاني).

١٥٥- {وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا}.

أي: للوقتِ الذي وقَّتناهُ له وعيَّنَّاهُ ليأتيَ فيه بسبعينَ رجلًا من خيارِ بني إسرائيل؛ ليعتذروا عمّا كان من القومِ من عبادةِ العجل، فهذا الميقاتُ ميقاتُ التوبة، لا ميقاتُ المناجاةِ والتكليم. (روح البيان).

١٥٦- {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ}.

ذكرَ في الآيةِ (١٨٣) من السورة، أن التقوى الشرعيةَ هي اتقاءُ المعاصي.

١٥٧- {أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}.

المُنجَحون، المدرِكونَ ما طلبوا ورجَوا بفعلِهم ذلك. (الطبري).

١٥٨- {فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}.
{النَّبِيِّ الأُمِّيِّ}: مما ذكرَهُ المؤلفُ في الآيةِ السابقةِ عن أميةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم قوله: الأميُّ الذي لا يعرفُ الكتابةَ والقراءة... والأميّةُ وصفٌ خصَّ الله به من رسلهِ محمداً، إتماماً للإعجازِ العلميِّ العقليِّ الذي أيدَهُ الله به، فجعلَ الأميةَ وصفاً ذاتياً له، ليتمَّ بها وصفهُ الذاتي، وهو الرسالة، ليظهرَ أن كمالَهُ النفسانيَّ كمالٌ لدُنيٌّ إلهيّ، لا واسطةَ فيه للأسبابِ المتعارفةِ

للكمالات، وبذلك كانت الأميةُ وصفَ كمالٍ فيه، مع أنها في غيرِهِ وصفُ نقصان، لأنه لمّا حصلَ له من المعرفةِ وسدادِ العقلِ ما لا يحتملُ الخطأَ في كلِّ نواحي معرفةِ الكمالاتِ الحق، وكان على يقينٍ من علمه، وبيّنةٍ من أمره، ما هو أعظمُ مما حصلَ للمتعلمين، صارت أمّيتهُ آيةً على كونِ ما حصلَ له إنما هو من فيوضاتٍ إلهية. اهـ.

{لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}: جعلَ رجاءَ الاهتداءِ إثرَ الأمرَين تنبيهاً على أنَّ من صدَّقَهُ ولم يتابعْهُ بالتزامِ شرعهِ فهو يعدُّ في خططِ الضلالة. (البيضاوي).

١٦٠- {وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُون}.

واذكروا نعمتي عليكم في إجابتي لنبيّكم موسى عليه السلام، حين استسقاني لكم، وتيسيري لكمُ الماء، وإخراجهِ لكم من حَجَرٍ يُحمَلُ معكم، وتفجيريَ الماءَ لكم منه مِن ثنتي عشرةَ عينًا، لكلِّ سبطٍ من أسباطِكم عينٌ قد عرفوها. وقد أنعَمنا عليهم وهم في ظروفٍ شديدةٍ في التِّيه، فظلَّلنا عليهمُ السَّحابَ الأبيضَ ليَقيَهُم حرَّ الشَّمسِ المُحرِق، وكان يَسيرُ الغَيمُ بسَيرِهم، ويَقِفُ بوقوفهم! وأنزلنا عليهم طعاماً شَهيّاً لا يَتعبونَ في تَحصيله، وهو المَنّ، الذي يَجدونَهُ على الأشجَارِ حُلواً كالعسل، وطائرُ السُّمانَى، القريبُ المنال، فكُلوا هذا الطعامَ الطيّبَ المستَلذَّ هَنيئاً مَريئاً. ولكنَّكم ظَلمتُم وجَحَدتُم، فكانتْ عاقبةُ ظُلمِكم على أنفسِكم. (تفسير ما لم يفسره ابن كثير).

١٦١- {وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ}

واذكرْ لليهودِ قولَنا لأسلافِهم: ادخلوا هذهِ القرية – أريحا أو بيتَ المقدسِ – وأقيموا فيها، وكلوا مِن مطاعمِها وثمارِها ما شئتُم، وقولوا عندَ دخولِكم "حِطَّة": حُطَّ عنّا ذنوبَنا واغفِرْ لنا، فإذا فعلتُم ذلكَ غفَرنا لكم ذنوبَكم، وزِدْنا المحسنينَ ثوابًا مِن فضلِنا. (الواضح).

١٦٢- {فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ}

فغيَّرَ الذينَ ظلموا أنفسَهم ما أُمِروا بهِ مِن الخضوعِ بالقولِ والفعل، فبدلَ أنْ يَدخُلوا ساجدينَ مستَغفِرين، دخلوا بهيئةٍ أخرَى مُخالِفة، وقالوا قولاً آخرَ غيرَ الذي أُمِروا به؛ مُخالفةً وعِناداً. فأنزلنا على الظَّالمينَ المعاندينَ عذاباً منَ السَّماء؛ لِما كانوا يعصونَ ويخرجونَ مِن أمرِ اللهِ تعالَى. (الواضح).

١٦٥- {وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ}.

يخالفونَ أمرَ الله، فيخرجون مِن طاعتهِ إلى معصيته، وذلكَ هو الفِسق. (الطبري).

١٦٦- {فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ}.

فلمّا تمرَّدوا فيما نُهوا عنه من اعتدائهم في السبت، واستحلالهم ما حرَّم الله عليهم من صيدِ السمكِ وأكله، وتمادَوا فيه، {قُلْنا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ} قالَ قتادة: فصاروا قردةً لها أذنابٌ تَعَاوَى، بعد ما كانوا رجالاً ونساء. (تفسير الطبري، باختصار).

١٧٠- {وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ}.

{يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ} أي: يتمسَّكون به في أمورِ دينهم. يقال: مسكَ بالشيء، وتمسَّك به. {إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ} أي: نعطيهم أجرهم في القولِ والعمل. والإصلاح: إما إصلاحُ الظواهر، وإما إصلاحُ السرائر، وذلك بالتقيدِ بالأعمالِ الظاهرة، وتربيةِ النفس، إلى أن تصلحَ لقبولِ فيضِ نورِ الله. (روح البيان).

١٧١- {خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}.

أشارَ إلى نظيرِهِ في الآيةِ (٦٣) من سورةِ البقرة، وقولهُ هناك ملخصًا: الأخذُ مجازٌ عن التلقِّي والتفهُّم. والقوةُ مجازٌ في الإيعاء وإتقانِ التلقِّي، والعزيمةِ على العملِ به. ويجوزُ أن يكونَ الذكرُ مجازاً عن الامتثال، أي: اذكروهُ عند عزمكم على الأعمال، حتى تكونَ أعمالكم جاريةً على وفقِ ما فيه. والمرادُ بما آتاهم: ما أوحاهُ إلى موسى، وهو الكلماتُ العشر، التي هي قواعدُ شريعةِ التوراة. وجملةُ {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} علَّةٌ للأمرِ بقوله: {خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ}. والرجاءُ الذي يقتضيهِ حرفُ (لعلَّ) مستعملٌ في معنى تقريبِ سببِ التقوى، بحضِّهم على الأخذِ بقوة، وتعهُّدِ التذكرِ لما فيه.

١٨١- {**وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ**}

قالَ في مثيلتها، في الآيةِ (١٥٩) من السورة: أي: يحكمون حكماً لا جَور فيه.

١٨٦- {**مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ في سورةِ البقرة (الآية ١٥): {اللهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُون}، وبيَّنَ هناك أن الطغيانَ مصدرٌ بوزنِ الغفرانِ والشكران، وهو مبالغةٌ في الطغْي، وهو الإفراطُ في الشرِّ والكِبْر. والعَمَهُ: انطماسُ البصيرة، وتحيُّرُ الرأي، وفعله: عَمِهَ، فهو عامهٌ وأعمه. اهـ.
وتفسيرهُ عند الإمامِ الطبري: ولكنَّ اللهَ يدَعُهم في تماديهم في كفرهم وتمرُّدِهم في شركهم يتردَّدون... (الطبري).

١٨٧- {**يَسْـــأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**}.

ولكن أكثرَ الناسِ لا يعلمون أن ذلك لا يعلمهُ إلاَّ الله، بل يحسبون أن علمَ ذلك يوجدُ عند بعضِ خلقه. (الطبري).

١٨٩- {**فَلَمَّا تَغَشَّاهَا**}.

أي: واقعها وجامعها. (البغوي).

٢٠١- {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ معنى (التقوى) عند قولهِ تعالى: {هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} من سورةِ البقرة (الآية ٢). ومما قالَهُ هناك: التقوى الشرعيةُ هي امتثالُ الأوامر، واجتنابُ المنهياتِ من الكبائر، وعدمُ الاسترسالِ على الصغائر، ظاهراً وباطناً، أي: اتقاءُ ما جعلَ الله الاقتحامَ فيه موجباً غضبَهُ وعقابه.

٢٠٤- {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}.

... ليرحمَكم ربُّكم باتِّعاظكم بمواعظِه، واعتبارِكم بعِبَره، واستعمالِكم ما بيَّنَهُ لكم ربُّكم مِن فرائضهِ في آية. (الطبري).

سورة الأنفال

١- {وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ}.

وانتهوا أيها القومُ الطالبون الأنفالَ إلى أمرِ الله وأمرِ رسولهِ فيما أفاءَ الله عليكم، فقد بيَّنَ لكم وجوهَهُ وسبُلَه. (الطبري).

١٠- {وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ}.

قالَ في مثلها، في الآيةِ (١٢٦) من سورةِ آلِ عمران: أي: كلُّ نصرٍ هو من الله لا من الملائكة. وقالَ الإمامُ الطبري: وما تُنصَرون على عدوِّكم أيها المؤمنون إلاّ أنْ ينصرَكم اللهُ عليهم، لا بشدَّةِ بأسِكم وقُواكم، بل بنصرِ اللهِ لكم، لأن ذلكَ بيدهِ وإليه، ينصرُ مَن يشاءُ مِن خَلقه.

١٢- {سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ}.

قالَ عند الآيةِ (١٥١) من سورةِ آلِ عمران: الرعب: الفزعُ من شدَّةِ خوف.

١٦- {وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}.

... ومصيرهُ الذي يصيرُ إليه في معادهِ يومَ القيامةِ جهنَّم، وبئسَ الموضعُ الذي يصيرُ إليه ذلكَ المصير. (الطبري).

١٨- {ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ}.

مُضعِف. (الطبري).

٢٢- {إِنَّ شَرَّ الدَّوَابَّ عِندَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُون}.

قال: المرادُ بالدوابِّ معناهُ الحقيقي. اهـ.

وقالَ الإمامُ الطبري: ما دبَّ على الأرضِ من خلقِ الله.

٣٠- {وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِين}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ في آيةِ سورةِ آلِ عمران (رقم ٥٤): {وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِين}، قالَ هناك ما ملخصه: ... ومَكْرُ الله بهم هو تمثيلٌ لإخفاقِ الله تعالى مساعيَهم، في حالِ ظنِّهم أن قد نجحتْ مساعيهم. ومعنى {وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِين} أي: أقواهم عند إرادةِ مقابلةِ مكرهم بخذلانهِ إيّاهم. ويجوزُ أن يكونَ معنى {خَيْرُ الْمَاكِرِين}: أنّ الإملاءَ والاستدراج - الذي يقدّرهُ للفجّارِ والجبابرةِ والمنافقين، الشبيهَ بالمكرِ في أنّه حَسَنُ الظاهرِ سيّءُ العاقبة - هو خيرٌ محض، لا يترتَّبُ عليه إلاّ الصلاحُ العام، وإن كان يؤذي شخصاً أو أشخاصاً، فهو من هذه الجهةِ مجرَّدٌ عمّا في المكرِ من القبح، ولذلك كانت أفعالهُ تعالى منزَّهةً عن الوصفِ بالقبحِ أو الشناعة، لأنها لا تقارنها الأحوالُ التي بها تقبحُ بعضَ أفعالِ العباد، من دلالةٍ على سفاهةِ رأي، أو سوءِ طوية، أو جُبن، أو ضعف، أو طمع، أو نحوِ ذلك. أي: فإن كان في المكرِ قبح، فمكرُ الله خيرٌ محض.

٣١- {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاء لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِين}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ في سورةِ الأنعام (الآية ٢٥)، قالَ هناك: الأساطيرُ جمعُ أسطورة، وهي القصّةُ والخبرُ عن الماضين. والأظهرُ أن الأُسطورةَ لفظٌ معرَّبٌ عن الرومية. وكان العربُ يطلقونهُ على ما يتسامَرُ الناسُ به من القصصِ والأخبارِ على اختلافِ أحوالها من صدقٍ وكذب. وقد كانوا لا يميّزون بين التواريخِ والقصصِ والخرافات، فجميعُ ذلك مرميٌّ بالكذبِ والمبالغة. فقولهم: {إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِين} يحتملُ أنهم أرادوا نسبةَ أخبارِ القرآنِ إلى الكذب، على ما تعارفوهُ من اعتقادهم في الأساطير. ويشتملُ أنهم أرادوا أن القرآنَ لا يخرجُ عن كونهِ مجموعَ قصصٍ وأساطير، يعنون أنه لا يستحقُّ أن يكونَ من عند الله؛ لأنهم لقصورِ أفهامهم، أو لتجاهلهم، يعرضون عن الاعتبارِ المقصودِ من تلك القصص، ويأخذونها بمنزلةِ الخرافاتِ التي يتسامرُ الناسُ بها لتقصيرِ الوقت (باختصار).

٣٤- {وَمَا كَانُواْ أَوْلِيَاءهُ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُون}.

أي: هم ليسوا أهلَ المسجدِ الحرام، وإنما أهلهُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه. (ابن كثير).

٣٧- {وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىَ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ}.

فيجعلَ الخبيثَ جميعًا في جهنم. (الطبري).

الجزء العاشر

٤١- {وَابْنِ السَّبِيلِ}.

أشارَ إلى تفسيرِهِ في الآيةِ (١٧٧) من سورةِ البقرة، قالَ هناك: وذكرَ ابنَ السبيل، وهو الغريب، أعني الضيفَ في البوادي، إذ لم يكنْ في القبائلِ نُزُلٌ أو خاناتٌ أو فنادق، ولم يكنِ السائرُ يستصحبُ معه المال، وإنما يحملُ زادَ يومه، ولذلك كان حقُّ الضيافةِ فرضاً على المسلمين، أي: في البوادي ونحوها.

٤٤- {لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا}.

ذكرَ أنه نظيرُ قولهِ تعالى: {وَلَـكِن لِّيَقْضِيَ اللهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً} (الآية ٤٢ من السورة)، ومما قالَهُ هناك: أي: ليحقِّقَ وينجزَ ما أرادَهُ من نصركم على المشركين.

٤٧- {وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ}.

ويمنعون. (ينظر روح البيان).

٥٤- {كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُواْ ظَالِمِين}.

فسَّرَهُ في الآيةِ (٥٢) من السورة، وأشارَ إلى الفرقِ بين (كَفَرُواْ} في الآيةِ السابقة، و{كَذَّبُواْ} في الآيةِ (١١) من سورةِ آلِ عمران، وهي هنا كذلك.

{وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُواْ ظَالِمِين}: عطفَ قولهُ تعالى {وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ} على (أهلكنا) مع اندراجهِ تحته، للإيذانِ بكمالِ هولِ الإغراقِ وفظاعته، كعطفِ جبرائيلَ على الملائكة. {وَكُلٌّ} من غرقَى القبطِ وقتلَى قريش {كَانُواْ ظَالِمِين} أنفسَهم بالكفرِ والمعاصي، حيث عرَّضوها للهلاك، أو واضعين للكفرِ والتكذيبِ مكانَ الإيمانِ والتصديق. (روح البيان).

٦٦- {وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ}.

المقصودُ أن العشرين لو صبروا ووقفوا، فإن نصرتي معهم، وتوفيقي مقارنٌ لهم. (مفاتح الغيب).

٦٩- {وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}.

إن اللهَ غفورٌ لذنوبِ أهلِ الإيمانِ من عباده، رحيمٌ بهم أنْ يعاقبَهم بعد توبتِهم منها. (الطبري).

٧٣- {وَالَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ}.

أعوانُ بعضٍ وأنصارُه. (الطبري).

٧٤- {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا}.

هم المهاجرون والأنصارُ رضيَ الله عنهم، كما بيَّنَهُ في الآية (٧٢) من السورة.

سورة التوبة

١٠- {لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً}.

قالَ في الآيةِ الثامنةِ من السورة: {لَا يَرْقُبُونَ}: لا يوفوا ولا يراعوا، يقال: رقَبَ الشيءَ إذا نظرَ إليه نظرَ تعهُّدٍ ومراعاة، ومنه سمِّيَ الرقيب، وسمِّيَ المرْقَبُ مكانَ الحراسة، وقد أطلقَ هنا على المراعاةِ والوفاءِ بالعهد، لأن من أبطلَ العملَ بشيءٍ فكأنهُ لم يَره، وصرفَ نظرَهُ عنه. والإلّ: الحلفُ والعهد، ويطلقُ الإلُّ على النسبِ والقرابة. وقد كانت بين المشركين وبين المسلمين أنسابٌ وقرابات، فيصحُّ أن يرادَ هنا كلا معنييه. والذمَّة: ما يمتُّ به من الأواصر، من صحبةٍ وخلَّةٍ وجوار، ممّا يجبُ في المروءةِ أن يحفظَ ويُحمى، يقال: في ذمَّتي كذا، أي: ألتزم به وأحفظه.

١٢- {وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ}.

ذكرَ أن (النكثَ) تقدَّمَ في الآيةِ (١٣٥) من سورةِ الأعراف. قالَ هناك: النكثُ حقيقتهُ نقضُ المفتولِ من حبلٍ أو غَزْل، قالَ تعالى: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا} [سورة النحل: ٩٢]، واستعيرَ النكثُ لعدمِ الوفاءِ بالعهد، كما استعيرَ الحبلُ للعهد، في قولهِ تعالى: {إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ} [سورة آل عمران: ١١٢].

١٣- {أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ}.

ذكرَ في الآيةِ (١٣٥) من سورةِ الأعراف، أن النكثَ حقيقتهُ نقضُ المفتولِ من حبلٍ أو غَزْل، وأنه استعيرَ لعدمِ الوفاءِ بالعهد.

١٧- {وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ}.

ماكثونَ فيها أبدًا، لا أحياءً ولا أمواتًا. (الطبري).

١٨- {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ}.

قالَ عند تفسيرِ الآيةِ السابقة: عَمْرُ المساجد: العبادةُ فيها؛ لأنها إنما وُضِعَتْ للعبادة، فعَمْرُها بمن يحلُّ فيها من المتعبّدين، ومن ذلك اشتقَّتِ العُمرة.

٢٢- {خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا}.

{خَالِدِينَ فِيها}: ماكثين فيها، يعني في الجنات، {أَبَدًا}: لا نهايةَ لذلك ولا حدّ. (الطبري).

٣٤- {إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ}.

قالَ أثناءَ تفسيرِ الآيةِ (٣١) من السورة: الأحبارُ جَمعُ حَبر - بفتحِ الحاءِ - وهو العالِمُ من علماءِ اليهود. الرهبان: اسمُ جمعٍ لراهب، وهو التقيُّ المنقطعُ لعبادةِ الله من أهلِ دينِ النصرانية. وإنما خُصَّ الحَبرُ بعالِمِ اليهود؛ لأن عظماءَ دينِ اليهوديةِ يشتغلون بتحريرِ علومِ شريعةِ التوراة، فهم علماءُ في الدين، وخُصَّ الراهبُ بعظيمِ دينِ النصرانية؛ لأن دينَ النصارى قائمٌ على أصلِ الزهدِ في الدنيا، والانقطاعِ للعبادة.

٣٦- {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ}.

عند تفسيرِهِ الآيةَ الثانيةَ من سورةِ البقرةِ قال: التقوى الشرعيةُ هي امتثالُ الأوامر، واجتنابُ المنهياتِ من الكبائر، وعدمُ الاسترسالِ على الصغائر، ظاهراً وباطناً، أي: اتقاءُ ما جعلَ الله الاقتحامَ فيه موجباً غضبَهُ وعقابه.

٤٨- {لَقَدِ ابْتَغَوُاْ الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ}.

قالَ عند تفسيرِ الآيةِ السابقة: الفتنة: اختلالُ الأمورِ وفسادُ الرأي.

٤٩- {وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ}.

ذكرَ أنواعَ الفتن.. ثم قال: وقد تقدَّمَ بيانُ (الفتنةِ) قريبًا. ويعني في الآيةِ (٤٧) من السورة، قال: الفتنة: اختلالُ الأمورِ وفسادُ الرأي.

٥١- {هُوَ مَوْلَانَا}.

ناصرنا ومتولي أمورنا. (البيضاوي).

٥٨- {وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُون}.

أي: يغضبون لأنفسهم. (ابن كثير).

٦٣- {أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا}.

لابثًا فيها، مُقيمًا إلى غيرِ نهاية. (الطبري).

٦٤- {قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ في الآيةِ (١٤) من سورةِ البقرة. قالَ هناك: الاستهزاء: السخرية، يقال: هزأَ به، واستهزأَ به، فالسينُ والتاءُ للتأكيد، مثلُ استجاب، أي: عاملَهُ فعلاً أو قولاً يحصلُ به احتقاره...

٦٥- {**قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ**}.

المرادُ بآياته: كتابه. (الخازن).

٦٧- {**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**}

أي: الخارجونَ عن طريقِ الحقّ، الداخلونَ في طريقِ الضلالة. (ابن كثير).

٦٩- {**وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ**}.

{وَخُضْتُمْ} أي: دخلتم في الباطلِ وشرعتم فيه {كَالَّذِي} أي: كالفوجِ الذي {خَاضُوْا}. (روح البيان).

٧٠- {**أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ**}.

... مِن قومِ نوحٍ كيف أُهلِكوا بالطُّوفان، ومِن عادٍ كيف أُهلِكوا بالرِّيح لما كذَّبوا نبيَّهم هوداً عليهِ السَّلام، ومِن ثمودَ كيف أُهلِكوا بالرَّجْفةِ لما كذَّبوا نبيَّهم صالحاً وعَقروا الناقة، ومِن قومِ إبراهيمَ كيف أهلكَ مَلِكَهم نُمرودَ ثمَّ أُهلِكوا بعدَه، ومِن أصحابِ مَدْيَنَ كيف أهلكَهم بالنارِ يومَ الظُّلَّة {إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} [سورة الشعراء: ١٨٩] لما كذَّبوا نبيَّهم شُعَيباً عليهِ السَّلام. (الواضح في التفسير).

٧٢- {**وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**}

{جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا}: أشـــارَ إلى تقدمِ الكلامِ على نحوهِ في الآيةِ (٢٥) من سـورةِ البقرة، وقد ذكرَ هناكَ أن الجنةَ هي المكانُ الذي تكاثرتْ أشـجاره، والتفَّ بعضُـها ببعضٍ حتى كثرَ ظلُّها، وذلك من وسـائلِ التنعمِ والترفهِ عند البشـرِ قاطبة. والجريُ يطلقُ مجازًا على سـيلِ الماءِ سـيلًا متكررًا متعاقبًا، وأحسـنُ الماءِ ما كان جاريًا غيرَ قارّ؛ لأنه يكونُ بذلك... {وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}: احتراسٌ مِن تَوهُّمِ الانقطاعِ بما تعوَّدوا من انقطاعِ اللذَّاتِ في الدنيا؛ لأن جميعَ اللذَّاتِ في الدنيا معرَّضةٌ للزوال، وذلك ينغِّصُها عند المنعَمِ عليه. اهـ.

{الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}: هو الظفرُ العظيمُ والنجاءُ الجسـيم، لأنهم ظفروا بكرامةِ الأبد، ونجوا من الهوانِ في السفر، فهو الفوزُ العظيمُ الذي لا شيءَ أعظمُ منه. (الطبري).

٧٣- {**يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ**}.

قالَ عند تفسـيرِ الآيةِ (١٢٣) من هذه السـورةِ {وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً}: الغِلظةُ - بكسـرِ الغين - الشـدَّةُ الحسِّـيةُ والخشـونة، وهي مسـتعارةٌ هنا للمعاملةِ الضـارَّة، كقوله: {وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ}. قالَ في "الكشّـاف": وذلك يجمعُ الجرأةَ والصـبرَ على القتال، والعنفَ في القتلِ والأَسر. اهـ. قلت: والمقصـدُ من ذلك إلقاءُ الرعبِ في قلوبِ الأعداء، حتى يخشَـوا عاقبةَ التصدّي لقتالِ المسلمين. اهـ.

٧٥- {**وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ**}.

أي: من جملةِ أهلِ الصـلاحِ من المؤمنين، القائمين بواجباتِ الدين، التاركين لمحرّماته. (فتح القدير).

٨١- {**لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ**}.

يعلَمون. (البغوي وغيره).

٨٣- {**وَلَن تُقَاتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّا**}.

كررَ معنى قتالِ العدوِّ لأنه عظمُ الجهاد، وموضعُ بارقةِ السيوفِ التي تحتها الجنة. (ابن عطية).

٨٥- {وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ}.

قالَ في مثلها، في الآيةِ (٥٥) من السورة: الزهوق: الخروجُ بشدَّةٍ وضيق، وقد شاعَ ذكرهُ في خروجِ الروحِ من الجسد. وأرادَ موتهم على الكفر؛ لأنّه إذا زهقتِ النفسُ في حالِ الكفرِ فقد ماتَ كافراً. (اهـ. محررًا مختصرًا).

٨٧- {وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ}

أي: لا يفهمونَ ما فيه صلاحٌ لهم فيفعلوه، ولا ما فيه مضرَّةٌ لهم فيجتنبوه. (ابن كثير).

٨٨- {وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}.

ذكرَ أن القولَ فيه، كالقولِ في نظيرِهِ في أولِ سورةِ البقرة (الآية ٥). ومما قالَهُ هناك: الفلاح: الفوزُ وصلاحُ الحال، فيكونُ في أحوالِ الدنيا وأحوالِ الآخرة، والمرادُ به في اصطلاحِ الدين: الفوزُ بالنجاةِ من العذابِ في الآخرة.

٨٩- {أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}.

ذكرَ في الآيةِ (٢٥) من سورةِ البقرة، أن الجنةَ هي المكانُ الذي تكاثرتْ أشجاره، والتفَّ بعضُها ببعضٍ حتى كثرَ ظلُّها، وذلك من وسائلِ التنعمِ والترفهِ عند البشرِ قاطبة. والجريُ يطلقُ مجازًا على سيلِ الماءِ سيلًا متكررًا متعاقبًا، وأحسنُ الماءِ ما كان جاريًا غيرَ قارّ؛ لأنه يكونُ بذلك... {وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}: احتراسٌ مِن تَوهُّمِ الانقطاعِ بما تعوَّدوا من انقطاعِ اللذَّاتِ في الدنيا؛ لأن جميعَ اللذَّاتِ في الدنيا معرَّضةٌ للزوال، وذلك ينغِّصُها عند المنعَمِ عليه. اهـ.

{ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}: ذلك النجاءُ العظيم، والحظُّ الجزيل. (الطبري).

٩٠- {وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ}.

قالَ في (إنســـان العيون): {وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ}: وهم الضــعفاءُ والمقلُّون من الأعرابِ {لِيُؤْذَنَ لَهُمْ} في التخلُّف، فأذنَ لهم... (نقلَهُ صاحب روح البيان).

الجزء الحادي عشر

٩٣- {وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ}.

ذكرَ في الآيةِ (٨٧) من السورة أن الطبعَ مرادفُ الخَتْم.

٩٧- {الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا}.

ذكرَ عند تفسيرِ الآيةِ (٩٠) من السورة، أن الأعرابَ هم سكانُ البادية.

٩٩- {وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ}.

أشارَ إلى تقدُّمِ معناهُ في الآيةِ السابقة، قال: ومعنى {يَتَّخِذُ}: يَعُدُّ ويَجعل؛ لأن (اتَّخَذَ) من أخواتِ جعل. والجعلُ يطلقُ بمعنى التغييرِ من حالةٍ إلى حالة، نحو: جعلت الشقة برداً. ويطلقُ بمعنى العدِّ والحسبان، نحو: {وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا} [سورة النحل: ٩١]، فكذلك {يَتَّخِذُ} هنا.

١٠٠- {وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}.

ذكرَ في الآيةِ (٢٥) من سورةِ البقرة، أن الجنةَ هي المكانُ الذي تكاثرتْ أشجاره، والتفَّ بعضُها ببعضٍ حتى كثرَ ظلُّها، وذلك من وسائلِ التنعمِ والترفهِ عند البشرِ قاطبة. والجريُ يطلقُ مجازًا على سيلِ الماءِ سيلًا متكررًا متعاقبًا، وأحسنُ الماءِ ما كان جاريًا غيرَ قارّ؛ لأنه يكونُ بذلك... {وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}: احتراسٌ مِن تَوهُّمِ الانقطاعِ بما تعوَّدوا من انقطاعِ اللذَّاتِ في الدنيا؛ لأن جميعَ اللذَّاتِ في الدنيا معرَّضةٌ للزوال، وذلك ينغِّصُها عند المنعَمِ عليه. اهـ.

{ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} الذي لا فوزَ وراءه. (روح البيان).

١٠٢- {إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}.

إنَّ اللهَ ذو صفحٍ وعفوٍ لمن تابَ عن ذنوبه، وساترٌ له عليها، رحيمٌ أنْ يعذِّبَهُ بها. (الطبري).

١٠٥- {وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}.

وستُرَدُّونَ يومَ القيامةِ إلى مَن يعلمُ سرائرَكم وعلانيتَكم، فلا يخفَى عليه شيءٌ من باطنِ أموركم وظواهِرها، فيخبركم بما كنتُم تعملون، وما منه خالصًا وما منه رياء، وما منه طاعةً وما منه للهِ معصية، فيجازيكم على ذلك كلِّه جزاءكم، المحسنَ بإحسانه، والمسيءَ بإساءته. (الطبري).

١٠٩- {وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}.

أي: لا يُصلِحُ عملَ المفسدين. (ابن كثير).

١١١- {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}.

{أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ}: المرادُ بالأنفسِ هنا أنفسُ المجاهدين، وبالأموال: ما ينفقونَهُ في الجهاد.

{وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}: الإشارةُ بقوله: {ذٰلِكَ} إلى الجنة، أو إلى نفسِ البيعِ الذي ربحوا فيه الجنة، ووصفُ الفوزِ - وهو الظفرُ بالمطلوبِ - بالعِظَم، يدلُّ على أنه فوزٌ لا فوزَ مثله. (فتح القدير).

١١٣- {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ}.

{أُولِي قُرْبَى} أي: ذوي قرابةٍ لهم.

{مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ} أي: ظهرَ للنبيِّ عليه السلامُ والمؤمنين {أَنَّهُمْ} أي: المشركين {أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} أي: أهلُ النار، بأن ماتوا على الكفر، أو نزلَ الوحيُ بأنهم يموتون على ذلك. (روح البيان).

١١٦- {وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ الكلامُ على (الوليّ) في الآيةِ (١٤) من سورةِ الأنعام. قالَ هناك: الوليّ: الناصرُ المدبِّر، ففيه معنى العلمِ والقدرة. يقال: تولَّى فلاناً، أي: اتَّخَذَهُ ناصــراً. وسُمِّيَ الحليفُ وليًّا لأن المقصــودَ من الحلفِ النصــرة. ولما كان الإلهُ هو الذي يَرجعُ إليه عابدهُ سُمِّيَ وليًّا لذلك. ومن أسمائهِ تعالى: الوليّ.

كما ذكرَ أنه تقدَّمَ معنى النصــر في ســورةِ البقرة (الآية ٤٨)، ومما قالَهُ هناك، أن النصــرَ هو إعانةُ الخصمِ في الحربِ وغيرهِ بقوةِ الناصرِ وغلبته.

١١٧- {ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}.

إن ربَّكم بالذين خالطَ قلوبَهم ذلكَ لما نالهم في سفرهم من الشدَّةِ والمشقَّة، رؤوفٌ بهم، رحيمٌ أنْ يهلكهم فينزعَ منهم الإيمانَ بعد ما قد أبلَوا في اللهِ ما أبلَو مع رســولهِ، وصــبروا عليه من البأساءِ والضرّاء. (الطبري).

١١٨- {ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}.

إن اللهَ هو الوهَّابُ لعبادهِ الإنابةَ إلى طاعته، الموفِّقُ مَن أحبَّ توفيقَهُ منهم لما يُرضــيهِ عنه، الرحيمُ بهم أنْ يعاقبَهم بعدَ التوبة، أو يخذلَ مَن أرادَ منهم التوبةَ والإنابةَ ولا يتوبَ عليه. (الطبري).

١٢٥- {وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ}.

{الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ}: ذكرَ أن (المرضَ في القلوب) تقدَّمَ في الآيةِ (١٠) من سورةِ البقرة، وهو طويل، من ذلك قوله: المرادُ بالمرضِ في هاتهِ الآيةِ هو معناهُ المجازيُّ لا محالة؛ لأنه هو الذي اتصفَ به المنافقون، وهو المقصودُ من مذمَّتهم، وبيانُ منشأ مساوي أعمالهم. اهـ.

{وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ}: يعني هؤلاءِ المنافقينَ، أنهم هلكوا وهم كافرونَ باللهِ وآياته. (الطبري).

أي: استحكمَ ذلك فيهم إلى أنْ يموتوا عليه. (روح المعاني).

سورة يونس

٢- {أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ}.

{أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ} أي: أعلِمْهم مع التخويف. (البغوي).

٣- {الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}.

ذكرَ أنه مضى القولُ في نظيرِهِ بسورةِ الأعراف (الآية ٥٤) {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}، ومختصرُ تفسيرِهِ لها: الصِّلةُ {الَّذِي} مؤذنةٌ بالإيماءِ إلى وجهِ بناءِ الخبر المتقدِّم، وهو {إِنَّ رَبَّكُمُ}؛ لأن خلقَ السّماواتِ والأرضَ يكفيهم دليلاً على انفرادِهِ سبحانهُ بالإلهية. وقوله: {فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} تعليمٌ بعظيمِ قدرته، ويحصلُ منه للمشركين زيادةُ شعورٍ بضلالهم في تشريكِ غيرِهِ في الإلهية. وقد اقتضتْ حكمةُ الله تعالى أن يكونَ خلقُ السّماواتِ والأرضِ مدرجاً، وأن لا يكونَ دفعة... وأيًّا ما كان، فالأيامُ مرادٌ بها مقادير، لا الأيامُ التي واحدها يوم، الذي هو من طلوعِ الشمسِ إلى غروبها، إذ لم تكنْ شمسٌ في بعضِ تلك المدة. والتعمُّقُ في البحثِ في هذا خروجٌ عن غرضِ القرآن.

والاستواءُ له معانٍ متفرِّعةٌ عن حقيقته، أشهرها: القصدُ والاعتلاء، وقد التُزِمَ هذا اللَّفظُ في القرآنِ مسنداً إلى ضميرِ الجلالةِ عند الإخبارِ عن أحوالٍ سماوية، كما في هذه الآية. ونظائرُها سبعُ آيات من القرآن...

٤- {وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ في سورةِ الأنعام (الآية ٧٠)، ومما قالَهُ هناك: الحميم: الماءُ الشديدُ الحرارة... وخُصَّ الشرابُ من الحميمِ من بين بقيةِ أنواعِ العذابِ المذكورِ من بعد، للإشارةِ إلى أنَّهم يعطشون فلا يشربون إلاّ ماءً يزيدُهم حرارةً على حرارةِ العطش.

٧- {وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُون}.

عن آياتِ القرآن، فيكونُ المرادُ الآياتِ التشريعية، أو عن دلائلِ الصنع، فيكونُ المرادُ الآياتِ التكوينية. (روح البيان).

٩- {**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ**}.

{وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}: وذلك العملُ بطاعةِ الله، والانتهاءُ إلى أمره.

{فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ}: في بساتينِ النعيم، الذي نعَّمَ اللهُ به أهلَ طاعتهِ والإيمانِ به. (الطبري).

١٠- {**وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**}.

قالَ عند تفسيرِ سورةِ الفاتحة، ما مختصره: يخبرُ أن المستحقَّ للحمدِ هو الله عزَّ وجلّ، وفيه تعليمُ الخلق، تقديره: قولوا: الحمدُ لله. والحمدُ يكونُ بمعنى الشكرِ على النعمة، ويكونُ بمعنى الثناءِ عليه بما فيه من الخصالِ الحميدة. والربُّ يكونُ بمعنى المالك، كما يقالُ لمالكِ الدار: ربُّ الدار. ويقال: ربُّ الشيءِ إذا ملكه، ويكونُ بمعنى التربيةِ والإصلاح، يقال: ربَّ فلانٌ الضيعةَ يَرُبُّها إذا أتمَّها وأصلحها، فهو ربّ، مثلُ طبَّ، وبَرَّ. فالله تعالى مالكُ العالمين ومربّيهم، ولا يقالُ للمخلوقِ هو الربُّ معرَّفاً، إنما يقال: ربُّ كذا، مضافاً، لأن الألفَ واللامَ للتعميم، وهو لا يملكُ الكلّ. و{الْعَالَمِينَ} جمعُ عالَم، لا واحدَ له من لفظه. قالَ ابنُ عباس: هم الجنُّ والإنس؛ لأنهم المكلَّفون بالخطاب.

١٢- {**وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُون**}.

{الضُّرُّ}: ذكرَ أن (الضرَّ) تقدَّمَ في سورةِ الأنعام (الآية ١٧). قالَ هناك: الضُرُّ - بضمِّ الضادِ - هو الحالُ الذي يؤلمُ الإنسان، وهو من الشرّ، وهو المنافرُ للإنسان. ويقابلهُ النفع، وهو من الخير، وهو الملائم.

{زُيِّنَ}: ذكرَ أنه تقدَّمَ عند تفسيرِ الآيةِ (١٠٨) من سورةِ الأنعامِ أيضًا. قال: التزيين: تفعيلٌ من الزَّيْن، وهو الحُسن، أو من الزِّينة، وهي ما يَتحسَّنُ به الشّيء. فالتَّزيين: جعلُ الشيءِ ذا

زينة، أو إظهارهُ زَيْناً، أو نسبتهُ إلى الزَّين. وهو هنا بمعنى إظهارهِ في صورةِ الزَّين، وإن لم يكنْ كذلك.

١٥- {إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ}

عذابَ يومٍ عظيمٍ هَوْلُه. (الطبري). هو يومُ القيامة. (روح البيان).

١٧- {إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْمُجْرِمُون}.

ذكرَ أن (الفلاح) تقدَّمَ في سورةِ البقرة (الآية ٥)، ومما قالَهُ هناك: الفلاح: الفوزُ وصلاحُ الحال، فيكونُ في أحوالِ الدنيا وأحوالِ الآخرة، والمرادُ به في اصطلاحِ الدين: الفوزُ بالنجاةِ من العذابِ في الآخرة. والفعلُ منه: أفلح، أي: صارَ ذا فلاح.

٢٧- {وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}.

{وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ}: وتَغشاهُم ذلَّةٌ وهوانٌ بعقابِ اللهِ إيّاهم.

{أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}: هؤلاءِ الذين وصفتُ لكَ صفتَهم، أهلُ النارِ الذين هم أهلُها، هم فيها ماكثون. (الطبري).

٣١- {وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ نظيرهُ في أوائلِ هذه السورة (الآية ٣)، وفيها قوله: ... خالقُ العوالمِ بغايةِ الإتقانِ والمقدرة، ومالكُ أمرها، ومدبِّرُ شؤونها، والمتصرِّفُ المطلق..

٣٦- {إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ}.

إن الله ذو علمٍ بما يفعلُ هؤلاء المشركون، من اتِّباعِهم الظنّ، وتكذيبِهم الحقَّ اليقين، وهو لهم بالمرصاد، حيث لا يغني عنهم ظنُّهم من الله شيئاً. (الطبري).

٣٧- {لَا رَيْبَ فِيهِ}.

لا شكَّ فيه. (الطبري).

٣٨- {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ}.

ذكرَ عند تفسيرِ الآيةِ (٩٤) من سورةِ آلِ عمران، أن الافتراءَ هو الكذب، وهو مرادفُ الاختلاق، وكأن أصلَهُ كنايةٌ عن الكذبِ وتلميح، وشاعَ ذلك حتى صارَ مرادفًا للكذب.

٤٠- {وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ}.

بالمعاندين أو المصرّين. (البيضاوي).

٤٥- {قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ}.

وما كانوا موفَّقين لإصابةِ الرشدِ ممَّا فعلوا مِن تكذيبِهم بلقاءِ الله؛ لأنه أكسبَهم ذلكَ ما لا قِبَلَ لهم به مِن عذابِ الله. (الطبري).

٥٤- {وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}

{وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} مِن جزاءِ أعمالِهم شيئًا، ولكنْ يجازي المحسنَ بإحسانه، والمسيءُ مِن أهلِ الإيمانِ إمّا أنْ يعاقبَهُ الله، وإمّا أنْ يعفوَ عنه، والكافرُ يخلدُ في النار. فذلكَ قضاءُ اللهِ بينهم بالعدل، وذلكَ لا شكَّ عدلٌ لا ظلم. (الطبري).

٥٧- {وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ}.

ذكرَ أنها تقدَّمت في تفسيرِ البسملة، ولكنه هناك أحالَ إلى سورةِ الفاتحة، ومما قالَه: اسمُ الرحمةِ موضوعٌ في اللغةِ العربيةِ لرقةِ الخاطرِ وانعطافه...

وقالَ الإمامُ الطبري: جعلهُ تباركَ وتعالى رحمةً للمؤمنين به دون الكافرين به، لأن من كفرَ به فهو عليه عمى، وفي الآخرةِ جزاؤهُ على الكفرِ به الخلودُ في لَظى.

٥٩- {قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ}.

ذكرَ عند تفسيرِ الآيةِ (٩٤) من سورةِ آلِ عمران، أن الافتراءَ هو الكذب، وهو مرادفُ الاختلاق، وكأن أصلَهُ كنايةٌ عن الكذبِ وتلميح، وشاعَ ذلك حتى صارَ مرادفًا للكذب. اهـ.

يعني: بل أنتم كاذبون على الله في ادِّعائكم أن الله أمرنا بهذا. (الخازن).

٦٣- {ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيم}.

الذي لا يقادَرُ قدره، ولا يماثلهُ غيره. (فتح القدير).

٦٥- {إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا}.

أي: الغلبةُ والقهر. (فتح القدير وغيره).

٧٢- {فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ}.

أعرضتُم عن قولي وقبولِ نصحي. (البغوي).

٧٣- {فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا}.

{وَمَنْ مَعَهُ}: ممَّن حملَ معه في الفُلك. (الطبري). والمرادُ بمن معه مَن قد أجابَهُ وصارَ على دينه. (فتح القدير).

{بِآيَاتِنَا}: يعني حُجَجِنا وأدلَّتِنا على توحيدِنا، ورسالةِ رسولِنا نوح. (الطبري).

٨٣- {عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ آنفًا، وهو في الآيةِ (٧٥) من السورة، قال: المرادُ بالملأ خاصَّةُ الناسِ وسادتُه.

٨٥- {رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِين}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ تفسيرها آنفًا، وهي في الآية (٨٣)، قال: الفتنة: إدخالُ الروعُ والاضطرابِ على العقل، بسببِ تسليطِ ما لا تستطيعُ النفسُ تحمُّلَه.

٩٢- {وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ}.

حُجَجِنا وأدلَّتِنا. (الطبري).

٩٧- {وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ}.

دلالة. (البغوي).

١٠٦- {وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ}.

{مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ}: ... لا ينفعُكَ في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يضرُّكَ في دينٍ ولا دنيا، يعني بذلك الآلهةَ والأصنام، يقول: لا تعبدها راجيًا نفعَها أو خائفًا ضرَّها، فإنها لا تنفعُ ولا تضرّ، {مِنَ الظَّالِمِينَ} يقول: مِن المشركينَ بالله، الظالمِ لنفسه. (الطبري).

سورة هود

٣- {وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ}.

أعرَضوا. (البغوي).

الجزء الثاني عشر

٧- {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاء}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ القولُ في نظيرها بسورةِ الأعراف (الآية ٥٤)، ومختصرُ تفسيرِهِ لها: تعليمٌ بعظيمِ قدرته، ويحصلُ منه للمشركين زيادةُ شعورٍ بضلالهم في تشريكِ غيرِهِ في الإلهية. وقد اقتضتْ حكمةُ الله تعالى أن يكونَ خلقُ السّـــماواتِ والأرضِ مدرجاً، وأن لا يكونَ دفعة... وأيًّا ما كان، فالأيامُ مرادٌ بها مقادير، لا الأيامُ التي واحدها يوم، الذي هو من طلوعِ الشـــمسِ إلى غروبها، إذ لم تكنْ شمسٌ في بعضِ تلك المدة. والتعمُّقُ في البحثِ في هذا خروجٌ عن غرضِ القرآن.

٩- {إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُور}.

قنوطٌ في الشدَّة. (البغوي).

١١- {إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِير}.

{وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ} شكرًا لنعمائهِ الظاهرةِ والباطنة، أو السالفةِ والآنفة. والعملُ الصالحُ هو ما كان لوجهِ الله تعالى. (روح البيان).

{أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ} يغفرها لهم، ولا يفضحهم بها في معادهم، {وأَجْرٌ كَبِيرٌ} يقول: ولهم من الله مع مغفرةِ ذنوبهم ثوابٌ على أعمالهم الصـــالحةِ التي عملوها في دارِ الدنيا جزيل، وجزاءٌ عظيم. (الطبري).

١٢- {وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ}.

أي: قائمٌ به وحافظٌ له، فيحفَظُ أحوالكَ وأحوالَهم، فتوكَّلْ عليهِ في جميعِ أمورك، فإنه فاعلٌ بهم ما يليقُ بحالهم. (روح المعاني).

١٥- {مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا}.

{يُرِيد}: المرادُ بالإرادةِ ما يحصلُ عند مباشرةِ الأعمال، لا مجردُ الإرادةِ القلبية؛ لقولهِ تعالى {نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا} أي: نوصلُ إليهم ثمراتِ أعمالهم في الحياةِ الدنيا كاملة...
{وَزِينَتَهَا} أي: ما يزيّنها ويحسّنها، من الصحةِ والأمنِ والسعة، في الرزقِ وكثرةِ الأولادِ والرئاسةِ وغيرِ ذلك، لا وجهَ الله تعالى. (روح البيان).

١٨- {**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أُوْلَـئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاء الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِين**}.
{افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا}: ذكرَ عند تفسيرِ الآيةِ (٩٤) من سورةِ آلِ عمران، أن الافتراءَ هو الكذب، وهو مرادفُ الاختلاق، وكأن أصلَهُ كنايةٌ عن الكذبِ وتلميح، وشاعَ ذلك حتى صارَ مرادفًا للكذب. اهـ.
{أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِين}: ألا غضبُ الله على المعتدين الذين كفروا بربِّهم. (الطبري).

٢٣- {**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُواْ إِلَى رَبِّهِمْ**}.
أشار إلى تفسيرها في سورةِ البقرة (الآية ٨٢). وفيها اقتصرَ على قوله: تذييلٌ لتعقيبِ النذارةِ بالبشارةِ على عادةِ القرآن.
وقالَ الإمامُ الطبري: إن الذين صَدَقوا الله ورسولَه، وعملوا في الدنيا بطاعةِ الله..

٢٥- {**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ**}.
يخبرُ تعالَى عن نوحٍ عليهِ السلام، وكانَ أوَّلَ رسولٍ بعثَهُ اللهُ إلى أهلِ الأرضِ مِن المشركينَ عَبَدةِ الأصنام، أنهُ قالَ لقومه: {إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ} أي: ظاهرُ النَّذارَةِ لكم مِن عذابِ الله، إنْ أنتم عبدتُم غيرَ الله. (ابن كثير).

٣١- {**وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللهُ خَيْرًا**}.
أي: توفيقاً وإيماناً وأجراً. (البغوي).

٣٢- {قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ}.
{إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} في حكمِكَ بلحوقِ العذابِ إنْ لم نؤمنْ بك (روح المعاني).

٣٥- {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي}.
ذكرَ عند تفسيرِ الآيةِ (٩٤) من سورةِ آلِ عمران، أن الافتراءَ هو الكذب، وهو مرادفُ الاختلاق، وكأن أصلَهُ كنايةٌ عن الكذبِ وتلميح، وشاعَ ذلك حتى صارَ مرادفًا للكذب.

٣٧- {وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا}.
ذكرَ أنه تقدَّمَ في سورةِ البقرة (الآية ١٦٤). وفيها أن المقصودَ السفن، قال: وهو ومفردهُ سواءٌ في الوزن.

٤٢- {وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ}.
تجري بنوحٍ ومن معه فيها. (الطبري). أي: السفينةُ سائرةٌ بهم على وجهِ الماء، الذي قد طبقَ جميعَ الأرض. (ابن كثير).

٤٣- {قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ}.
{يَعْصِمُنِي}: يمنعني. (البغوي وغيره).

٤٧- {وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ}.
منَ الذين غَبنوا أنفسَهم حظوظَها وهلكوا. (الطبري).

٤٨- {وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيم}.
{سَنُمَتِّعُهُمْ} في الحياةِ في الدنيا، يقول: نرزقهم فيها ما يتمتعون به إلى أن يبلغوا آجالهم، {ثُمَّ يَمُسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ} يقول: ثم نذيقهم إذا وردوا علينا عذاباً مؤلماً موجعاً.

٤٩- {فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ}.

عند تفسيرِهِ الآيةَ الثانيةَ من سورةِ البقرةِ قال: التقوى الشرعيةُ هي امتثالُ الأوامر، واجتنابُ المنهياتِ من الكبائر، وعدمُ الاسترسالِ على الصغائر، ظاهراً وباطناً، أي: اتقاءُ ما جعلَ الله الاقتحامَ فيه موجباً غضبَهُ وعقابه.

٥٠- {وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا}.

ذكرَ مؤلفُ الأصلِ أنه تقدَّمَ تفسيرهُ في الآيةِ (٦٥) من سورةِ الأعراف، وقد بيَّنَ هناك أن عادًا أمةٌ عظيمةٌ من العربِ العاربةِ البائدة، وكانوا عشرَ قبائل، وقيل: ثلاثَ عشرةَ قبيلة، وهم أبناءُ عادِ بن عُوص..

قال: وكانت منازلُ عادٍ ببلادِ العربِ بالشِّحْر، من أرضِ اليمنِ وحضرموتَ وعُمَانَ والأحقاف، وهي الرمالُ التي بين حضرموتَ وعُمَان.

وأشارَ إلى أن هودًا عليه السلامُ كان من ذوي نسبٍ بقومهِ عاد.

٥٥- {فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لاَ تُنظِرُون}.

فاحتالوا في مكركم وضرّي أنتم وأوثانكم. (البغوي).

٥٦- {إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ}.

اعتَمدتُ. (البغوي).

٦٠- {أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ في الآيةِ (٤٤) من السـورة، وفيه أنَّ البُعدَ كنايةٌ عن التحقيرِ بلازمِ كراهيةِ الشيء. ثم ذكرَ أن {بُعْدًا} نزلَ منزلةَ (ليبعَدُوا بُعداً)، مع فائدةٍ أخرى، وهي استعمالُ اللامِ مع {بُعْدًا}، الدالِّ على معنى أن البعدَ يحقُّ لهم.

٦١- {وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا}.
أخاهم في النسب. من قبيلتهم.

٦٢- {أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا}.
مِن قَبْلُ، مِن الآلهة. (البغوي).

٦٣- {قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً}.
أشارَ إلى تقدُّمها في قصةِ نوحٍ عليه السلام (الآية ٢٨) من السورة، وملخصُ قولهِ هناك: افتتاحُ مراجعتهِ بالنداءِ لطلبِ إقبالِ أذهانهم لوعي كلامه، واختيارُ استحضارهم بعنوان (قومهِ) لاستنزالِ طائرِ نفورهم، تذكيراً لهم بأنه منهم، فلا يريدُ لهم إلا خيراً. وقوله: {أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي} معناه: إن كنتُ ذا برهانٍ واضح، ومتصفاً برحمةِ الله بالرسالةِ بالهدى، فلم تظهرْ لكم الحجةُ ولا دلائلُ الهدى، فهل ألزمكم أنا وأتباعي بها؟ أي: بالإذعانِ إليها والتصديقِ بها، إن أنتم تكرهون قبولها. وهذا تعريضٌ بأنهم لو تأمَّلوا تأمُّلاً بريئاً من الكراهيةِ والعداوةِ لعلموا صدقَ دعوته.

٦٤- {وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ}.
فسَّرَ بعضَ الألفاظ. وتفسيرها: ويا قومي هذه معجزةٌ تدلُّ على صدقِ نبوَّتي، هذه ناقةُ الله، جاءتْ من عندهِ ولم يَملِكْها أحد، فاترُكوها تأكلْ في أرضِ اللهِ الواسعة، ولا تَمدُّوا أيديَكُم إليها بأذًى وشرّ، كذبحٍ أو ضرب، حتَّى لا يُصيبَكمُ اللهُ بعذابٍ عاجل. (الواضح).

٦٥- {فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ}.
تفسيرها: فعصَوا رسولَهم ونَحروا الناقة، متحدِّينَ العذابَ الذي وعدَهم به. فقالَ لهم: ابقُوا في ديارِكم ثلاثةَ أيّامٍ تالية، هي بقيَّةُ عُمرِكم في هذه الحياة، ثمَّ تَهلِكون، وهذا وعدٌ صادقٌ لا خُلْفَ فيه. (الواضح).

٦٦- {فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ}.

فلمّا جاءَ موعدُ العذاب، نجَّينا النبيَّ صالحاً والذين آمنوا معهُ مِن خزي ذلكَ اليوم، برحمةٍ منّا، فقد استجابوا لنداءِ اللهِ وأطاعوا رسولَه، ووفَّقَهمُ اللهُ للطَّاعةِ والعملِ الصَّالح، وإنَّ اللهَ لقويٌّ قادر، غالبٌ على كلِّ شيء، ولا يَفلِتُ من عقابهِ مجرمٌ مُستكبِر. (الواضح).

٦٧- {وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ}.

فأهلَكَ اللهُ الكافرينَ بصيحةٍ شديدةٍ مدوّيةٍ مِن فوقِهم وقَعتْ عليهم كالصَّاعِقة، فأصبحوا في مساكنِهم موتَى هامدين، لا حِراكَ بهم ولا حِسَّ فيهم. (الواضح).

٦٨- {كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ}.

وكأنَّهم لم يُقيموا في تلكَ الدِّيار، ولم يَتمتَّعوا فيها بالمالِ والأولاد. ألَا إنَّ قبيلةَ ثمودَ كفروا بربِّهم، وأبَوا أن يُطاوعوا الحقّ، ألَا بُعدًا وهلاكًا لثمودَ الكافرين. (الواضح في التفسير).

٧٤- {فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى}.

البشرى بإسحاقَ ويعقوب. (البغوي وغيره).

٧٦- {يَاإِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاء أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُود}.

يا رسولَ اللهِ إبراهيم، أَعرِضْ عن هذا المقال، ودَعْ عنكَ هذا الجدال، فقد حقَّ عليهم حُكمُ اللهِ بالهلاك، ونازلٌ بهم بأسٌ لا يُرَدّ، وعذابٌ لا يُصْرَف. (الواضح).

٧٧- {وَلَمَّا جَاءتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ}.

أي: حزنَ لوطٌ بمجيئهم، يقال: سؤتهُ فسيء، كما يقال: سررتهُ فسُرّ. (البغوي).

أي: حصلَ لي منه سوءٌ وحزنٌ وغمّ. و{بِهِمْ} متعلِّقٌ به، أي: بسببهم. والمعنى: ساءَهُ مجيؤهم، لا لأنهم جاؤوا مسافرين وهو لا يودُّ الضيفَ وقِراه، فحاشَا بيتَ النبوةِ عن ذلك، بل لأنهم جاؤوا في صورةِ غلمانٍ حسانِ الوجوه، فحسبَ أنهم أناس، فيخافُ عليهم أن يقصدَهم قومهُ فيعجزَ عن مقاومتهم ومدافعتهم. (روح البيان).

٧٨- {**أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ**}.

يهتدي إلى الحق، ويرعوي عن القبيح. (روح البيان).

٨٢- {**فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ**}.

{فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا} قالَ في الآيةِ (٤٠) من السورة: مجيءُ الأمرِ حصولُه. اهـ.

{وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا}: وأرسلنا عليها. (الطبري).

٨٤- {**وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا**}.

وأرسلنا إلى مَديَنَ - أرضٌ بمُعَانَ في الأردنّ - أخاهُم في النسبِ شُعَيبًا... (الواضح).

٨٨- {**قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىَ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيب**}.

{قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىَ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي}. ذكرَ أنه تقدَّمَ في قصةِ نوحٍ عليه السلام (الآية ٢٨) من السورة، وملخصُ قولهِ هناك: افتتاحُ مراجعتهِ بالنداءِ لطلبِ إقبالِ أذهانهم لوعي كلامه، واختيارُ استحضارهم بعنوان (قومهِ) لاستنزالِ طائرِ نفورهم، تذكيراً لهم بأنه منهم، فلا يريد لهم إلاّ خيراً. وقوله: {أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي} معناه: إن كنتُ ذا برهانٍ واضح، ومتصفاً برحمةِ الله بالرسالةِ بالهدى، فلم تظهرْ لكم الحجةُ ولا دلائلُ الهدى، فهل ألزمكم أنا وأتباعي بها؟ أي: بالإذعانِ إليها والتصديقِ بها، إن أنتم تكرهون قبولها. وهذا تعريضٌ بأنهم لو تأمَّلوا تأمُّلاً بريئاً من الكراهيةِ والعداوةِ لعلموا صدقَ دعوته.

{عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ} ذكرَ أن التوكلَ مضَى في سورةِ آلِ عمران (الآية ١٥٩). قالَ هناك: التوكُّلُ حقيقتهُ الاعتماد، وهو هنا مجازٌ في الشروعِ في الفعل، مع رجاءِ السدادِ فيه من الله، وهو شأنُ أهلِ الإيمان، فالتوكُّلُ انفعالٌ قلبيٌّ عقليّ، يتوجَّهُ به الفاعلُ إلى الله، راجياً الإعانة، ومستعيذاً من الخيبةِ والعوائق، وربَّما رافقَهُ قولٌ لسانيّ، وهو الدعاءُ بذلك.

{وَإِلَيْهِ أُنِيب} ذكرَ أن الإنابةَ مرَّ في الآيةِ (٧٥) من هذه السورة، قال: ... مِن أناب، إذا رجع، وهو مشتقٌّ من النوب، وهو النزول. والمراد: التوبةُ من التقصير، أي: محاسِبٌ نفسَهُ على ما يحذَرُ منه. وحقيقةُ الإنابة: الرجوعُ إلى الشيءِ بعد مفارقتهِ وتركه.

٨٩- **{وَيَا قَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ}**.

مثلُ ما أصابَ قومَ نوحٍ منَ الغرق، أو قومَ هودٍ منَ الرِّيح، أو قومَ صالحٍ منَ الصَّيحة. (الواضح).

٩٠- **{إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ}**.

ذكرَ أنه تقدَّم. وقد قالَ عند تفسيرِ سورةِ الفاتحة: {الرَّحْمَنِ الرَّحِيم}: وصفانِ مشتقانِ من رَحِم... واسمُ الرحمةِ موضوعٌ في اللغةِ العربيةِ لرقةِ الخاطرِ وانعطافه...

ومما قالَ أيضًا: وبعدَ كونِ كلٍّ من صفتَي الرحمنِ الرحيمِ دالةً على المبالغةِ في اتصافهِ تعالى بالرحمة، فقد قالَ الجمهور: إن الرحمنَ أبلغُ من الرحيم، بناءً على أن زيادةَ المبنى تؤذنُ بزيادةِ المعنى، وإلى ذلك مالَ جمهورُ المحققين...

٩٤- **{وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْباً وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ}**.

ولمَّا جاءَ أمرُنا بهلاكِ القومِ الكافرين، أنجَينا النبيَّ شُعيبًا والمؤمنينَ معهُ برحمةٍ منّا، فقد هدَيناهُم للإيمان، والتَّوفيقِ للطَّاعةِ والأعمالِ الصَّالحة، وأخذَتْ أولئكَ الظَّالمين الصيحةُ القويَّة، المدوِّيةُ المرعِبة، فصاروا جميعًا جُثَثاً هامدين لا حِراكَ بهم، ولا حِسَّ لهم ولا هَمْس. (الواضح).

٩٥- {كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ تفسيره. وقصدهُ الآية (٦٨) من السورة، وقد قالَ في معناها: كأنْ لم يقيموا.

٩٦- {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ}.

بأدلَّتِنا على توحيدنا. (الطبري).

٩٧- {إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ}.

قالَ في الآيةِ (٦٠) من سورةِ الأعراف: الملأ: الجماعةُ الذين أمرُهم واحد، ورأيهم واحد؛ لأنهم يُمالِئُ بعضُهم بعضاً، أي: يعاونهُ ويوافقه. ويطلقُ الملأُ على أشرافِ القومِ وقادتهم؛ لأن شأنهم أن يكونَ رأيهم واحداً عن تشاور، وهذا المعنى هو المناسبُ في هذه الآية..

٩٩- {وَأُتْبِعُواْ فِي هَـذِهِ لَعْنَةً}.

قالَ مؤلفه: هي لعنةُ العذابِ في الدنيا وفي الآخرة. اهـ.

قالَ صـــاحبُ (روح البيان): ... أو يُلعَنون ويطرَدون من رحمةِ الله تعالى في الدنيا بالغرق، والآخرةِ بما فيها من عذاب، فإن كلَّ معذَّبٍ ملعونٌ مطرودٌ من الرحمة، كما أن كلَّ مخذولٍ محرومٌ من التوفيقِ والعنايةِ كذلك.

١٠٢- {إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ}.

إن أخْذَ ربّكم بالعقابِ مَنْ أَخذَهُ موجِعٌ شديدُ الإيجاع. (الطبري).

١٠٣- {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً}.

لعبرةً بيّنةً وموعظةً بالغة. (روح البيان).

١٠٦- {فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ}.

ذكرَ في الآيةِ السابقة، أن الشقاوةَ هي سوءُ الحالةِ وشرُّها، وأنها في الآخرةِ تعني العذابَ والشدَّة.

١٠٧- {**إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ**}.

إنَّ ربَّكَ – يا محمَّدُ – لا يمنعهُ مانعٌ مِن فعلِ ما أرادَ فعلَهُ بمن عصاهُ وخالفَ أمرَهُ مِن الانتقامِ منه، ولكنه يفعلُ ما يشاء، فيُمضي فعلَهُ فيهم وفيمن شاءَ مِن خَلقهِ فعلَهُ وقضاءَه. (الطبري).

١٠٨- {**وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ**}.

ذكرَ في الآيةِ (١٠٥) من السورة، أن السعادة، هي الأحوالُ الحسنةُ الخيِّرةُ الملائمةُ للمتصفِ بها، وأنها في الآخرةِ تعني النعمةَ والرخاء.

وذكرَ في الآيةِ (١٠٧) أن دوامَ السماواتِ والأرضِ يعني التأبيد؛ لأنه جرَى مجرَى المثَل، وإلاّ فإن السّماواتِ والأرضَ المعروفةَ تضمحلُّ يومئذ.

١١٥- {**وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**}.

مَنْ عَمِلَ فأطاعَ اللهَ واتَّبعَ أمرَه. (الطبري).

١٢١- {**وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ**}.

ذكرَ أنه نظيرُ ما حُكيَ عن شعيبٍ عليه السلامُ في هذه السورة: {وَيَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ...} (الآية ٩٣)، قالَ هناك: المعنى: اعملوا متمكِّنين من مكانتكم، أي: حالِكم التي أنتم عليها، أي: اعملوا ما تحبُّون أن تعملوهُ بي، وجملةُ {إِنِّي عَامِلٌ} مستأنفة... اهـ.

{إِنَّا عَامِلُونَ} أي: على طريقتِنا ومنهجِنا. (ابن كثير).

١٢٢- {**وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ**}.

{وَٱنْتَظِرُواْ} بنا الدوائر، {إِنَّا مُنتَظِرُونَ} أن ينزلَ بكم نحوُ ما نزلَ على أمثالكم. (البيضاوي).

سورة يوسف

١- {الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِين}.

أشارَ إلى تقدُّمِها في الآيةِ الأولى من سورةِ يونس، ومما قالَهُ هناك: اسمُ الإشارةِ يجوزُ أن يكونَ مراداً به جميعُ آي القرآنِ التي نزلتْ قبلَ هذه السورة، باعتبارِ حضورِ تلك الآياتِ في أذهانِ الناس، من المؤمنين وغيرهم، فكأنها منظورةٌ مشاهَدة، فصحَّتِ الإشارةُ إليها، إذ هي متلوَّةٌ محفوظة، فمن شاءَ أن يسمعها ويتدبَّرها أمكنَهُ ذلك..

٥- {إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ}.

... أبانَ لهم عداوتَهُ وأظهرَها. (الطبري).

٨- {إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِين}.

بيّن، ظاهرِ الحال. (البغوي، روح البيان).

١١- {قَالُواْ يَاأَبَانَا مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ}.

كأنهم قالوا: إنكَ لا ترسلهُ معنا، أتخافُنا عليه؟

١٤- {قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ}.

أي: ونحن أكثرُ عدداً. قالَهُ مؤلفُ الأصلِ عند تفسيرِ الآيةِ (٨) من السورة.

١٥- {فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ}.

ذكرَ في الآيةِ (١٠) أن (غيابة) تعني ما غابَ عن البصرِ من شيء، فيقال: غيابةُ الجبّ، وغيابةُ القبر، والمراد: قعرُ الجبّ. والجبّ: البئرُ التي تُحفَرُ ولا تُطوَى.

١٩- {وَجَاءتْ سَيَّارَةٌ}.

قالَ في الآيةِ (١٠) من السورة: السيّارة: الجماعةُ الموصوفةُ بحالةِ السَّيرِ وكثرته، فتأنيثهُ لتأويلهِ بالجماعةِ التي تسير، مثلُ الفلاّحةِ والبَحّارة. والتعريفُ فيه تعريفُ العهدِ الذهني؛ لأنهم علموا أنّ الطريقَ لا تخلو من قوافلَ بين الشامِ ومصرَ للتجارةِ والميرة.

٢٢- {وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِين}.

قالَ ابنُ عباسٍ رضيَ الله عنهما: المؤمنين، وعنه أيضاً: المهتدين. وقالَ الضحّاك: الصابرين على النوائبِ كما صبرَ يوسفُ عليه السلام. (البغوي).

٢٥- {وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ}.

من خلفه. (النسفي).

٢٦- {قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي}.

فسَّرَهُ في الآيةِ (٢٣) من السورة، فقال: المراودةُ مشتقةٌ من رادَ يرود، إذا جاءَ وذهب. شبَّهَ حالَ المحاوِلِ أحداً على فعلِ شيءٍ مكرّراً ذلك بحالِ من يذهبُ ويجيءُ في المعاودةِ إلى الشيءِ المذهوبِ عنه، فأطلقَ راودَ بمعنى حاول.

٢٨- {فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ}.

قُطِع، أو مُزّق، كما فسَّرَهُ في الآياتِ السابقة.

٣٠- {وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِين}.

{تُرَاوِدُ}: ذكرَ في الآيةِ (٢٣) من السورة، أن المراودةَ بمعنى المحاولة. اهـ.

{مُّبِين}: واضح، لا يخفَى كونهُ ضلالًا على أحد، أو مُظهرٍ لأمرها فيما بين الناس.. (روح المعاني).

٣١- {فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ}.

{بِمَكْرِهِنَّ}: بقولهنَّ وحديثهنّ، قالَهُ قتادةُ والسدّي...

{وَأَعْتَدَتْ}: ذكرَ أنه تقدَّمَ عند تفسيرِ الآيةِ (٣٧) من سورةِ النساء. قالَ هناك: أصلُ {وَأَعْتَدْنَا}: أعدَدْنا، أُبدِلَتِ الدالُ الأولى تاءً لثقلِ الدالين عند فكِّ الإدغامِ باتّصالِ ضميرِ الرفع، وهكذا مادَّةُ (أعدَّ) في كلامِ العرب، إذا أدغموها لم يبدِّلوا الدالَ بالتاء؛ لأنَّ الإدغامَ أخفّ، وإذا أظهروا أبدلوا الدالَ تاء. اهـ.

{كَرِيمٌ}: يعني على ربِّه، في تفسيرِ أبي الليث، وهو من بابِ قصرِ القلب؛ لقلبهِ حكمَ السامعين، حيث اعتقدوا أنه بشرٌ لا ملَك، وقصرنَهُ على الملَكيةِ مع علمهنَّ أنه بشر؛ لأنه ثبتَ في النفوس: لا أكملَ ولا أحسنَ خَلقًا من الملَك، يعني زُكِّزَ في العقولِ من أنْ لا حيَّ أحسنُ من الملَك، كما زُكِّزَ فيها أنْ لا أقبحَ من الشيطان؛ ولذلك لا يزالُ يشبَّهُ بهما كلُّ متناهٍ في الحُسنِ والقبح. وغرضُهنَّ وصفهُ بأقصى مراتبِ الحسنِ والجمال. (روح البيان).

٣٢- {قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ}.

{لُمْتُنَّنِي فِيهِ}: أي عيَّرتُنَّني في الافتنانِ فيه. (روح المعاني).

{رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ}: ذكرَ في الآيةِ (٢٣) من السورة، أن المراودةَ بمعنى المحاولة.

٣٣- {وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ}.

يقول: وإن لم تدفعْ عني يا ربِّ فعلهنَّ الذي يفعلنَ بي في مراودتهنَّ إيّايَ على أنفسهنّ... (الطبري).

٣٦- {وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا}.

{فَتَيَانِ}: غلامان. (روح المعاني). وذكرَ ابن عاشــور رحمَهُ الله أثناءَ تفسـيرِ الآيةِ (٦٢) من السورة، أن الفتى من كان في مبدأ الشباب.

{خَمْرًا} أي: عنبًا، سمّاهُ بما يؤولُ إليه، لكونهِ المقصودَ من العصر. (روح البيان).

٣٩- {**أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّار**}.

الذي ذلَّ كلُّ شيءٍ لعزِّ جلاله، وعظمةِ سلطانه. (ابن كثير).

الغالبُ الذي لا يغالبهُ أحد، جلَّ وعلا. (روح المعاني).

٤٠- {**ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**}.

هذا هو النَّهجُ الثابتُ المستقيمُ الذي لا يتغيَّرُ في الدِّين، وهو الذي أُرسِلَتْ بهِ الرُّسُل، ونزلَتْ به الكتُب، ودلَّتْ عليه الحُجَجُ والبراهين، وهذا ما أدعوكُما إليه، مِن الطَّاعةِ والتَّوحيد، ولكنَّ أكثرَ الناسِ لا يعلَمونَ ذلك، لجهلِهم بتلكَ الدَّلائل، ولذلكَ فإنَّ أكثرَهم مشركون. (الواضح).

٤١- {**يَاصَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ**}.

{رَبَّهُ}: يعنــي سيده، وهو ملكهم. (الطبري). وأفادَهُ مؤلفُ الأصلِ كذلك عند تفسيرِ الآيةِ التالية.

{فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ}: تعبيراً لما رآهُ من أنه يحملُ فوقَ رأسهِ خبزاً، فتأكلُ الطيرُ منه. (فتح القدير).

٤٢- {**فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِين**}.

{فَلَبِثَ}: فمكث.

... وأكثرُ المفسرين على أن البضعَ في هذه الآيةِ سبعُ سنين، وكان قد لبثَ قبلَهُ خمسَ سنين، فجملتهُ اثنتا عشرةَ سنة. (البغوي).

٤٣- {وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ}.

ذكرَ أن السنبلةَ تقدَّمتْ في الآيةِ (٢٦١) من سورةِ البقرة، وليس حديثهُ في معناها هناك. وهي معروفة.

٤٦- {أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ}.

ذكرَ في الآيةِ (٤٣) أن {سِمَانٍ} جمعُ سمينةٍ وسَمين، و {عِجَافٌ} جمعُ عجفاء، وهي ذاتُ العَجَف، وهو الهزالُ الشديد.

٥٠- {قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيم}.

{رَبِّكَ}: يعني سيِّدَك، وهو الملِك، كما أفادَهُ في الآيةِ (٤٢) من السورة.

{إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيم}: إن الله تعالى ذكرهُ ذو علمٍ بصنيعهنَّ وأفعالهنَّ التي فعلنَ بي ويفعلنَ بغيري من الناس، لا يخفَى عليه ذلك كلُّه، وهو من وراءِ جزائهنَّ على ذلك. (الطبري).

٥١- {قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ}.

فسَّرَهُ في الآيةِ (٢٣) من السورة، فقال: المراودةُ مشتقةٌ من رادَ يرود، إذا جاءَ وذهب. شبَّهَ حالَ المحاوِلِ أحداً على فعلِ شيءٍ مكرِّراً ذلك بحالِ من يذهبُ ويجيءُ في المعاودةِ إلى الشيءِ المذهوبِ عنه، فأطلقَ راودَ بمعنى حاول.

٥٢- {وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ}.

ذكرَ أن (الكيدَ) تقدَّم، وقد قالَ عند تفسيرِ الآيةِ (٢٨) من السورة: الكيد: فعلُ شيءٍ في صورةٍ غيرِ المقصودة، للتوصلِ إلى مقصود.

الجزء الثالث عشر

٥٦- {وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ}.

أشارَ إلى تفسيرها في الآيةِ (٥٤) من السورة {فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ}، وفيها أن المكينَ هو ذو المكانة، والمرتبةِ العظيمة. وفي الآيةِ التي بعدها ذكرَ أن المقصودَ بالأرضِ: المعهودةُ لهم، وهي أرضُ مصر.

٦٣- {فَلَمَّا رَجِعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُواْ يَاأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون}.

{الْكَيْلُ}: مصدرُ (كِلْتُ الطعامَ) إذا أعطيتهُ كيلًا، ويجوزُ أن يُرادَ به المكيالُ أيضًا، على طريقةِ ذكرِ المحلِّ وإرادةِ الحال.

{نَكْتَلْ} بسببهِ ما نشاءُ من الطعام، من الاكتيال، يقال: اكتلتُ عليه أي: أخذتُ منه كيلًا.

{لَحَافِظُون} من أن يصيبَهُ مكروه، ضامنون بردِّه. (روح البيان).

٦٦- {فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ}.

أكدَهُ عليهم. (ابن كثير). آتَوهُ عهدَهم من الله حسبما أرادَ يعقوب. (روح البيان).

٧٠- {فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ الكلامُ على نظيرهِ في الآيةِ (٥٩) من السورة، وقد قالَ هناك: الجهاز - بفتحِ الجيمِ وكسرها - ما يحتاجُ إليه المسافر، وأولهُ ما سافرَ لأجلهِ من الأحمال. والتجهيز: إعطاءُ الجهاز. اهـ.

وقالَ الإمامُ الطبري: ولـمَّا حمَّلَ يوسفُ إبلَ إخوتهِ ما حمَّلها مِن الميرةِ وقضَى حاجتَهم...

٧١- {قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُون}.

أي: تعدمون. تقول: فقدتُ الشيءَ إذا عدمته، بأن ضلَّ عنكَ لا بفعلك. والمآل: ما الذي ضاعَ منكم. (روح البيان).

٧٨- {**إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِين**}.

أي: العادلين المنصفين القابلين للخير. (ابن كثير).

٨١- {**وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا**}.

يعني: ما قلنا هذا إلاّ بما علمنا، فإنّا رأينا إخراجَ الصُّواعِ من متاعه. (البغوي).

٨٢- {**وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ**}.

{وَالْعِيرَ}: قالَ أثناءَ تفسيرِهِ الآيةَ (٧٠) من السورة: العِير: اسمٌ للحمولة، من إبلٍ وحَمير، وما عليها من أحمال، وما معها من ركابها، فهو اسمٌ لمجموعِ هذه الثلاثة. اهـ.

{وَإِنَّا لَصَادِقُونَ} فيما أخبرناكَ به من أنه سَرق، وأخذوهُ بسرقته. (ابن كثير).

٨٣- {**قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا**}.

فقالَ لهم عليهِ السَّلام: بل زيَّنتْ لكم أنفسُكم أمرًا ما ونفَّذتُموه، وسأصبرُ على بِنيامينَ كما صبرتُ على يوسُفَ مِن قَبل، صبرًا حسنًا يُرضي ربِّي، وعسَى أن يأتيَني بهما وبأخيهِما المتوقِّفِ بمصر. (الواضح).

٨٧- {**وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُون**}.

اليأسُ والقنوط: انقطاعُ الرجاء. (روح البيان).

٨٨- {**قَالُواْ يَاأَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ اللّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِين**}.

فسَّرَ بعضَ الألفاظ، وأشارَ إلى تقدُّمِ تفسيرِ غيرها متفرقًا.

وتفسيرها: قالوا له: أيُّها العزيز، لقد أضرَّتْ بنا المجاعة، وأصابَنا وأهلَنا الشِّدَّةُ والجوع، وأتينا ببضاعةٍ قليلةٍ رديئةٍ كاسدة، لا تكفي مقدارَ ما نحتاجهُ مِن طعام، فأعطِنا ما نحتاجُه، ولا تَنقُصْ عنَّا شيئاً، وتفضَّلْ علينا بالزِّيادة، إنَّ اللهَ يُثيبُ المتصدِّقين، ويَجزيهم خيرًا. (الواضح).

٩٢- {**وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**}.

واللهُ أرحمُ الراحمينَ لمَن تابَ مِن ذنبه، وأنابَ إلى طاعتهِ بالتوبةِ مِن معصيته. (الطبري).

٩٤- {**وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ**}.

قالَ أثناءَ تفسيرهِ الآيةَ (٧٠) من السورة: العِير: اسمٌ للحمولة، من إبلٍ وحَمير، وما عليها من أحمال، وما معها من ركابها، فهو اسمٌ لمجموعِ هذه الثلاثة. اهـ.

٩٦- {**فَلَمَّا أَن جَاء الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُون**}.

{أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ}: طرحَ البشيرُ القميصَ على وجهِ يعقوب.

{قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُون} قالَ في الآيةِ (٨٦) من السورة {قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُون}: {وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ}: من لطفهِ ورحمته، {مَا لاَ تَعْلَمُون}، فأرجو أن يرحمني، ويلطفَ بي، ولا يخيِّبَ رجائي. أو أعلمُ من الله بنوعٍ من الإلهامِ ما لا تعلمون من حياةِ يوسف.

وقالَ صاحبُ (روح البيان) هنا: أي: ألم أقلْ لكم يا بَنيَّ حين أرسلتُكم إلى مصر، وأمرتُكم بالتجسُّس، ونهيتُكم عن اليأسِ من رَوحِ الله، أني أعلمُ من الله ما لا تعلمون من حياةِ يوسفَ وإنزالِ الفرج؟ (روح البيان).

٩٧- {**قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ**}.

{إِنَّا كُنَّا خاطِئِينَ} فيما فعلنا به، فقد اعترفنا بذنوبنا. (الطبري).

٩٩- {فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ}.

فلمّا دخلَ يعقوبُ ووُلْدهُ وأهلوهم على يوسف، {آوَى إِلَـــيْهِ أَبَوَيْهِ} يقول: ضمَّ إليه أبويه. (الطبري).

١٠٠- {إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ}.

{إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ} بمصالحِ خَلقه، وغيرِ ذلك، لا يخفَى عليه مبادي الأمورِ وعواقبها، الحكيمُ في تدبيره. (الطبري).

وقد ذكرَ المؤلفُ أنه تقدَّمَ تفسيرُ (العليم) في الآيةِ (٣٢) من سورةِ البقرة، وفيه قوله: العليم: الكثيرُ العلم، وهو من أمثلةِ المبالغةِ على الصحيح.

كما ذكرَ أن (الحكيم) تقدَّمَ في الآيةِ (٢٠٩) من سورةِ البقرة، ومما قالَهُ هناك: الحكيم: يجوزُ أن يكونَ اســـمَ فاعلٍ من حكم، أي: قوي الحكم، ويحتملُ أنه المحكمُ للأمور، فهو من مجيءِ فَعِيل بمعنى مُفعل...

١٠٢- {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ}.

{نُوحِيهِ إِلَيْكَ}: نوحيهِ إليكَ ونعرّفكه، لنثبّتَ به فؤادك، ونشـــجّعَ به قلبك، وتصـــبرَ على ما نالكَ مِن الأذَى مِن قومِكَ في ذاتِ الله، وتعلمَ أنَّ مَن قبلكَ مِن رسـلِ اللهِ إذ صـبروا على ما نالهم فيه، وأخذوا بالعفو، وأمروا بالعُرف، وأعرضـــوا عن الجاهلـــــين، فازوا بالظفر، وأُيِّدوا بالنصر، ومُكِّنوا في البلاد، وغَلبوا مَن قصدوا مِن أعدائهم وأعداءِ دينِ الله.

{وَهُمْ يَمْكُرُونَ}: ... على أن يُلقوا يوسفَ في غيابةِ الجبّ، وذلك كان مكرهم. (الطبري).

١٠٤- {إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ}.

يتذكرون به ويهتدون، وينجون به في الدنيا والآخرة. (ابن كثير).

١٠٥- {وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ}.

{فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ}: ... وذلكَ كالشمسِ والقمرِ والنجومِ ونحوِ ذلكَ من آياتِ السماوات، وكالجبالِ والبحارِ والنباتِ والأشجار، وغيرِ ذلكَ من آياتِ الأرض.

{وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ}: ... معرضين عنها، لا يعتبرون بها، ولا يفكرون فيها وفيما دلَّتْ عليه من توحيدِ ربِّها، وأن الألوهةَ لا تبتغي إلا للواحدِ القهّار، الذي خلقَها وخلقَ كلَّ شيءٍ فدبَّرها . (الطبري).

١٠٧- {أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغۡتَةً وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ}.

{السَّاعَةُ}: القيامة. (الطبري).

{وَهُمۡ لاَ يَشۡعُرُونَ} بإتيانها، غيرُ مستعدِّين لها. (روح البيان).

سورة الرعد

٢- {ثُمَّ اسۡتَوَى عَلَى الۡعَرۡشِ وَسَخَّرَ الشَّمۡسَ وَالۡقَمَرَ}.

{ثُمَّ اسۡتَوَى عَلَى الۡعَرۡشِ}: أشارَ إلى تقدُّمهِ في سورةِ الأعراف، وفي سورةِ يونس. قالَ في نظيرهِ في سورةِ الأعراف (الآية ٥٤): الاستواءُ له معانٍ متفرِّعةٌ عن حقيقته، أشهرها: القصدُ والاعتلاء، وقد التُزِمَ هذا اللَّفظُ في القرآنِ مسنداً إلى ضميرِ الجلالةِ عند الإخبارِ عن أحوالٍ سماوية، كما في هذه الآية. ونظائرُها سبعُ آيات من القرآن...

{وَسَخَّرَ الشَّمۡسَ وَالۡقَمَرَ} ذكرَ أنه تقدَّمَ في الآيةِ (٥٤) من سورةِ الأعراف {وَالشَّمۡسَ وَالۡقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمۡرِهِۦ}. ومما قالَهُ هناك: ... وهي من أعظمِ المخلوقاتِ التي اشتملت عليها السّماوات... وأُطلِقَ التسخيرُ فيه مجازاً على جعلِها خاضعةً للنّظامِ الذي خلقها الله عليه بدونِ تغيير، مع أن شأنَ عظمِها أن لا يستطيعَ غيرهُ تعالى وضعَها على نظامٍ محدودٍ منضبط. ولفظُ الأمرِ في قوله: {بِأَمۡرِهِۦ} مستعملٌ مجازاً في التصريفِ بحسبِ القدرةِ الجاريةِ على وفقِ الإرادة.

٣- {يُغۡشِي اللَّيۡلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوۡمٍ يَتَفَكَّرُونَ}.

{يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ}: ذكرَ أنه تقدَّمَ في أوائلِ سورةِ الأعراف (الآية ٥٤)، ومما قالَهُ هناك: الغَشْي والغشيانُ حقيقتهُ التغطيةُ والغمّ. فمعنى {يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ} أنَّ الله يجعلُ أحدَهما غاشياً الآخر. والغشيُ مستعارٌ للإخفاء، لأن النهارَ يُزيلُ أثرَ الليل، والليلُ يُزيلُ أثرَ النهار. اهـ.

{لآيَاتٍ}: لدلالاتٍ وحُجَجاً وعِظات. (الطبري).

٤- **{وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاء وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُون}.**

{وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ} أشارَ إلى سابقِ تفسيرِ نظيرها في الآيةِ (٩٩) من سورةِ الأنعام، وفيها قوله: الأعنابُ جمعُ عِنَب، وهو جمعُ عِنَبَة، وهو في الأصلِ ثمرُ شجرِ الكَرْم. ويطلقُ على شجرةِ الكرمِ (عِنَب) على تقديرِ مضاف، أي: شجرةُ عنب، وشاعَ ذلك فتنوسيَ المضاف. اهـ. والجناتُ هي البساتين.

{لآيَاتٍ}: لدليلاً واضحاً وعبرة. (الطبري).

٥- **{وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}.**

أي: ماكثون فيها أبداً، لا يحُولون عنها، ولا يزولون. (ابن كثير).

٦- **{وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ}.**

يعاقبُ العصاةَ المكذِّبين من الكافرين عقاباً شديداً، على ما تقتضيهِ مشيئتهُ في الدارِ الآخرة. (فتح القدير).

٧- **{إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ}.**

مرسَلٌ للإنذارِ والتخويفِ لهم من سوءِ العاقبة، كغيرِكَ من الرسل. (روح البيان).

١٠- **{سَوَاء مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ}.**

فهو يعلمُ ما أسرَّهُ الإنسان، كعلمهِ بما جهرَ به من خيرٍ وشرّ. (فتح القدير).

١٣- {**وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ**}.

جمعُ صاعقة، وهي: العذابُ المهلك، ينزلُ من البرقِ فيحرقُ من يصيبه. (البغوي).

١٦- {**قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاء لاَ يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا**}.

{رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ}: يعني: مَن مالكُ السماواتِ والأرض، ومن مدبِّرهما وخالقُهما؟

{أَوْلِيَاء}: يعني الأصنام، والوليَّ الناصر، والمعنى: تولَّيتُم غيرَ ربِّ السماواتِ والأرض، واتخذتموهم أنصاراً، يعني الأصنام. (الخازن).

{نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا}: لا يستطيعون لأنفسهم جلبَ نفعٍ إليها، ولا دفعَ ضررٍ عنها، وإذا عجزوا عن جلبِ النفعِ إلى أنفسهم، ودفعِ الضررِ عنها، كانوا عن نفعِ الغيرِ ودفعِ الضرِّ عنه أعجز، ومن هو كذلك فكيف يُعبَدُ ويُتَّخَذُ وليًّا. وهذا تجهيلٌ لهم، وشهادة على غباوتهم وضلالتهم التي ليس بعدها. (روح البيان).

١٨- {**لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ**}.

{الْحُسْنَى}: الجزاءُ الحسَنُ والحياةُ الطيّبةُ يومَ القيامةِ في الجنَّة.

{لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ}: لو أنَّ لهم ما في الأرضِ مِن خزائنَ وأموال، وضعفَها، ليفتَدوا بها ويفكُّوا عن أنفسِهم عذابَ الله، لفعلوا ذلك، لِما يُحيطُ بهم مِن أهوالٍ وشدائد، ويَغشاهُم مِن همٍّ وكمَدٍ وكآبة، ولكنْ لا فداءَ ولا قبولَ في هذا اليوم... (الواضح).

{وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ}: ومسكنُهم الذي يسكنونَهُ يومَ القيامةِ جهنَّم. وبئسَ الفِراش والوِطاءُ جهنَّم، التي هي مأواهم يومَ القيامة. (الطبري).

٢٢- {وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ في أواخرِ سورةِ البقرة (الآية ٢٧٤). وفيها قوله: السرّ: الخفاء، والعلانية: الجهرُ والظهور.

٢٤- {سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ}.

{سَلَامٌ عَلَيْكُمْ} يعني: سلَّمكم الله من العذابِ سلامةً وما تخافون منه. (روح البيان).

{عُقْبَى الدَّارِ}: قالَ مؤلفُ الأصلِ في نظيرها، في الآيةِ (٢٢) من السورة: العقبى: العاقبة، وهي الشيءُ الذي يَعقُب، أي: يقعُ عقبَ شيءٍ آخر. وقد اشتهرَ استعمالها في آخرةِ الخير. وقالَ في آخره: وإضافتها إلى {الدَّارِ} من إضافةِ الصفةِ إلى الموصوف. والمعنى: لهم الدارُ العاقبة، أي الحسنة.

٢٥- {وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ نظيرها في الآيةِ (٢٧) من سورةِ البقرة، وفيها الحديثُ عن اليهودِ خاصة، وأوردَ عدةَ أقوالٍ في المعنى، أولها قوله: قيل: ما أمرَ الله به أن يوصلَ هو قرابةُ الأرحام...

ثم قال: والفسادُ في الأرضِ تقدَّمَ الكلامُ عليه عند قولهِ تعالى: {أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ} [سورة البقرة: ١٢]. ومن الفسادِ في الأرض: عكوفُ قومٍ على دينٍ قد اضمحلَّ وقتَ العملِ به، وأصبحَ غيرَ صالحٍ لما أرادَ الله من البشر... اهـ.

٢٧- {وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ}.

قالَ في مثلها، في الآيةِ (٧) من السورة، ما مختصره: مرادهم بالآيةِ في هذا خارقٌ عادة، على حسابِ ما يقترحون. ولكونِ اقتراحهم (آية) يُشَفُّ عن إحالتهم حصولها؛ لجهلهم بعظيمِ قدرةِ الله تعالى، سيقَ هذا في عدادِ نتائجِ عظيمِ القدرة.

٢٩- {الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}.

الصالحاتِ من الأعمال، وذلك العملُ بما أمرهم ربهم. (الطبري).

٣٠- {كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ}.

كذلك أرسلنا في الأممِ الماضيةِ الكافرةِ بالله، وقد كُذِّبَ الرسلُ مِن قبلِك، فلكَ فيهم أسوة... (ابن كثير).

٣٢- {ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَاب}.

{ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ}: يعني بالعذابِ بعد الإمهال، فعذَّبتُهم في الدنيا بالقحطِ والقتلِ والأَســر، وفي الآخرةِ بالنار. (الخازن)، فكيف بلَغكَ ما صنعتُ بهم، وعاقبتُهم، وأمليتُ لهم... (ابن كثير).

٣٣- {بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُــدُّوا عَنِ السَّــبِيلِ وَمَنْ يُضْــلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ}.

{زُيِّنَ}: بتخيُّلِهم أباطيل، ثم ظنِّهم إيّاها حقًّا، وهو اتخاذُهم لله شركاء، خذلانًا من الله. (روح البيان).

{وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} بمعنى: وصدَّهم الله عن سبيلهِ لكفرهم به... ومَن أضــلَّهُ اللهُ عن إصــابةِ الحقِّ والهُدَى بخذلانهِ إيّاه، فما له أحدٌ يَهْديهِ لإصــابتِهما، لأنَّ ذلكَ لا يُنالُ إلاّ بتوفيقِ اللهِ ومعونته، وذلكَ بيدِ اللهِ وإليهِ دونَ كلِّ أحدٍ ســواه. (الطبري، باختصار).

٣٤- {وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ}.

أشدُّ وأصعب؛ لدوامه، وهو عذابُ النار، وعذابُ نارِ القطيعة، وألمُ البُعد، وحسرةُ التفريطِ في طاعةِ الله تعالى، وندامةُ الإفراطِ في الذنوبِ والمعاصي، والحصولُ على الخسارات، والهبوطُ من الدرجات، ونزولُ الدركات. (روح البيان).

٣٥- {مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ}.

{تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} ذكرَ في الآيةِ (٢٥) من سـورةِ البقرة، أن الجريَ يطلقُ مجازًا على سيلِ الماءِ سيلًا متكررًا متعاقبًا، وأحسنُ الماءِ ما كان جاريًا غيرَ قارّ؛ لأنه يكونُ بذلك... اهـ.
{عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا}: مآلُهم وعاقبةُ أمرهم، {وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ} لا غيره. فالتقوى طريقٌ إلى الجنة، والكفرُ طريقٌ إلى النار. (روح البيان).

٣٨- **{وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ}**.
بخارق. (ابن كثير).

٤٢- **{وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ}**.
{مَكَرَ}: المكر: إيصالُ المكروهِ إلى الإنسانِ من حيثُ لا يشعر. (البغوي).
{فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا}: ذكرَ مؤلفُ الأصلِ في الآيةِ (٥٤) من سورةِ آلِ عمران {وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} ما ملخصه: ... مَكرُ الله بهم هو تمثيلٌ لإخفاقِ الله تعالى مساعيَهم، في حالِ ظنِّهم أن قد نجحتْ مساعيهم.
{عُقْبَى الدَّارِ}: أي: عاقبةُ الدارِ الآخرة، حين يدخلون النار، ويدخلُ المؤمنون الجنة. (البغوي).

سورة إبراهيم

٢- **{اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}**.
الذي له مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ وما فيهنَّ، المهيمِنِ عليهنَّ بقوَّتِهِ وجبروتِه. (الواضح).

٥- **{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ}**.
{ بِآيَاتِنَا}: بأدلَّتِنا وحججِنا.

{لآيَاتٍ}: لعِبرًا ومواعظَ. (الطبري).

٦- {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ}.

... عندَما أنقذَكم مِن ظلمِ فرعونَ وآلِه، الذين كانوا يُذيقونَكم أقسَى أنواعِ العذابِ وآلمَـــه، ويذبحونَ كُلَّ ذكَرٍ يولَدُ فيكم، ويُبقونَ على بناتِكم؛ خوفًا مِن أن يكونَ زوالُ مُلكِهِ على يدَي رجلٍ منكم. (الواضح).

وآلُ فرعونَ هم فرعونُ وأتباعهُ وأهلُ دينه، وهم القبط. (روح البيان).

٩- {جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ}.

بالدلالاتِ الواضحات. (البغوي).

١٠- {تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا}.

تَصرِفونا. (الطبري).

١٤- {وَخَافَ وَعِيدِ}.

عذابي. (النسفي).

١٥- {وَاسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيد}.

خسر. (النسفي وغيره).

١٧- {وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ}.

من كلِّ جهة، أو من كلِّ مكانٍ من جسده. وهذا تفظيعٌ لما يصيبهُ من الآلام، أي: لو كان ثمةَ موت، لكان كلُّ واحدٍ منها مهلكاً. (النسفي).

٢٢- {فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم}.

اللوم: عذلُ الإنسانِ بنسبتهِ إلى ما فيه لوم. (مفردات الراغب).

{الظَّالِمِينَ}: الكافرين. (البغوي).

٢٣- {وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ}.

{وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}: وعملوا بطاعةِ الله، فانتهوا إلى أمرِ الله ونهيه. (الطبري).

{جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا}: ذكرَ في الآيةِ (٢٥) من سورةِ البقرة، أن الجنةَ هي المكانُ الذي تكاثرتْ أشجاره، والتفَّ بعضُها ببعضٍ حتى كثرَ ظلُّها، وذلك من وسائلِ التنعمِ والترفهِ عند البشرِ قاطبة. والجريُ يطلقُ مجازًا على سيلِ الماءِ سيلًا متكررًا متعاقبًا، وأحسنُ الماءِ ما كان جاريًا غيرَ قارّ؛ لأنه يكونُ بذلك... {وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}: احتراسٌ مِن تَوهُّمِ الانقطاعِ بما تعوَّدوا من انقطاعِ اللذَّاتِ في الدنيا؛ لأن جميعَ اللذَّاتِ في الدنيا معرَّضةٌ للزوال، وذلك ينغِّصُها عند المنعَمِ عليه.

{تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ} أشارَ إلى تفسيرها في الآيةِ (١٠) من سورةِ يونس، ومما قالَهُ هناك: التحيةُ اسمُ جنسٍ لما يُفاتَحُ به عند اللقاءِ من كلماتِ التكرمة... والظاهرُ أن التحيةَ بينهم [يعني أهلَ الجنةِ] هي كلمةُ (سلام)، وأنها محكيةٌ هنا بلفظها دون لفظِ (السلامُ عليكم) أو (سلامٌ عليكم)؛ لأنه لو أُريدَ ذلك لقيل: وتحيتهم فيها السلام، بالتعريف، ليتبادرَ من التعريفِ أنه السلامُ المعروفُ في الإسلام، وهو كلمةُ (السلامُ عليكم)...

٢٥- {تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا}.

بإرادتهِ ومشيئته. (فتح القدير).

٢٩- {جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ}.

{جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا} أي: داخلين فيها مقاسين لحرّها، يقال: صلَى النارَ صَليًا: قاسَى حرَّها، كتصلاها. {وَبِئْسَ الْقَرَارُ} أي بئسَ جهنم. (روح البيان).

٣٢- {وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ}.
وهي السفن. (الطبري).

٣٣- {وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَيْنَ}.
دائمين متصلين في سيرهما، لا ينقطعان إلى يومِ القيامة... (روح البيان).

٣٤- {إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ}.
أي: ظالمٌ لنفسهِ بالمعصية. (البغوي).

٣٥- {رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا}.
ذَا أمنٍ يؤمَنُ فيه. (البغوي).

٣٧- {وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ}.
وارزقهم من ثمراتِ النباتِ والأشجارِ ما رزقتَ سكانَ الأريافِ والقرى، التي هي ذواتُ المياهِ والأنهار، وإنْ كنتَ أسكنتَهم وادياً غيرَ ذي زرعٍ ولا ماء. فرزقَهم جلَّ ثناؤهُ ذلك... {لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ} يقول: ليشكروكَ على ما رزقتَهم وتُنعِمُ به عليهم. (الطبري، باختصار).

٤٧- {إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ}.
ذو انتقامٍ ممَّن كفرَ به وجحده. (ابن كثير). ذو انتقامٍ لأوليائهِ من أعدائه. قالَ في القاموس: انتقمَ منه: عاقبه. (روح البيان).

٤٨- {وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ}.

{وَبَرَزُواْ لِلَّهِ} أي: خرجتِ الخلائقُ جميعها من قبورهم لله {ٱلْوَاحِدِ ٱلْقَهَّارِ} أي: الذي قهرَ كلَّ شيءٍ وغلبه، ودانتْ له الرقاب، وخضعتْ له الألباب. (ابن كثير).

٤٩- **{وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ}**.

وتُعاينُ الذين كفروا باللهِ فاجترموا في الدنيا الشـــركَ {يَوْمَئِذٍ}، يعني {يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ}.

٥٠- **{وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ}**.

تعلوها باشـــتعالها. وخُصَّ الوجهُ لأنه أعزُّ موضـــعٍ في ظاهرِ البدن، كالقلبِ في باطنه. (النسفي).

٥١- **{إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ}**.

إذ لا يشـــغلهُ حســـابٌ عن حســـاب، فيتمُّهُ في أعجلِ ما يكونُ من الزمان، فيوفي الجزاءَ بحسبه... (روح البيان).

٥٢- **{هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ}**.

{وَلِيُنْذَرُوا}: وليخوفوا {بِهِ}.

{وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلأَلْبَابِ} أي: ليتَّعِظَ أولو العقول. (البغوي).

الجزء الرابع عشر

سورة الحِجر

١١- {وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}.

يَسخَرونَ بالرسولِ الذي يُرسِلهُ اللهُ إليهم، عُتوًّا منهم وتمرُّدًا على ربِّهم. (الطبري).

١٩- {وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُون}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ القولُ في {مَدَدْنَاهَا} و{رَوَاسِيَ} في سورة الرعد (الآية ٣): {وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا}. ومن قولهِ هناك: المدُّ: البسطُ والسعة، ومنه: ظلٌّ مديد، ومنه: مدُّ البحرِ وجَزْره، ومدَّ يدَهُ إذا بسطها. والمعنى: خلقَ الأرضَ ممدودةً متَّسعةً للسيرِ والزرع؛ لأنه لو خلقها أسنمةً من حجر، أو جبالاً شاهقةً متلاصقة، لما تيسَّرَ للأحياءِ التي عليها الانتفاعُ بها، والسيرُ من مكانٍ إلى آخرَ في طلبِ الرزقِ وغيره.

والرواسي: جمعُ رَاسٍ، وهو الثابتُ المستقرّ، أي: جبالاً رواسي.

{وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ}: وما أنبتَ فيها من الزروعِ والثمارِ المتناسبة. (ابن كثير).

أي: في الأرض؛ لأن الفواكهَ الجبليةَ غيرُ منتفعٍ بها في الأكثر، أو لأن الأرضَ تعمُّها، فإنها لما أُلقيَتْ فيها صارتْ منها. (روح البيان).

٢٢- {وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ}.

أي: من السحاب. وكلُّ ما علاكَ فأظلَّكَ فهو سماء، وقيل: من جهةِ السماء، والمرادُ بالماءِ هنا ماءُ المطر. (فتح القدير).

٢٨- {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ}

فسَّرَ الكلماتِ الثلاثِ قبلَ آيتينِ منها، فكان ممّا قال:

الصلصال: الطينُ الذي يُترَكُ حتى يَيبس، فإذا يبسَ فهو صلصال، وهو شبهُ الفخّار، إلا أن الفخّار هو ما يبسَ بالطبخِ بالنّار.
الحمَأ: الطينُ إذا اسودَّ وكرهتْ رائحته.
المسنون: الذي طالتْ مدَّةُ مكثه.

٣٣- {**قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ**}.
فسَّرَ الكلماتِ الثلاثِ في الآيةِ (٢٦) من السورة، فكان ممّا قال:
الصلصال: الطينُ الذي يُترَكُ حتى يَيبس، فإذا يبسَ فهو صلصال، وهو شبهُ الفخّار، إلا أن الفخّار هو ما يبسَ بالطبخِ بالنّار.
الحمَأ: الطينُ إذا اسودَّ وكرهتْ رائحته.
المسنون: الذي طالتْ مدَّةُ مكثه.

٤٥- {**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ**}.
ذكرَ أنه تقدَّمَ في سورةِ البقرة، ومما قالَهُ في (الآية ٢) منها: التقوى الشرعيةُ هي امتثالُ الأوامر، واجتنابُ المنهياتِ من الكبائر، وعدمُ الاسترسالِ على الصغائر، ظاهراً وباطناً، أي: اتقاءُ ما جعلَ الله الاقتحامَ فيه موجباً غضبَهُ وعقابه.
وذكرَ في الآيةِ (٢٥) من سورةِ البقرةِ أيضًا، أن الجنةَ هي المكانُ الذي تكاثرتْ أشجاره، والتفَّ بعضُها ببعضٍ حتى كثرَ ظلُّها، وذلك من وسائلِ التنعمِ والترفهِ عند البشرِ قاطبة.

٤٨- {**لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ**}.
وما هم من الجنةِ ونعيمها وما أعطاهم الله فيها بمخرَجين، بل ذلك دائمٌ أبداً. (الطبري).

٥٢- {**إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُون**}.

الذين دخلوا على إبراهيمَ خليلِ الرحمن، حين أرسلَهم ربُّهم إلى قومِ لوطٍ ليُهلكوهم. (الطبري)، {فَقَالُواْ سَلامًا}: مصدرٌ منصوبٌ بفعلٍ مضمر، تقديره: سلَّمنا، أو نسلِّمُ سلاماً. والسلامُ هنا التحية. (ابن عطية).

٥٣- {**قَالُواْ لاَ تَوْجَلْ**}.

ذكرَ في الآيةِ السابقةِ أن الوجلَ هو الفزع.

٥٦- {**قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّون**}.

... الذين قد أخطأوا سبيلَ الصواب، وتركوا قصدَ السبيل، في تركهم رجاءَ الله، ولا يخيبُ مَن رجاه، فضلُّوا بذلكَ عن دينِ الله. (الطبري).

٥٧- {**قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُون**}.

أشارَ إلى ورودِ معناها في سورةِ يوسف {قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ} [الآية ٥١]. وفيه قوله: الخَطب: الشأنُ المهمّ، من حالةٍ أو حادثة. قيل: سمّيَ خطباً لأنه يقتضي أن يخاطِبَ المرءُ صاحبَهُ بالتساؤلِ عنه. وقيل: هو مأخوذٌ من الخُطبة، أي: يُخطَبُ فيه، وإنما تكونُ الخطبةُ في أمرٍ عظيم، فأصلهُ مصدرٌ بمعنى المفعول، أي: مخطوبٌ فيه.

٥٩- {**إِلاَّ آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِين**}.

يريدُ أهلَهُ المؤمنين. والمعنى: إنا أُرسِلنا إلى قومٍ أَجرمَ كلُّهم إلا آلَ لوط، لنهلكَ الأوَّلين ونُنجي الآخِرين. واكتفى بنجاةِ الآلِ لأنهم إذا نجَوا وهم تابعون، فالمتبوعُ - وهو لوط - أولَى بذلك. (روح البيان، باختصار).

٦٠- {**إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِين**}.

قضَينا. (البغوي).

٦٤- {وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ}.

تأكيدٌ لخبرِهم إيّاهُ بما أخبروهُ به، مِن نجاتهِ وإهلاكِ قومِه. (ابن كثير).

٦٥- {فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ}

قالَ في تفسيرها في الآيةِ (٨١) من سورةِ هود: أمرٌ بالسُّرَى - بضمِّ السينِ والقصرِ - وهو اسمُ مصدرٍ للسيرِ في الليلِ إلى الصباح.

٧٤- {فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ}.

قالَ في الآيةِ الكريمةِ (٨٢) من سورةِ هود: {فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُود}: المعنى أن القريةَ انقلبتْ عليهم انقلابَ خسفٍ حتى صارَ عالي البيوتِ سافلاً، أي: وسافلها عالياً، وذلك من انقلابِ الأرضِ بهم. وإنما اقتصرَ على ذكرِ جعلِ العالي سافلاً لأنه أدخلَ في الإهانة. والسِّجِّيلُ فُسِّرَ بوادي نارٍ في جهنَّمَ يقالُ (سجِّيل) باللاّم، و(سجِّين) بالنون. و {مِنْ} تبعيضية، وهو تشبيهٌ بليغ، أي: بحجارةٍ كأنها من سجِّيلِ جهنَّم.

٨٣- {فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِين}.

فأخذتهم صيحةُ الهلاك. (الطبري).

أي: صيحةُ جبريل، فإنه صاحَ فيهم صيحةً واحدةً فهلكوا جميعًا. وقيل: أتتهم من السماءِ صيحةٌ فيها صوت... (روح البيان).

سورة النحل

٤- {خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ}.

جَدِلٌ بالباطل. (البغوي).

٦- {وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُون}.

الجمال: ما يتجمَّلُ به ويُتزيَّن، والجمال: الحُســـن، والمعنى هنا: لكم فيها تجمُّلٌ وتزيُّنٌ عند الناظرين إليها. (فتح القدير).

٧- {إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ}.

أي: ربُّكم الذي قيَّضَ لكم هذه الأنعامَ وسـخَّرها لكم. (ابن كثير)، {لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} بخلقه، حيثُ جعلَ لكم هذه المنافع. (النسفي، الخازن).

٩- {وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ}.

ولو أرادَ اللهُ لجمعَكم على ملَّةِ التَّوحيدِ وألزمَكم بها، وســـيكونُ ذلكَ بغيرِ اختيارِكم، لكنَّ اللهَ شـــاءَ أن يعطيَكم حرّيةَ الاختيار، لتكونوا مســـؤولين عن الأعمالِ التي تختارونَها، وســـوفَ تُحاسَبون عليها. (الواضح).

١٠- {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ}.

ذكرَ أن إنزالَ الماءِ من الســـماءِ تقدَّمَ معناهُ عند قولهِ تعالى: {وَأَنْزَلَ مِنَ السَّـــماءِ ماءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَراتِ رِزْقاً لَكُمْ} [ســورة البقرة: ٢٢]. وفيه بيَّنَ تكوُّنَ المطرِ علميًّا، كقوله: اعلمْ أن كونَ الماءِ نازلاً من الســـماء، هو أن تكوُّنَهُ يكونُ في طبقاتِ الجوِّ من آثارِ البخارِ الذي في الجوّ، فإن الجوَّ ممتلئٌ دائماً بالأبخرةِ الصـاعدةِ إليه بواسـطةِ حرارةِ الشـمس، من مياهِ البحارِ والأنهار، ومن نداوةِ الأرض، ومن النبات.

١٢- {وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ}.

وذلَّلَ اللهُ لكم اللَّيلَ والنَّهار، يَخْلُفُ أحدُهما الآخر، اللَّيلُ بهدوئهِ لِسَـــكنِكم ومنامِكم، والنَّهارُ بضيائهِ وحرارتهِ لعملِكم ومعاشِكم. وسخَّرَ لكم الشمسَ والقمرَ في حركةٍ دائمة، ليتشكَّلَ مِن سَـيرِهما اللَّيلُ والنَّهار، ويسـتفيدَ منهما الإنسـانُ في حياتِه، ولا غنَى له عنهما. وهذهِ النُّجومُ

بأعدادِها الكثيرة، وأجرامِها المضيئة، وحركاتِها الدائبةِ في مدارِها، مذلَّلاتٌ بأمرِه، يتصرَّفُ فيها ولا يمتنعُ عليهِ شيءٌ منها. (الواضح).

٢٢- {فَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُون}.
متعظِّمون. (البغوي). {وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ} عن قبولِ الحقّ، متعظِّمون عن الإذعانِ للصواب، مستمرُّون على الجحد. (فتح القدير).

٢٣- {إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ}.
الذين يتعالَونَ على الحقّ، فلا يُرتجَى منهم اقتناعٌ وإيمان. (الواضح في التفسير).

٢٥- {أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ}.
قالَ في تفسيرِ مثلِها، في الآيةِ (٣١) من سورةِ الأنعام: و{سَاءَ مَا يَزِرُونَ} إنشاءُ ذمّ.
و{يَزِرُونَ} بمعنى يَحملون، أي: ساءَ ما يمثِّلُ مِن حالهم بالحَمْل.
وقالَ الإمامُ الطبري: ألا ساءَ الإثمُ الذي يأثمون، والثقلُ الذي يتحمَّلون.

٢٩- {فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ}.
ادخلوا طبقاتِ جهنم، ماكثين فيها، فلبئسَ منزلُ مَن تكبَّر على اللهِ ولم يقرَّ بربوبيتهِ ويصدِّقْ بوحدانيتهِ جهنَّم. (الطبري).

٣١- {جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ}.
لهم جنَّاتٌ مُعَدَّةٌ لإقامةٍ دائمة، يدخلونَها ويسكنونَ فيها فرحينَ مبتهجين، تزيِّنُها الأنهارُ جاريةً بين قصورِها وأشجارِها، ولهم فيها ما يشاؤونَ من أنواعِ المطعوماتِ والمشاربِ والثِّمارِ اللَّذيذة. (الواضح).

٣٢- {ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}.

{ادْخُلُوا الْجَنَّةَ} التي أعدَّها اللهُ تعالَى لكم ووعدَكم إيّاها، بسببِ ثباتِكم على التقوَى والطاعة، بالذي كنتُم تعملونَهُ مِن ذلك. (روح المعاني، باختصار).

٤٥- {أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُواْ السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللّهُ بِهِمُ الأَرْضَ}.
ذكرَ أن معنى المكرِ تقدَّمَ في الآيةِ (٢٦) من السورة: {قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ}. وقد عرَّفَهُ بقوله: المكر: إلحاقُ الضرِّ بالغيرِ في صورةِ تمويهِهِ بالنصحِ والنفع.

٤٧- {أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ}.
فإنَّ ربَّكم إنْ لم يأخذْ هؤلاءِ الذين مكروا السيِّئاتِ بعذابٍ معجَّلٍ لهم، وأخذَهم بموتٍ وتنقُّصِ بعضِهم في أثرِ بعض، لرؤوفٌ بخَلقه، رحيمٌ بهم، ومِن رأفتِهِ ورحمتِهِ بهم لم يخسفْ بهم الأرض، ولم يعجِّلْ لهم العذاب، ولكنْ يخوِّفُهم وينقِّصُهم بموت. (الطبري).

٤٨- {يَتَفَيَّأُ ظِلاَلُهُ}.
أشارَ إلى بيانِ معنى الظلالِ في سورةِ الرعد (الآية ١٥): {وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ}، قال: والظلالُ جمعُ ظلّ، وهو صورةُ الجسمِ المنعكسِ إليه نور.

٥١- {إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ}.
فإيّايَ فاتَّقوا، وخافوا عقابي بمعصيتِكم إيَّايَ إنْ عصيتُموني وعبدتُم غيري، أو أشركتُم في عبادتِكم لي شريكًا. (الطبري).

٥٣- {وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُون}.

{نِّعْمَةٍ}: أيَّ نعمةٍ كانت، كالغنى، وصحةِ الجسم، والخصب، ونحوها.
{الضُّرُّ} أي: الفقر، والبلاءُ في جسدكم، والقحط، ونحوها. (روح البيان).

٦٠- {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ عند قولهِ تعالى: {فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [سورة البقرة: ٢٠٩]، ومما قالَهُ هناك: العزيزُ فعيلٌ من عزَّ إذا قويَ ولم يُغلَب، وأصلهُ من العزَّة. والحكيم: يجوزُ أن يكونَ اسمَ فاعلٍ من حكمَ، أي: قويُّ الحُكم، ويحتملُ أنه المحكِمُ للأمور، فهو من مجيءِ فَعِيل بمعنى مُفعل...

٦١- {فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ نظيرهُ عند قولهِ تعالى: {فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ} من سورةِ الأعراف (الآية ٣٤)، وقد قالَ هناك: {يَسْتَأْخِرُونَ} و{يَسْتَقْدِمُونَ} بمعنى يتأخَّرون ويتقدَّمون، فالسّينُ والتّاءُ فيهما للتأكيد، مثلُ استجاب. والمعنى: إنّهم لا يتجاوزونَهُ بتأخير، ولا يتعجَّلونَهُ بتقديم. والمقصودُ أنهم لا يؤخَّرون عنه، فعَطْفُ {وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ} لبيانِ أن ما علمَهُ الله وقدَّرَهُ على وفقِ علمه، لا يَقدرُ أحدٌ على تغييرهِ وصَرفه.

٦٢- {وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى}.

أي: العاقبةُ الحسنى عند الله، وهي الجنة، إن كان البعثُ حقًّا. (روح البيان).

٦٣- {فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}.

... ولهم في الآخرةِ عذابٌ شديدٌ على طاعتِهم له، دونَ طاعةِ رسُلِهم. (الواضح)، هو عذابُ النار. (روح البيان).

٦٥- {وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا}.

أي: من السحاب، أو من جهةِ العلوّ، كما مرّ، أي: نوعاً من أنواعِ الماء. (فتح القدير).

٦٩- {ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون}.

{سُبُلَ} أي: الطرقُ التي فهَّمكَ الله وعلَّمك. (فتح القدير).
{لآيَةً}: حجةً ظاهرةً دالةً على القدرةِ الربانية. (روح البيان).

٧١- {**أَفَبِنِعْمَةِ اللهِ يَجْحَدُون**}.
الجحود: الإنكار. والباءُ لتضمينهِ معنى الكفر. (روح البيان).

٧٧- {**وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**}.
{السَّاعَةِ}: القيامة.
{إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}: إنما وصفَ اللهُ تعالى نفسَهُ بالقدرةِ على كلِّ شيءٍ في هذا الموضع؛ لأنهُ حذَّرَ المنافقين بأسَهُ وسطوتَه، وأخبرَهم أنهُ بهم محيط، وأنهُ على إذهابِ أسماعِهم وأبصارِهم قدير. ومعنى {قَدِيرٌ}: قادر، كما أن معنى {عَلِيمٌ}: عالم. (الطبري).

٧٨- {**لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**}.
فاشكروا الله على ما أنعمَ به عليكم من ذلك دونَ الآلهةِ والأنداد، فجعلتم له شركاءَ في الشكر، ولم يكنْ له فيما أنعمَ به عليكم من نعمهِ شريك. (الطبري).

٨٧- {**وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ**}.
ذكرَ عند تفسيرِ الآيةِ (٩٤) من سورةِ آلِ عمران، أن الافتراءَ هو الكذب، وهو مرادفُ الاختلاق، وكأن أصلَهُ كنايةٌ عن الكذبِ وتلميح، وشاعَ ذلك حتى صارَ مرادفًا للكذب.

٩٢- {**وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا**}.
{نَقَضَتْ}: النقض: انتثارُ العَقدِ مِن البناءِ والحَبلِ والعِقد، وهو ضدُّ الإبرام. (مفرداتُ الراغب).

٩٣- {**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً**}.

على ملَّةٍ واحدة، وهي الإسلام. (البغوي).

٩٤- {وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ}.

أحالَ معناها إلى الآيةِ (٩٢) من السورة {تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ} ومما قالَهُ هناك: الدَّخَل: الفساد، أي: تجعلون أيمانكم التي حلفتموها. والدَّخَل أيضاً: الشيءُ الفاسد. والمعنى: تجعلون أيمانكم الحقيقةَ بأن تكونَ معظَّمةً وصالحة، فيجعلونها فاسدةً كاذبة، فيكونُ وصفُ الأيمانِ بالدَّخَل حقيقةً عقلية. أو تجعلونها سببَ فسادٍ بينكم، إذ تجعلونها وسيلةً للغدرِ والمكر، فيكونُ وصفُ الأيمانِ بالدَّخَل مجازاً عقلياً.

٩٧- {وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.

قالَ في مثلها، في الآيةِ السابقة: أي: بسببِ عملهم البالغِ في الحسن، وهو عملُ الدوامِ على الإسلام، مع تجرُّعِ ألمِ الفتنةِ من المشركين.

١٠٢- {وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ}.

... وهدًى لهم مِن الضلالة، وبُشرَى للمسلمينَ الذين استسلموا لأمرِ اللهِ وانقادوا لأمرِهِ ونهيه، وما أنزلَهُ في آي كتابه، فأقرُّوا بكلِّ ذلكَ وصدَّقوا به قولاً وعملاً. (الطبري).

١٠٦- {وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}.

ولهم عذابٌ كبيرٌ يومَ القيامة، لعِظَمِ جُرمِهم. (الواضح).

١١٣- {وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ}.

وهم مشركون. وذلكَ أنه قُتِلَ عظماؤهم يومَ بدرٍ بالسيفِ على الشرك. (الطبري).

١١٥- {فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيم}.

فسَّرَهُ في الآيةِ (١٧٣) من سورةِ البقرة، وملخصه: البغي: الظلم، والعدوان: المحاربةُ والقتال، ومجيءُ هذه الحالِ هنا للتنويهِ بشأنِ المضطرِّ في حالِ إباحةِ هاتهِ المحرَّماتِ له، بأنه بأكلِها يكونُ غيرَ باغٍ ولا عاد، لأن الضرورةَ تُلجيءُ إلى البغي والاعتداء... فالجائعُ يأكلُ من هاتهِ المحرماتِ إن لم يجدْ غيرها أكلاً يُغنيهِ عن الجوع..

١١٦- {**وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُون**}.

ذكرَ عند تفسيرِ الآيةِ (٩٤) من سورةِ آلِ عمران، أن الافتراءَ هو الكذب، وهو مرادفُ الاختلاق، وكأن أصلَهُ كنايةٌ عن الكذبِ وتلميح، وشاعَ ذلك حتى صارَ مرادفًا للكذب.

١١٨- {**وَعَلَى الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ**}.

أشارَ مؤلفُ الأصلِ إلى أن المرادَ ما ذُكِرَ في سورةِ الأنعام.

ويعني الآيةَ (١٤٦) منها: {وَعَلَى الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ}.

١٢٣- {**ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا**}.

{مِلَّةَ}: ذكرَ عند تفسيرِ الآيةِ (١٢٠) من سورةِ البقرة، أن الملة: الدينُ والشريعة. قال: وهي مجموعُ عقائدَ وأعمالٍ يلتزمُها طائفةٌ من الناسِ يتفقون عليها، وتكونُ جامعةً لهم كطريقةٍ يتبعونها، ويحتملُ أنها مشتقةٌ من (أملَ) الكتاب، فسمّيتِ الشريعةُ ملَّةً لأن الرسولَ أو واضعَ الدينِ يعلّمها للناسِ ويمللها عليهم، كما سمّيتْ دينًا باعتبارِ قبولِ الأمةِ لها، وطاعتهم وانقيادهم.

{حَنِيفًا}: ذكرَ في الآيةِ (١٢٠) من السورةِ أن الحنيفَ: المجانبُ للباطل.

١٢٨- {**إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّالَّذِينَ هُمْ مُّحْسِنُونَ**}.

وهو مع الذين يُحسِـــنون رعايةَ فرائضـــه، والقيامَ بحقوقه، ولزومَ طاعته، فيما أمرَهم به ونهاهم عنه. (الطبري).

الجزء الخامس عشر

سورة الإسراء

٩- {وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا}.

ويبشِّرُ أيضًا - مع هدايتهِ مَن اهتدَى به للسبيلِ الأقصدِ - الذين يؤمنون باللهِ ورسوله، ويعملونَ في دنياهم بما أمرهم اللهُ به، وينتهونَ عمَّا نهاهم عنه... (الطبري).

١٠- {وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا}.

ذكرَ عند تفسيرِ الآيةِ (٣٧) من سورةِ النساء، أن أصلَ {أَعْتَدْنَا}: أعدَدْنا، أُبدِلَتِ الدالُ الأولى تاءً لثقلِ الدالين عند فكِّ الإدغامِ باتّصالِ ضميرِ الرفع، وهكذا مادَّةُ (أعدَّ) في كلامِ العرب، إذا أدغموها لم يبدِّلوا الدالَ بالتاء؛ لأنَّ الإدغامَ أخفّ، وإذا أظهروا أبدلوا الدالَ تاء. اهـ.

وعند تفسيرِ الآيةِ السابقة، ذكرَ أن المقصودَ بالعذابِ الأليمِ جهنم.

١٢- {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً}.

أي: علامتين دالَّتين على وجودنا ووحدانيتنا وقدرتنا. (البغوي).

١٤- {اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا}.

أشارَ عند تفسيرِ الآيةِ السابقة، إلى أن المقصودَ بالكتابِ ما فيه ذكرُ الأعمالِ وإحصاؤها.

٣٠- {إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ في سورةِ الرعد {ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَنْ يَشَآءُ وَيَقْدِرُ} (الآية ٢٦)، ومن قولهِ هناك: إن الله يشاءُ بسطَ الرزقِ لبعضِ عباده، ونقصَهُ لبعضٍ آخر، لحكمةٍ متصلةٍ بأسبابِ العيشِ في الدنيا، ولذلك اتصالٌ بحالِ الكرامةِ عندهُ في الآخرة.
قال: والبسطُ مستعارٌ للكثرةِ وللدوام، والقَدْرُ كنايةٌ عن القلَّة.

٣٤- {وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ الكلامُ عليه في سورةِ الأنعام (الآية ١٥٢)، وملخصُ قولهِ هناك: القِربانُ كنايةٌ عن ملابسةِ مالِ اليتيم. ولما اقتضَى هذا تحريمَ التصرُّفِ في مالِ اليتيم، ولو بالخزنِ والحفظ، وذلك يعرِّضُ مالَهُ للتلف، استُثنيَ منه قوله: {إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}، أي: إلاّ بالحالةِ التي هي أحسنُ حالاتِ القرب. وإنَّما قالَ هنا: {وَلَا تَقْرَبُوا} تحذيراً من أخذِ مالهِ ولو بأقلِّ أحوالِ الأخذ؛ لأنه لا يدفعُ عن نفسه. والأشُدُّ اسمٌ يدلُّ على قوَّةِ الإنسان، والمرادُ به بلوغُ اليتيمِ القوَّةَ التي يخرجُ بها من ضعفِ الصِّبا، وتلك هي البلوغ، مع صحَّةِ العقل، لأن المقصودَ بلوغهُ أهليَّةَ التصرُّفِ في ماله.

٣٥- {وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ}.

أشارَ إلى تقدُّمهِ في سورةِ الأنعام (الآية ١٥٢)، ومنه قوله: كانوا يبيعون التمرَ والزبيبَ كيلاً، وكانوا يتوازنون الذهبَ والفضَّة، فكانوا يُطَفِّفون حرصاً على الربح، فلذلك أمرُهم بالوفاء.

٤٦- {وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا}.

{وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا}: ذكرَ أنه تقدَّمَ نظيرها في سورةِ الأنعام (الآية ١٥٢)، وملخصُ قولهِ هناك: الكنان: الغطاء، لأنه يكنُّ الشيء، أي: يستره. وهي هنا تخييل؛ لأنه شُبِّهتْ قلوبُهم في عدمِ خلوصِ الحقِّ إليها بأشياءَ محجوبةٍ عن شيء. وأُسنِدَ جعلُ تلك الحالةِ في قلوبهم إلى الله تعالى لأنه خلقهم على هذه الخصلةِ الذميمةِ والتعقُّلِ

المنحرف، فهم لهم عقولٌ وإدراكٌ لأنّهم كسائرِ البشر، ولكنَّ أهواءهم تخيّرُ لهم المنعَ من اتّباعِ الحقّ. والوَقر: الصممُ الشديد، وهو مستعارٌ لعدمِ فهمِ المسموعات. اهـ.

{أَدْبَارِهِمْ}: أشارَ إلى أنه تقدَّمَ القولُ فيه في سورةِ المائدة {وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ} (الآية ٢١)، قال: الأدبار: جمعُ دُبُر، وهو الظهر. والارتداد: الرجوع، ومعنى الرجوعِ على الأدبار: إلى جهةِ الأدبار، أي: الوراء. اهـ.

{نُفُورًا}: انفضُّوا، فذهبوا عنك نفوراً من قولك.. (الطبري).

٤٧- {**إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا**}.

أي: سُحِرَ فجُنّ. فمِن ظُلمِهم وضعوا اسمَ المسحورِ موضعَ المبعوث. (روح البيان).

٥٣- {**إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا**}.

ظاهرَ العداوة. (البغوي).

٥٧- {**يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ**}.

أي القُرْبة، وقيل: الوسيلة: الدرجةُ العليا، أي: يتضرَّعون إلى الله في طلبِ الدرجةِ العليا، وقيل: الوسيلة: كلُّ ما يتقرَّبُ به إلى الله تعالى. (البغوي).

٦٠- {**وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيرًا**}.

أي: تمردًا وعتوًّا. (البغوي).

٦١- {**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا**}.

واذكرْ إذ قلنا للملائكةِ اسجُدوا لآدمَ سجدةَ تكريمٍ لا سجدةَ عبادة، بعدَ أنْ سوَّينا خَلقَهُ ونفخنا فيه مِن روحِنا، فسجدَ له جميعُ الملائكةِ ملبّينَ أمرَ الله، إلاّ إبليسَ أبَى أن يسجد.. (الواضح).

٦٢- {لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إَلاَّ قَلِيلا}.

يعني المعصومين، الذين استثناهم الله عزَّ وجلَّ في قوله: {إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ} [سورة الحجر: ٤٢]. (البغوي).

٦٦- {رَّبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا}.

{الْفُلْكَ}: السفن.

{إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا}: أي: إنما فعلَ هذا بكم مِن فضلهِ عليكم، ورحمتهِ بكم. (ابن كثير).

٦٧- {وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ}.

نالتكم. (الطبري).

٧٣- {وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ}.

ذكرَ عند تفسيرِ الآيةِ (٩٤) من سورةِ آلِ عمران، أن الافتراءَ هو الكذب، وهو مرادفُ الاختلاق، وكأن أصلَهُ كنايةٌ عن الكذبِ وتلميح، وشاعَ ذلك حتى صارَ مرادفًا للكذب.

٨٢- {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ}.

رحمةٌ للمؤمنين لما فيه من العلومِ النافعة، المشتملةِ على ما فيه صلاحُ الدينِ والدنيا، ولما في تلاوتهِ وتدبرهِ من الأجرِ العظيم، الذي يكونُ سبباً لرحمةِ الله سبحانه، ومغفرتهِ ورضوانه. (فتح القدير).

٨٩- {وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ}

{صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ} أي: بيَّنَّا لهم. (الطبري وابن كثير).

وقد ذكرَ ابنُ عاشور رحمَهُ الله أنه تقدَّمَ عند قولهِ تعالى: {وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُواْ} [سورة الإسراء:٤١]. قال: التصريفُ أصلهُ تعدُّدُ الصرف، وهو النقلُ من جهةٍ إلى أخرى، ومنه تصريفُ الرياح، وهو هنا كنايةٌ عن التبيينِ بمختلفِ البيانِ ومتنوَّعه.

٩١- **{أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا}**.

ذكرَ أنها تقدَّمتْ في قولهِ تعالى: {أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ} [سورة البقرة: ٢٦٦]. وليس فيه حديثٌ عن هذه المفردات. وهي واضحة. والجنة: البستان.

٩٨- **{ذَلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا وَقَالُواْ أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا}**.

{بِآيَاتِنَا}: يعني بأدلتهِ وحججه، وهم رسلهُ الذين دعوهم إلى عبادته، وإفرادهم إيّاهُ بالألوهةِ دون الأوثانِ والأصنام، وبقولهم إذا أُمروا بالإيمانِ بالميعاد، وبثوابِ الله وعقابهِ في الآخرة. (الطبري).

{وَرُفَاتًا}: قالَ في معناه، في الآيةِ (٤٩) من السورة: الرفات: الأشياءُ المرفوتة، أي: المفتَّتة. يقال: رفَتَ الشيءَ إذا كسرَهُ كِسَراً دقيقة. ووزنُ (فُعال) يدلُّ على مفعولِ أفعالِ التجزئة، مثلِ الدقاقِ والحُطامِ والجُذاذِ والفُتات.

٩٩- **{وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لاَّ رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إَلاَّ كُفُورًا}**.

{لاَّ رَيْبَ فِيهِ}: لا شكَّ فيه.

{الظَّالِمُونَ}: الكافرون. (الطبري).

١٠٠- **{قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ}**.

{خَزَآئِنَ} أي: خزائنَ نعمهِ التي أفاضها على كافةِ الموجودات. فالرحمةُ مجازٌ عن النعم، والخزائنُ استعارةٌ تحقيقيةٌ أو تخييلية. (روح المعاني).

{خَشْـيَةَ الإِنفَاقِ}: أي: خشـيةَ الفاقة، قالَهُ قتادة. وقيل: خشـيةَ النفاد، يقال: أنفقَ الرجلُ أي: أملقَ وذهبَ ماله، ونفق الشيءُ إذا ذهب. وقيل: لأمسكتم عن الإنفاقِ خشيةَ الفقر. (البغوي).

١٠٢- {**قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاء إِلاَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَآئِرَ**}.
خالقُهما ومدبّرهما. (روح البيان).

١٠٩- {**وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا**}.
مما قالَهُ في تفسيرِ اللفظين في الآيةِ (١٠٧) من السورة: الخرور: سقوطُ الجسم. وقد تقدَّمَ في قوله: {وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا} في سورة الأعراف (الآية ١٤٣). والأذقان: جمعُ الذَّقَن، بفتحِ الذالِ وفتحِ القاف: مجتمعُ اللحيين. وذُكِرَ الذقنُ للدلالةِ على تمكينهم الوجوهَ كلَّها من الأرض، من قوةِ الرغبةِ في السجود، لما فيه من استحضارِ الخضوعِ لله تعالى.

١١٠- {**قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَـنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلا**}.
{الْحُسْنَى}: تفسيرهُ في قولهِ تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ} في الآيةِ (١٨٠) من سورةِ الأعراف، قال: (الحُسنى) مؤنثُ الأحسن، وهو المتصفُ بالحُسنِ الكاملِ في ذاته، المقبولِ لدى العقولِ السليمة، المجردةِ عن الهوى. وليس المرادُ بالحُسنِ الملاءمةَ لجميعِ الناس، لأن الملاءمةَ وصفُ إضافةٍ نسبي، فقد يلائمُ زيداً ما لا يلائمُ عمراً، فلذلك فالحسنُ صفةٌ ذاتيةٌ للشيءِ الحسن. ووصفُ الأسماءِ بـ {الْحُسْنَىٰ} لأنها دالةٌ على ثبوتِ صفاتِ كمالٍ حقيقي... اهـ.
{سَبِيلا}: أمرًا وسطًا، فإن خيرَ الأمورِ أوساطها. والتعبيرُ عن ذلك بـ(السبيل) باعتبارِ أنه أمرٌ يتوجَّهُ إليه المتوجِّهون ويؤمُّهُ المقتدون، فيوصلهم إلى المطلوب. (روح البيان).

١١١- {**وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ**}.

{الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا}: لأن الولادةَ من صفاتِ الأجسامِ لا غير، وهو ردٌّ لليهودِ، والنصارى، وبني مدلج، حيثُ قالوا: عُزيرٌ ابنُ الله، والمسيحُ ابنُ الله، والملائكةُ بناتُ الله، تعالَى عن ذلك علوًّا كبيرًا.

{وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ}: في ملكِ العالم، أي: الألوهية، فإن الكلَّ عبيده، والعبدُ لا يصلحُ أن يكونَ شريكًا لسيّدهِ في ملكه، وهو ردٌّ للثنويةِ القائلين بتعدُّدِ الآلهة. (روح البيان).

سورة الكهف

٢- {وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا}

ويبشِّرَ بهِ المؤمنين الصَّادقين، الذين أتْبَعوا إيمانَهم بالعملِ الصَّالح، أنَّ لهم ثوابًا حسنًا في الآخرة، هو الجنَّةُ ونعيمُها. (الواضح).

١٢- {ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا}.

مكثوا في كهفهم نياماً، {أَمَدًا}، أي: غاية. وقالَ مجاهد: عدداً. (البغوي).

١٣- {إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ}.

ذكرَ في الآيةِ (١٠) من السورة، أن الفتى هو الشابُّ المكتمل...

١٥- {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا}.

ذكرَ عند تفسيرِ الآيةِ (٩٤) من سورةِ آلِ عمران، أن الافتراءَ هو الكذب، وهو مرادفُ الاختلاق، وكأن أصلَهُ كنايةٌ عن الكذبِ وتلميح، وشاعَ ذلك حتى صارَ مرادفًا للكذب.

١٧- {وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا}.

أي: من يُضلِلْهُ اللهُ ولم يُرشده، {فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا}: معيناً. (البغوي).

١٨- {وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا}.

ذكرَ أن (الرعبَ) تقدَّمَ في سورةِ آلِ عمران (الآية ١٥١) وقد بيَّنَ هناك أن الرعبَ هو الفزعُ من شدَّةِ خوف.

١٩- {وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلاَ يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا}.

{بَعَثْنَاهُمْ}: ذكرَ أنه تقدَّمَ (عند تفسيرِ الآيةِ ١٢ من السورة)، قال: البعثُ هنا الإيقاظ، أي: أيقظناهم من نومتهم يقظةَ مفزوع، كما يُبعَثُ البعيرُ من مَبركه. وحسنُ هذه الاستعارةِ هنا أن المقصودَ من هذه القصةِ إثباتُ البعثِ بعد الموت، فكان في ذكرِ لفظِ البعثِ تنبيهٌ على أن في هذه الإفاقةِ دليلاً على إمكانِ البعثِ وكيفيته.

{لَبِثْتُمْ} أي: كم رقدتم؟ (ابن كثير).

{وَلْيَتَلَطَّفْ}: وليترفَّقْ في الطريقِ وفي المدينة، وليكنْ في سترٍ وكتمان. (البغوي).

٢٠- {إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا}.

يقول: ولن تُدركوا الفلاح، وهو البقاءُ الدائمُ والخلودُ في الجنان. (الطبري).

٢١- {وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا}.

لا شكَّ في قيامها، ولا شبهةَ في وقوعها.. (روح البيان).

٢٢- {قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم}.

بعددهم. (البغوي وغيره).

٢٥- {وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاَثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا}.

رقدوا.

٢٦- {قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا}.

معناهُ أنه تعالى أعلمُ بمقدارِ هذه المدةِ من الناسِ الذين اختلفوا فيها. (مفاتيح الغيب).

٢٨- {وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ}.

أي: مرادهُ في طلبِ الشهوات. (البغوي).

٣٠- {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}.

وعملوا بطاعةِ الله، وانتهَوا إلى أمرهِ ونهيه. (الطبري).

٣٢- {أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا}.

{عَدْنٍ}: إقامة.

{مُرْتَفَقًا}: ذكرَ في الآيةِ (٢٩) من السورة، أن المرتفقَ هو المُتكأ، وأن شأنَ المرتفَقِ أن يكونَ مكانَ استراحة...

٣٢- {جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ}.

بستانين.

٣٣- {وَفَجَّرْنَا خِلاَلَهُمَا نَهَرًا}.

ذكرَ أن التفجيرَ تقدَّم عند قولهِ تعالى: {فَتُفَجِّرَ ٱلأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيراً} [سورة الإسراء: ٩٠]، قال: التفجيرُ مصدرُ فجَّرَ بالتشديد، مبالغةً في الفَجْر، وهو الشقُّ باتساع. ومنه سمِّيَ فجرُ الصباحِ فجراً؛ لأن الضوءَ يشقُّ الظلمةَ شقًّا طويلاً عريضاً، فالتفجيرُ أشدُّ من مطلقِ

الفجر، وهو تشقيقٌ شديدٌ باعتبارِ اتساعه؛ ولذلك ناسبَ الينبوعَ هنا، والنهرَ في قولهِ تعالى: {وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا}.

٣٥- {وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ}.

بستانه.

٣٦- {وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا}.

{السَّاعَةَ} أي: القيامة، التي هي عبارةٌ عن وقتِ البعث.

{وَلَئِن رُّدِدتُّ}: والله لئن رجعتُ {إِلَى رَبِّي} بالبعث، على الفرضِ والتقدير، كما زعمت.. (روح البيان).

٤٠- {فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ}.

فعسَى ربِّي أنْ يرزقني خيرًا مِن بستانِكَ هذا. (الطبري).

٤١- {أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا}.

يعني: إنْ طلبتَهُ لم تَجدْهُ. (البغوي).

٤٢- {فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا}.

على الأموالِ التي أذهبها عليها. (ابن كثير).

٤٥- {كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء}.

يعني المطر. (الطبري، البغوي). قالَ الشوكاني رحمَهُ الله في الآيةِ (٢٢) من سورةِ الحِجر {فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء} أي: من السحاب. وكلُّ ما علاكَ فأظلَّكَ فهو سماء، وقيل: من جهةِ السماء، والمرادُ بالماءِ هنا ماءُ المطر. (فتح القدير).

٤٦- {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}.
شيءٌ يتزيَّنون به في الحياةِ الدنيا. (روح البيان)، ليستْ من زادِ الآخرة. (البغوي).

٤٧- {وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا}.
أي: الخلائق، ومعنى الحشر: الجمع، أي: جمعناهم إلى الموقفِ من كلِّ مكان. (فتح القدير).

٤٩- {وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ}.
المشركينَ بالله. (الطبري).

٥٠- {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ}.
واذكرْ قولَنا للملائكة: اسجُدوا لآدمَ سجودَ تحيَّةٍ وإكرام، بعد أن سوَّيناهُ ونفخنا فيه من روحِنا، فسجدوا له جميعًا، طاعةً لربِّهم، إلاّ إبليسَ اللَّعين، وكانَ منَ الجِنّ. (الواضح).

٥٣- {وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا}.
أي: المشركون. (البغوي).

٥٤- {وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ}.
قالَ عند قولهِ تعالى: {وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَـذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُواْ} [سورة الإسراء:٤١]: التصريفُ أصلهُ تعدُّدُ الصرف، وهو النقلُ من جهةٍ إلى أخرى، ومنه تصريفُ الرياح، وهو هنا كنايةٌ عن التبيينِ بمختلفِ البيانِ ومتنوَّعه.

٥٦- {وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ}.
{مُبَشِّرِينَ} للمؤمنين والمطيعين بالثوابِ والدرجات، {وَمُنْذِرِينَ} للكافرين والعاصين بالعقابِ والدركات، فإن طريقَ الوصولِ إلى الأول، والحذرَ عن الثاني، مما لا يستقلُّ به العقل، فكان من لطفِ الله ورحمتهِ أن أرسلَ الرسلَ لبيانِ ذلك.

{وَيُجَادِلُ} ذكرَ أن (المجادلةَ) تقدَّمتْ في سورةِ هود {يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ} (الآية ٧٤)، وفيه أن المجادلةَ بمعنى المحاورة. اهـ. ومجادلتهم هنا بالباطل، ولذلك فسَّرها الإمامُ الطبري بالمخاصمة.

٥٧- {**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا**}.

{بِآيَاتِ رَبِّهِ} أي: وُعِظَ بالقرآنِ الكريم.

{فَأَعْرَضَ عَنْهَا}: لم يتدبَّرها ولم يتفكَّرها.

{أَن يَفْقَهُوهُ}: كراهةَ أن يقفوا على كنهِ الآيات. وتوحيدُ الضميرِ باعتبارِ القرآن.

{وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى} أي: إلى طريقِ الفلاح، وهو دينُ الإسلام. (روح البيان).

٦١- {**فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا**}.

الحوتُ هو السمك.

٦٤- {**قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ**}.

نطلب. (البغوي).

الجزء السادس عشر

٨٩- {ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا}.

بيَّنَ في الآيةِ (٨٤) من السورة، أن (السببَ) ما يتوسَّلُ به إلى الشيءِ من علمٍ أو مقدرةٍ أو آلاتِ التسخيرِ على وجهِ الاستعارة. اهـ.

وتفسيرُ الآية: سلكَ طرقاً ومنازل. (البغوي).

٩٢- {ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا}.

أي: ثم سلكَ طريقاً من مشارقِ الأرض. (ابن كثير).

١٠٦- {وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا}.

{آيَاتِي}: القرآنَ وغيرَهُ من الكتبِ الإلهية.

{هُزُوًا}: سخريةً واستهزاء. (روح البيان).

١٠٧- {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا}.

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}: إنَّ الذين آمنوا، وأتْبَعوا إيمانَهم بالعملِ الصَّالح، وهو الموافِقُ لشرعِ الله... (الواضح).

{نُزُلًا}: أشارَ إلى تقدُّمِها قريبًا، ويعني عند تفسيرِ الآيةِ (١٠٢) من السورة، قال: والنُّزُل - بضمتين - ما يُعَدُّ للنزيلِ والضيفِ من القِرى.

١١٠- {فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا}.

{فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ} أي: يخافُ المصيرَ إليه. وقيل: يأملُ رؤيةَ ربِّه. (البغوي)، وقالَ ابنُ كثير: أي: ثوابَهُ وجزاءَهُ الصالح، {فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا}: فليُخلِصْ له العبادة، وليُفرِدْ له الربوبيَّة. (الطبري).

سورة مريم

٥- {فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا}.

ولدًا وارثًا ومُعِينًا. (الطبري).

٦- {وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا}.

أي: مرضيًّا عندكَ وعند خلقك، تحبه، وتحبّبهُ إلى خلقك، في دينهِ وخُلقه. (ابن كثير).

١١- {فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا}.

صلاةَ الفجرِ وصلاةَ العصر. (النسفي، روح المعاني).

١٩- {قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا}.

{رَسُولُ رَبِّكِ}: أي: بعثني الله إليك. (ابن كثير).

{غُلَامًا زَكِيًّا}: الغلامُ الزكيّ: هو الطاهرُ مِن الذنوب. (الطبري).

٢١- {وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ}.

علامة. (البغوي).

٢٢- {فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا}.

أحالَ تفسيرهُ إلى ما سبقَ في الآيةِ (١٦) من السورة: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا}، قال: الانتباذ: الانفرادُ والاعتزال؛ لأن النبذَ الإبعادُ والطرح، فالانتباذُ في الأصلِ افتعال، مطاوعُ نبذه، ثم أُطلِقَ على الفعلِ الحاصلِ بدونِ سبقِ فاعلٍ له. وانتصبَ {مَكَانًا} على أنه مفعولُ {انتَبَذَتْ}؛ لتضمنهِ معنى حلَّت. ويجوزُ نصبهُ على الظرفية، لما فيه من الإبهام. والمعنى: ابتعدتْ عن أهلها في مكانٍ شرقيّ. ونُكرَ المكانُ إبهاماً له؛ لعدمِ تعلُّقِ الغرضِ بتعيينِ نوعه، إذ لا يفيدُ كمالاً في المقصودِ من القصة.

٢٦- {فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا}.
أوجبتُ على نفسي. (الطبري).

٢٨- {مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا}.
أشارَ إلى تقدُّمِ معنى الكلمة (أثناءَ تفسيرِ الآيةِ ٢٠ من السورة)، وقد قالَ بعدَ بيانِ اشتقاقِها: البغِيّ: اسمٌ للمرأةِ الزانية.

٣٢- {وَبَرًّا بِوَالِدَتِي}.
ذكرَ أنه تقدَّمَ آنفًا، ويعني قولَهُ تعالى: {وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ} (الآية ١٤ من السورة)، قالَ هناك: البرور: الإكرامُ والسعيُ في الطاعة.

٣٣- {وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا}.
فسَّرَ قسمًا منه، وذكرَ في أولهِ أن القولَ تقدَّمَ فيه، ويعني عند تفسيرِ الآيةِ (١٥) من السورة، قال: السّلامُ اسمٌ للكلامِ الذي يفاتَحُ به الزائرُ والراحل، فيه ثناءٌ أو دعاء. وسمّيَ ذلك سلاماً لأنه يشتملُ على الدعاءِ بالسلامة، ولأنه يؤذِنُ بأن الذي أقدمَ هو عليه مسالمٌ له، لا يخشى منه بأساً. فالمرادُ هنا: سلامٌ من الله عليه، وهو ثناءُ الله عليه..
ثم قال: المعنى أن إكرامَ الله متمكنٌ من أحوالهِ الثلاثةِ المذكورة. وهذه الأحوالُ الثلاثةُ المذكورةُ هنا أحوالُ ابتداءِ أطوار: طورِ الورودِ على الدنيا، وطورِ الارتحالِ عنها، وطورِ الورودِ على الآخرة. وهذا كنايةٌ على أنه بمحلِّ العنايةِ الإلهيةِ في هذه الأحوال.

٣٨- {لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}.
بيّن. (البغوي).

٣٩- {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ}.

خوّفهم. (روح البيان، وغيره).

٤٨- {عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ معناهُ عند قولهِ تعالى: {وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا} (الآية ٤ من السورة)، ومما قالَهُ هناك: المعنى: لم أكنْ فيما دعوتُكَ من قبلُ مردودَ الدعوةِ منك، أي أنه قد عهدَ من الله الاستجابةَ كلما دعاه.

وقالَ الإمامُ الطبري هنا: يقول: عسَى أنْ لا أشقَى بدعاءِ ربِّي، ولكنْ يُجيبُ دعائي، ويُعطيني ما أسأله.

٥٤- {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا}.

{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ}: واتلُ على قومِكَ يا محمدُ في القرآنِ قصةَ جدِّكَ إسماعيلَ وبلِّغها إليهم. (روح البيان).

{وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا}: أحالَ معناها إلى ما سبقَ أن فسَّرَهُ في الآيةِ (٥١) من السورة: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا}، قال: الرسولُ بالمعنى الشرعيّ أخصُّ من النبيّ، لأن الرسولَ هو المرسَلُ بوحي من الله ليبلغَ إلى الناس، فلا يكونُ الرسولُ إلا نبياً، وأما النبي، فهو المنبَّأُ بوحي من الله وإن لم يؤمَرْ بتبليغه، فإذا لم يؤمَرْ بالتبليغِ فهو نبيٌّ وليس رسولاً، فالجمعُ بينهما هنا لتأكيدِ الوصف، إشارةً إلى أن رسالتَهُ بلغتْ مبلغاً قوياً.

٥٦- {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا}.

قالَ عند تفسيرِ قولهِ تعالى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا} (الآية ٤١ من السورة): وُصِفَ إبراهيمُ بالصدِّيقِ لفرطِ صدقهِ في امتثالِ ما يكلِّفهُ الله تعالى، لا يصدُّهُ عن ذلك ما قد يكونُ عذراً للمكلَّف، مثلُ مبادرتهِ إلى محاولةِ ذبحِ ولدهِ حين أمرَهُ الله بذلك في وحي الرؤيا، فالصدقُ هنا بمعنى بلوغِ نهايةِ الصفةِ في الموصوفِ بها.

٥٨- {أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَن خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا}.

مِنْ ذرِّيَّةِ آدم: إدريسُ ونوح، ومِن ذرِّيَّةِ مَن حمَلناهُم مع نوح: إبراهيمُ، ومِن ذرِّيَّةِ إبراهيمَ: إسماعيلُ وإسحاقُ ويعقوب، ومِن ذرِّيَّةِ إسرائيلَ (وهو يعقوبُ): موسَى وهارونُ وزكريّا ويَحيَى وعيسى. هؤلاءِ مِن جملةِ مَن أرشدناهُم إلى الحقِّ واصطفيناهُم للنبوَّة. (الواضح).

{خَرُّوا}: سقطوا على الأرضِ حالَ كونهم ساجدين. (روح البيان).

٦٠- {إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا}.

إلاّ مَن تابَ مِن ذنوبَه، وصدَقَ في إيمانِه، وقرنَ توبتَهُ بالعملِ الصَّالِح. (الواضح).

٦٣- {تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا}.

وهم المطيعون لله عزَّ وجلَّ في السرّاء والضرّاء، والكاظمون الغيظ، والعافون عن الناس، وكما قالَ تعالَى في أولِ سورةِ المؤمنين: {قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ} [سورة المؤمنون: ١، ٢] إلى أن قال: {أُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ . ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ} [سورة المؤمنون: ١٠ - ١١]. (ابن كثير).

٧٠- {ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا}.

المرادُ أنه تعالى أعلمُ بمن يستحقُّ من العبادِ أن يصلَى بنارِ جهنمَ ويخلدَ فيها، وبمن يستحقُّ تضعيفَ العذاب. (ابن كثير).

٧٢- {وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا}.

ذكرَ أنه تقدَّم، ويعني عند الآيةِ (٦٨) من السورة، قال: يجثو: إذا بركَ على ركبتيه، وهي هيئةُ الخاضعِ الذليل.

٧٣- {وَأَحْسَنُ نَدِيًّا}.

وهو مجتمعُ الرجالِ للحديث، أي: ناديهم أعمرُ وأكثرُ وارداً وطارقاً. (ابن كثير).

٧٥- {فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا}.

... فسيَعلَمون عند ذلك مَن هو شرٌّ مكانةً ومنزلة، وأقلُّ أنصارًا وأعوانًا، المؤمنون أم الكافرون؟ (الواضح في التفسير).

٧٦- {وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى}.

أي: إيماناً وإيقاناً على يقينهم. (البغوي).

٨٢- {كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ}.

قالَ في مثلها، في الآيةِ (٧٩) من السورة: {كَلَّا} حرفُ ردعٍ وزجرٍ عن مضمونِ كلامٍ سابقٍ من متكلِّمٍ واحد، أو من كلامٍ يُحكَى عن متكلِّمٍ آخر، أو مسموعٍ منه، كقولهِ تعالى: {قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ . قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ}: [سورة لشعراء ٦١، ٦٢]، والأكثرُ أن تكونَ عقبَ آخرِ الكلامِ المبطَلِ بها، وقد تُقُدِّمَ على الكلامِ المبطَلِ للاهتمامِ بالإبطالِ وتعجيله، والتشويقِ إلى سماعِ الكلامِ الذي سيردُ بعدها...

٨٥- {يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا}.

الذين اتقوا في الدنيا فخافوا عقابه، فاجتنبوا لذلك معاصيَه، وأدَّوا فرائضَه. (الطبري).

٨٩- {لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا}.

أي: عظيماً، في قولِ الجميع، ومعنى الآية: قلتم قولاً عظيماً. وقيل: الإدّ: العَجَب، والإدَّة: الشدَّة، والمعنى متقارب، والتركيبُ يدورُ على الشدَّةِ والثقل. (فتح القدير). ويقال: {إِدًّا} بكسرِ الهمزة، وفتحها، ومع مدِّها أيضاً، ثلاثُ لغات، أشهرها الأولى. (ابن كثير).

سورة طه

٨- {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى}.

المعبودُ الذي لا تصلحُ العبادةُ إلاّ له. يقول: فإيّاهُ فاعبدوا أيُّها الناس، دونَ ما سواهُ مِن الآلهةِ والأوثان. (الطبري).

١١- {فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَامُوسَى}.

أي: النار، واقتربَ منها. (ابن كثير).

١٦- {فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى}.

{يَصُدَّنَّكَ}: فلا يصرفنَّك. (البغوي).

{وَاتَّبَعَ هَوَاهُ} أي: مُرادَه، وخالفَ أمرَ الله عزَّ وجلّ. (زاد المسير).

١٧- {وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَامُوسَى}.

إشارةٌ إلى اليد. (مفاتح الغيب).

١٩- {قَالَ أَلْقِهَا يَامُوسَى}.

اطرحها، لترى من شأنها ما لم يخطرْ ببالك. والإلقاءُ والنبذُ والطرحُ بمعنى واحد. (روح البيان).

٢٢- {وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى}.

دلالة. (البغوي).

٢٣- {لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى}.

أدلَّتِنا. (الطبري).

٢٤- {**اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى**}.

أي: جاوزَ الحدَّ في العصـــيانِ والتمرد. (البغوي). أي: جاوزَ حدَّ العبوديةِ بدعوى الربوبية... (روح البيان).

٤٠- {**إِذْ تَمْشِـــي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلاَ تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًـــا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِـــنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ**}.

{يَكْفُلُهُ} أي: على امرأةٍ ترضعهُ وتضمُّهُ إليها؛ وذلك أنه كان لا يقبلُ ثديَ امرأة.

{فَلَبِثْتَ}: فمكثت، أي: فخرجتَ من مصرَ فلبثت. (البغوي).

٤٢- {**اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلاَ تَنِيَا فِي ذِكْرِي**}.

المعنى: لا تقصرا عن ذكري بالإحسانِ إليكما، والإنعامِ عليكما. وذكرُ النعمةِ شكرُها. (فتح القدير).

٤٣- {**اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى**}.

تمرَّد في ضلالهِ وغيِّه. (الطبري).

٤٨- {**إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى**}.

أعرضَ عنه. (البغوي).

إذا عدِّيَ بـ (عن) لفظًا أو تقديرًا، اقتضى معنى الإعراض... (روح البيان).

٥٣- {**وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً**}.

{مِنَ السَّـمَاءِ} أي: من الفَلَك، أو من السـحاب، فإن كلَّ ما علا سـحاب، {مَاءً}: المرادُ هنا المطر. (روح البيان، باختصار).

٥٤- {كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُوْلِي النُّهَى}.

{أَنْعَامَكُمْ}: وهي الإبلُ والبقرُ والضأنُ والمعزَى. (روح البيان).

{لآيَاتٍ}: لدلالاتٍ وعلاماتٍ تدلُّ على وحدانيةِ ربِّكم، وأنْ لا إله لكم غيره. (الطبري).

٥٦- {وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى}.

{وَأَبَى} عن قبولها، لعتوِّه. والإباء: شـــدَّةُ الامتناع، فكلُّ إباءٍ امتناع، وليس كلُّ امتناعٍ إباء. (روح البيان).

٦١- {وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى}.

أي: خسرَ وهلك. (فتح القدير).

٦٦- {فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى}.

العِصيّ: جمعُ عصا.

السعي: المشيُ السريع، وهو دونَ العَدْو. (روح البيان).

٦٩- {وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ}.

{يَمِينِكَ}: اليمينُ أصلهُ الجارحة. (مفردات الراغب). أي: يدِكَ اليمنى.

قالَ ابنُ حيان الأندلسـي في تفسـيره: لم يأتِ التركيب: "وألقِ عصـاك"؛ لما في لفظِ "اليمينِ" من معنى اليُمنِ والبركة. (البحر المحيط).

{إِنَّمَا صَـنَعُوا كَيْدُ سَـاحِرٍ}: إن الذي صـنعَهُ هؤلاء السـحرةُ كيدٌ مِن سـاحر. (الطبري). والكيد: ضـربٌ من الاحتيال، يكونُ محمودًا أو مذمومًا، وإن كان يستعملُ في المذمومِ أكثر، وكذلك الاستدراجُ والمكر. (روح البيان).

٧١- {قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ}.

أي: أنتم إنما أخذتم السحرَ عن موسى، واتفقتم أنتم وإيّاهُ عليَّ وعلى رعيتي لتظهروه، كما قالَ تعالى في الآيةِ الأخرى: {إِنَّ هَـٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ } [سورة الأعراف: ١٢٣]. (ابن كثير).

٧٣- {**إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ**}.

إنّا أقررنا بتوحيدِ ربّنا، وصدَّقنا بوعدهِ ووعيده، وأنَّ ما جاءَ به موسى حقّ، {لِيَغْفِرَ لَنا خَطايانا} يقول: ليعفوَ لنا عن ذنوبنا فيسترها علينا. (الطبري).

٧٤- {**إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ**}.

أي: يلقَى اللهَ يومَ القيامة. (ابن كثير).

٧٥- {**وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى**}.

{وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً}: موحِّداً، لا يُشركُ به، {قَدْ عَمِلَ الصَّالِحاتِ}، يقول: قد عملَ ما أمرَهُ به ربُّه، وانتهَى عمّا نهاهُ عنه، {فأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجاتُ العُلَى} يقول: فأولئكَ الذين لهم درجاتُ الجنةِ العُلَى. (الطبري).

٧٦- {**جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى**}.

وهي جنَّاتٌ مُعَدَّةٌ للإقامةِ الدَّائمة فيها، ومِن نعيمِها وجمالِها أنَّها تجري مِن تحتِها الأنهار، ويمكثُ فيها أصحابُها على الدَّوام، فلا رحيلَ عنها، ولا استبدالَ بها. (الواضح).

٧٧- {**وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي**}.

يقولُ تعالى مخبراً أنه أمرَ موسى عليه السلام حين أبى فرعونُ أن يرسلَ معه بني إسرائيل، أن يسريَ بهم في الليل، ويذهبَ بهم من قبضةِ فرعون. (ابن كثير).

٨٠- {**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى**}.

بيَّن معناهما في الآية (٥٧) من سورةِ البقرة، فقالَ ما مختصره: إن المنَّ مادةٌ صمغيةٌ جوية، ينزلُ على شجرِ الباديةِ شبهَ الدقيقِ المبلول، فيه حلاوةٌ إلى الحموضة، ولونهُ إلى الصفرة. وأما السَّلوى فهي اسمُ جنسٍ جمعيّ، واحدتهُ سلواة. وهو طائرٌ بريٌّ لذيذُ اللحم، سهلُ الصيد، كانت تسوقهُ لهم ريحُ الجنوبِ كلَّ مساء، فيمسكونهُ قبضاً. ويسمَّى هذا الطائرُ أيضاً السُّمانَى.

٨١- {**كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ**}.

كُلوا يا بني إسرائيل من شهيّاتِ رزقِنا الذي رزقناكم، وحلالهِ الذي طيّبناهُ لكم. (الطبري).

٨٢- {**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى**}.

{وَآمَنَ} يقول: وأخلصَ لي الألوهة، ولم يشركْ في عبادتهِ إيّايَ غيري. {وَعمِلَ صَالِحاً} يقول: وأدَّى فرائضي التي افترضتها عليه، واجتنبَ معاصيّ. (الطبري).

٨٦- {**فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا**}.

فانصرفَ موسى إلى قومهِ من بني إسرائيل، بعد انقضاءِ الأربعينَ ليلة. (الطبري).

٩٠- {**وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَاقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ**}.

ابتُليتم بالعجل. (البغوي).

٩٤- {**وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي**}.

ولم تحفظْ. (النسفي).

١٠٦- {**فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا**}.

أي: فيدَعُ أماكنَ الجبالِ من الأرض. (البغوي).

١١١- {وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا}.

{خَابَ}: خسر. (البغوي).

{حَمَلَ}: المرادُ به: من وافَى بالظلمِ ولم يتبْ عنه. (مفاتيح الغيب).

١١٢- {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا}.

ومَن يعملْ مِن صالحاتِ الأعمال، وذلكَ فيما قيل: أداءُ فرائضِ اللهِ التي فرضَها على عباده، {وَهُوَ مُؤْمِنٌ} يقول: وهو مصدِّقٌ بالله، وأنهُ مُجازٍ أهلَ طاعته، وأهلَ معاصيهِ على معاصيهم.. (الطبري).

١١٦- {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى}.

واذكرْ قولَنا للملائكةِ – بعدَ أن سوَّينا خِلقَةَ آدمَ ونفَخنا فيه مِن روحِنا –: اسجُدوا لآدم، سجدةَ تشريفٍ وتكريم، فسجدوا جميعًا، إلاّ إبليس، استكبرَ وامتنعَ من السُّجودِ له. (الواضح).

١١٧- {فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى}.

المعنى: لا تباشرْ أسبابَ الخروجِ فيحصلَ الشقاء، وهو الكدُّ والتعبُ الدنيوي، مثلُ الحرثِ والزرعِ والحصدِ والطحنِ والعجنِ والخَبز، ونحوِ ذلك مما لا يخلو الناسُ عنه في أمرِ تعيُّشِهم، ويؤيدهُ ما بعد الآية.. (روح البيان).

١٢١- {فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ في الأعراف. وهو في الآيةِ (٢٢) من السورةِ المذكورة. وملخصُ تفسيرِهِ له: دلَّتْ هذه الآيةُ على أن بدُوَّ سوآتهما حصلَ عند أوَّلِ إدراكِ طعمِ الشّجرة، دلالةً على سرعةِ ترتُّبِ الأمرِ المحذورِ عند أوَّلِ المخالفة، الذي هو أثرُ الإقدامِ على المعصية، ونبذِ النصيحةِ إلى الاقتداءِ بالغَرور، والاغترارِ بقَسَمه. ولما شعرا بسَوآتهما، عَرفا بعضَ جزئياتها، وهي العورة، وحدثَ في نفوسهما الشعورُ بقبحِ بروزها، فشرعا يخفيانها عن أنظارهما استبشاعاً وكراهية.

والخصفُ حقيقتهُ تقويةُ الطبقةِ من النعلِ بطبقةٍ أخرى لتشتدّ، ويستعملُ مجازاً مرسلاً في مطلقِ التقويةِ للخِرقةِ والثّوب. ومعنى يخصفان: يضعان على عوراتهما الورَقَ بعضَهُ على بعض، كفعلِ الخاصف، وضعا مُلزقاً متمكّناً.

١٢٧- {وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ}.

برسلهِ وكتبه. (الطبري).

١٣٢- {وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى}.

عند تفسيرِهِ الآيةَ الثانيةَ من سورةِ البقرةِ قال: التقوى الشرعيةُ هي امتثالُ الأوامر، واجتنابُ المنهياتِ من الكبائر، وعدمُ الاسترسالِ على الصغائر، ظاهراً وباطناً، أي: اتقاءُ ما جعلَ الله الاقتحامَ فيه موجباً غضبَهُ وعقابه.

١٣٤- {فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ}.

فنتَّبِعَ حجَّتكَ وأدلَّتكَ وما تُنزلهُ عليه مِن أمرِكَ ونهيك. (الطبري).

الجزء السابع عشر

سورة الأنبياء

٤- {وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}.

{وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ} لأقوالهم، {ٱلْعَلِيمُ} بما في ضمائرهم. (النسفي).

٧- {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}.

لم تعلَموا أمرَهم إنسًا كانوا أم ملائكة.. (الطبري، باختصار).

١٤- {قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ}.

{إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ} بآياتِ الله تعالى، مستوجبين للعذاب. وهذا اعترافٌ منهم بالظلم، واستتباعِهِ للعذاب، وندمٌ عليه حين لا ينفعُهم ذلك. (روح المعاني).

٢٥- {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ}.

أنه لا معبودَ في السماواتِ والأرضِ تصلحُ العبادةُ له سواي، {فَاعْبُدُونِ} يقول: فأخلِصوا ليَ العبادة، وأفرِدوا ليَ الألوهة. (الطبري).

٣٨- {وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}.

إنْ كنتُم صادقين فيما تعدونَنا به مِن ذلك؟ (الطبري).

٤١- {وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُون}.

ذكرَ أن تقدَّمَ نظيرها في أوائلِ سورةِ الأنعام (الآية ١٠)، قالَ ما مختصره: يدلُّ على جملةٍ مطويةٍ إيجازاً، تقديرها: واستهزؤوا بكَ، ولقد استهزأَ أممٌ برسلٍ من قبلك. وفعلُ {حَاقَ}

اختلفَ أئمَّةُ اللغةِ في معناه، فقالَ الزجّاج: هو بمعنى أحاط، وتبعَهُ الزمخشري، وفسَّرَهُ الفرّاءُ بمعنى: عادَ عليه. ومعنى الاستهزاءِ مرادفٌ للسخريةِ في كلامِ أئمةِ اللغة. وحالُ المشركين حالُ من يتردَّدُ في أن سببَ هلاكِ الأممِ السالفةِ هو الاستهزاءُ بالرسل. واستهزاؤهم له أفانين.

٤٢- {بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ}.
الذي هو الدلائلُ العقليةُ والنقليةُ ولطائفُ القرآنِ. (التفسير الكبير للفخر).

٤٦- {وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَاوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِين}.
ذكرَ أن (الويل) تقدَّم.. قالَ عند تفسيرِهِ الآيةَ (٧٩) من سورةِ البقرة: الويلُ لفظٌ دالٌّ على الشرِّ أو الهلاك، ولم يُسمَعْ له فعلٌ من لفظه، فلذلك قيل: هو اسمُ مصدر...

٤٩- {الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ}.
{يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ}: يخافونه. (البغوي).
{السَّاعَةِ}: اسمٌ لوقتٍ تقومُ فيه القيامة، سمِّيَ بها لأنها ساعةٌ خفيفةٌ يحدثُ فيها أمرٌ عظيم... (روح البيان).

٥٤- {قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}.
خطأ. (البغوي، روح البيان).

٥٧- {بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ}.
بعد ذهابِكم عنها إلى عيدكم. (النسفي).

٧٤- {إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ}.
خارجينَ عن طاعتهِ وما يَرضَى مِن العمل. (الطبري).

٧٧- {وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا}.
بحججِنا وأدلَّتِنا. (الطبري).

٧٨- {وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ}.
وكنّا لحكمِ داودَ وسليمانَ والقومِ الذينَ حَكَما بينهم فيما أفسدتْ غنمُ أهلِ الغنمِ مِن حَرْثِ أهلِ الحَرْث، شاهدين، لا يخفَى علينا منه شيء، ولا يَغيبُ عنّا علمه. (الطبري).

٧٩- {وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ}.
... التسخير، وهو تذليلُ الشيءِ وجعلهُ طائعًا منقادًا. (روح البيان).

٨٤- {وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ}.
... للمؤمنين، ولا يَعبدُ اللهَ تعالى إلا مؤمن. (ابن عطية).

٨٨- {وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ}.
من بطنِ الحوتِ وتلك الظلمات (ابن كثير). من غمِّ الالتقامِ والبحر. (روح البيان).

٨٩- {وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ}.
دعا ربَّه. (البغوي).

٩١- {وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ}.
{وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا} أي: اذكرْ خبرَ مريمَ التي حفظتْ سوأتها حفظًا كليًّا من الحلالِ والحرام. (روح البيان).
{آيَةً لِلْعَالَمِينَ} أي: دلالةً على أن الله على كلِّ شيءٍ قدير، وأنه يخلقُ ما يشاء، و{إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ} [سورة يس: ٨٢]، وهذا كقوله: {وَلِنَجْعَلَهُ ءَايَةً لِّلنَّاسِ} [سورة مريم: ٢١].

ثم أوردَ سـندَ ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: {لِلْعَـٰـلَمِينَ} قال: الجنُّ والإنس. (ابن كثير).

٩٣- {كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ}.

أي: يومَ القيامة، فيُجازَى كلٌّ بحسبِ عمله، إنْ خيرًا فخير، وإنْ شرًّا فشرّ. (ابن كثير).

٩٧- {وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ}.

يعني يومَ القيامة، إذا حصـلتْ هذه الأهوالُ والزلازلُ والبلابل، أزفتِ السـاعةُ واقتربت، فإذا كانت ووقعت، قالَ الكافرون: هذا يومٌ عَسِر. (ابن كثير).

٩٨- {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ}.

داخلون. (الطبري، ابن كثير).

٩٩- {لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا}.

ما دخلوها. (ابن كثير).

١٠٥- {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ}.

يقولُ تعالى مخبراً عما حتمَهُ وقضاه... (ابن كثير). فالكَتْبُ هنا بمعنى القضاء.

سورة الحج

٤- {كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ}.

أي: اتَّبعَهُ وقلَّده. (ابن كثير).

٥- {إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ}.

في شكّ. (البغوي وغيره).

٦- {**وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**}.

... وأن فاعلَ ذلك على كلِّ ما أرادَ وشاءَ من شيءٍ قادر، لا يمتنعُ عليه شيءٌ أراده. (الطبري).

٩- {**وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ**}.

ونُحرِقهُ يومَ القيامةِ بالنار. (الطبري).

١٤- {**إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**}.

إنَّ اللهَ يُدخِلُ المؤمنين المخلِصين، الذين يُتبِعونَ إيمانَهم بالأعمالِ الحسنة، جنَّاتٍ عاليات، تجري مِن تحتِها الأنهار. (الواضح).

١٧- {**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا**}.

إنَّ المؤمِنين، واليهودَ، والصَّابِئة: وهم قومٌ أهلُ ديانةٍ بالعراق، والنَّصارَى، والمجوس: عبَدَةَ النَّار، والمشركينَ: عَبَدَةَ الأوثان... (الواضح).

١٨- {**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاء**}.

... مَن في السَّماواتِ مِن الملائكة، ومَن في الأرضِ مِن الأناسيّ والجانّ والحيوان، وكذلكَ الشَّمسُ، والقمرُ، والنجومُ الكثيرة، والجبالُ الكبيرة، والشجرُ والنَّبات، وكلُّ مَن دبَّ على الأرض.. (الواضح).

{إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ}: إنَّ اللهَ يفعلُ في خَلقهِ ما يشاء، مِن إهانةِ مَن أرادَ إهانتَه، وإكرامِ مَن أرادَ كرامتَه، [بحُكمهِ العدل]؛ لأنَّ الخَلقَ خَلقه، والأمرَ أمرُه. (الطبري، وما بين المعقوفتين من الواضح في التفسير).

٢٣- **{إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ}**.
والمؤمنون الصَّالحون، الذين صَدَقوا في إيمانِهم، وأحسنوا في أعمالِهم، يُدخِلُهم اللهُ جنّاتٍ عاليات، تجري من تحتِ أشجارِها وقصورِها الأنهار، يُزَيَّنونَ فيها بأساورَ ... (الواضح).

٢٤- **{وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ}**.
ذكرَ عند تفسيرِه آخرَ آيةٍ من سورةِ طه، أن الصراطَ هو الطريق.

٢٥- **{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ}**.
{وَيَصُدُّونَ}: ويمنعون. (الطبري).
{نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ}: الظاهرُ أن الوعيدَ على إرادةِ ذلك مطلقاً، فيفيدُ أن من أرادَ سيئةً في مكةَ ولم يعملها يحاسَبُ على مجردِ الإرادة، وهو قولُ ابنِ مسعود وعكرمة وأبي الحجاج، وقالَ الخفاجي: الوعيدُ على الإرادةِ المقارنةِ للفعل، لا على مجردِ الإرادة، لكنَّ في التعبيرِ بها إشارةً إلى مضاعفةِ السيئاتِ هناك والإرادةِ المصمِّمةِ مما يؤاخذُ عليها أيضاً، وإن قيلَ إنها ليست كبيرة، وقد رُويَ عن مالكٍ كراهةُ المجاورةِ بمكة... (روح المعاني).

٢٨- **{لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ}**.
{أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ}: أشارَ إلى بيانها عند تفسيرِ قولهِ تعالى: {وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ} [سورة البقرة: ٢٠٣]، وفيه أن الأيامَ المعدوداتِ هي أيامُ التشريق، ثم قال: "وهي غيرُ المرادِ من الأيامِ المعلوماتِ التي في قولهِ تعالى: {وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ} في سورةِ الحج.

فالأيامُ المعلوماتُ أيامُ النحرِ الثلاثة، وهي اليومُ العاشـــرُ ويومانِ بعده. والمعدوداتُ أيامُ منى بعد يومِ النحر، فاليومُ العاشــرُ من المعلوماتِ لا من المعدودات، واليومانِ بعدهُ من المعلوماتِ والمعـدودات، واليومُ الرابعُ من المعـدوداتِ فقط". ثم أوردَ أقوالَ العلمـاءِ في ذلـك، منهـا قولُ محمد بن الحسن، أنه لا فرقَ بين الأيامِ المعلوماتِ والمعدودات.

{بَهِيمَةِ}: البهيمةُ اســـمٌ لكلِّ ذاتِ أربعٍ في البحرِ والبرّ، فبُيِّنتْ بالأنعام، وهي الإبلُ والبقرُ والضـــأنُ والمعز؛ لأن الهديَ والذبيحةَ لا يكونان من غيرها. قالَ الراغب: البهيمةُ ما لا نُطقَ له، وذلك لما في صـــوتهِ من الإبهام، لكنْ خُصَّ في التعارفِ بما عدا الســـباعِ والطير... (روح البيان).

٣٠- {ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الأَنْعَامُ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ}.

{فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ} أي: فله على ذلك خيرٌ كثير، وثوابٌ جزيل... (ابن كثير).

{الأَنْعَامُ}: ذكرَ مؤلفُ الأصـلِ في الآيةِ (١٤٢) من سـورةِ الأنعام، أنها الإبلُ والبقرُ والشـاءُ والمعز.

{وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ}: يعني الكذبَ والبهتان، وقالَ ابنُ مسعود: شهادةُ الزور.. (البغوي).

٣٣- {ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ}.

ذكرَ معناهُ عند تفسيرِ الآيةِ (٢٩) من السورةِ نفسِها، قال: العتيق: المحرَّرُ غيرُ المملوكِ للناس. شُبِّهَ بالعبدِ العتيقِ في أنه لا ملكَ لأحدٍ عليه. وفيه تعريضٌ بالمشركين، إذ كانوا يمنعون منه مَن يشـاؤون، حتى جعلوا بابَهُ مرتفعاً بدونِ درج، لئلّا يدخلهُ إلاّ من شـاؤوا، كما جاءَ في حديثِ عائشـةَ أيامَ الفتح. وأخرجَ الترمذي بسـندٍ حسـن، أن رسـولَ الله قال: " إنما سمَّى اللهُ البيتَ العتيق؛ لأنه أعتقَهُ من الجبابرة، فلم يظهرْ عليه جبَّارٌ قطّ".

٣٦- {كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}.

ذلَّلناها. (روح البيان).

٤٢- {وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ}.

... فقد خالفَ قومُ نوحٍ نبيَّهم وكذَّبوهُ على مدَى قرون. وهكذا كانَ موقفُ عادٍ مِن نبيِّهم هُود، وموقفُ ثمودَ مِن صالح، عليهما السَّلام. (الواضح).

٤٣- {وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ}.

وقومُ لوطٍ أصرُّوا على فاحشةِ اللِّواطِ وكذَّبوا نبيَّهم كذلك. (الواضح).

٤٨- {وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا}.

قالَ عند تفسيرِ الآيةِ (٤٥) من السورةِ {فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ}: {كَأَيِّن} اسمٌ دالٌّ على الإخبارِ عن عددٍ كثير، وموضعها من الجملةِ محلٌّ رفعٍ بالابتداء، وما بعدهُ خبر، والتقدير: كثيرٌ من القرى أهلكناها.

٥٠- {فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}.

أي: آمنتْ قلوبهم، وصدَّقوا إيمانهم بأعمالهم. (ابن كثير).

٥١- {وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ}.

وهي النارُ الحارَّةُ الموجعةُ، الشديدُ عذابُها ونكالُها. أجارنا اللهُ منها. (ابن كثير).

٥٢- {وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}.

{وَاللَّهُ عَلِيمٌ} أي: بما يكونُ مِن الأمورِ والحوادث، لا تخفَى عليه خافية، {حَكِيمٌ} أي: في تقديرِهِ وخَلقهِ وأمره، له الحكمةُ التامَّةُ والحجَّةُ البالغة. (ابن كثير).

٥٤- {وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}.

هو النظرُ الصحيحُ الموصلُ الى الحقِّ الصريح. (روح البيان).

٥٦- {فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ}.
مستقرون فيها... قالَ الراغب: النعيم: النعمةُ الكثيرة. (روح البيان).

٥٧- {وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا}.
وكذَّبوا بآياتِ كتابهِ وتنزيله، وقالوا: ليسَ ذلكَ مِن عندِ الله، إنما هو إفكٌ افتراهُ محمَّدٌ وأعانَهُ عليه قومٌ آخرون. (الطبري).

٥٨- {وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا}.
يخبرُ تعالى عمَّن خرجَ مهاجراً في سبيلِ الله ابتغاءَ مرضاته، وطلباً لما عنده، وتركَ الأوطانَ والأهلين والخلّان، وفارقَ بلادَهُ في الله ورسوله، ونصرةً لدينِ الله، ثم قُتلوا، أي في الجهاد، أو ماتوا، أي حتفَ أنفهم، أي من غيرِ قتالٍ على فُرشهم... (ابن كثير).

٥٩- {لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ}.
أي: الجنة. (ابن كثير).

٦٣- {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً}.
{أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ} أي: من جهةِ العلوّ. (روح المعاني)، {مَاءً}: مطرًا. (الطبري).

٦٥- {وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ}.
السفن. (الخازن).

٦٩- {اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}.
واللهُ يقضي بينكم يومَ القيامة... (الطبري).

٧٧- {لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}.

تسعدوا وتفوزوا بالجنة. (البغوي).

٧٨- {فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ}.

أي: قابلوا هذه النعمةَ العظيمةَ بالقيامِ بشكرها، وأدُّوا حقَّ اللهِ عليكم في أداءِ ما افترض، وطاعةِ ما أوجب، وتركِ ما حرَّم. ومِن أهمِّ ذلكَ إقامُ الصلاة، وإيتاءُ الزكاة، وهو الإحسانُ إلى خَلقِ الله، بما أوجبَ للفقيرِ على الغنيّ، مِن إخراجِ جزءٍ نزرٍ مِن مالهِ في السَّنةِ للضعفاءِ والمحاويج... (ابن كثير).

الجزء الثامن عشر

سورة المؤمنون

٦- {إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ}.

المرادُ بذلك الإماء. (فتح القدير وغيره).

٢١- {وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً}.

قال: تقدَّمَ أنها الإبل، في غالبِ عرفِ العرب. اهـ. وذكرَ عند تفسيرِ الآيةِ (١٤٢) من سورةِ الأنعام، أنها الإبلُ والبقرُ والشاءُ والمعز.

٢٢- {وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ}.

السفن. (ابن عطية).

٢٧- {فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ}.

ذكرَ أن نظيرَهُ تقدَّمَ في سورةِ هود:

{بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا}: (الآية ٣٧) قالَ ما مختصره: الأعينُ استعارةٌ للمراقبةِ والملاحظة، والمرادُ الكنايةُ بالمعنى المجازيّ عن لازمه، وهو الحفظُ من الخللِ والخطأ في الصنع. والمرادُ بالوحي هنا الوحيُ الذي به وصفُ كيفيةِ صنعِ الفُلك (السفينة).

{فَإِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ}: (الآية ٤٠) قالَ هناك مختصرًا: (الأمرُ) هنا يحتملُ أمرَ التكوينِ بالطوفان، ويحتملُ الشَّأن، وهو حادثُ الغرق، وإضافتهُ إلى اسمِ الجلالةِ لتهويلهِ بأنه فوق ما يعرفون. ومَجيءُ الأمرِ حصوله. والفورانُ غليانُ القِدر، ويطلقُ على نبعِ الماءِ بشدَّة، تشبيهاً بفورانِ ماءٍ في القِدْرِ إذا غلي. والتنورُ هو الموقدُ الذي ينضجُ فيه الخبز، فكثرتِ

الأقوالُ في تفسيرِ التنور، بلغت نسبةُ أقوالٍ منها ما لا ينبغي قبوله... والذي يظهر لي أن قوله {وَفَارَ التَّنُّورُ} مثَلٌ لبلوغِ الشيءِ إلى أقصَى ما يتحمَّلُ مثله، كما يقال: بلغَ السيلُ الزُّبَى، وامتلأَ الصاع، وفاضتِ الكأس. والتنورُ محفلُ الوادي، أي: ضفَّته، فيكونُ مثلَ طَما الوادي، من قبيلِ بلغَ السيلُ الزُّبَى. والمعنى بأن نفاذَ أمرنا فيهم وبلغوا من طولِ مدةِ الكفرِ مبلغاً لا يغتفرُ لهم بعدُ. {وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ}: أهلُ الرجلُ قرابتهُ وأهلُ بيته. وزوجهُ أولُ من يبادَرُ من اللفظ. و{مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ} أي: من مضَى قولُ الله عليه، أي: وعيده. فالتعريفُ في {الْقَوْلُ} للعهد، يعني: إلّا من كان من أهلِكَ كافراً.

{وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ} (تابع للآيةِ ٣٧ من سورةِ هود)، قالَ باختصار: دلَّ النهيُ في قوله: {وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ} على أن كفارَ قومهِ سينزلُ بهم عقابٌ عظيم. ولعلَّ هذا توطئةٌ لنهيهِ عن مخاطبتهِ في شأنِ ابنهِ الكافرِ قبلَ أن يخطرَ ببالِ نوحٍ عليه السلامُ سؤالُ نجاته، حتى يكونَ الردُّ عليه حين السؤالِ ألطَف. وجملةُ {إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ} إخبارٌ بما سيقع، وبيانٌ لسببِ الأمرِ بصنعِ الفُلك.

٢٩- **{وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ}**.

{مُبَارَكًا}: البركةُ في السفينة: النجاة، وفي النزولِ بعد الخروج: كثرةُ النسلِ من أولادهِ الثلاثة. (البغوي).

٣٢- **{فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ}**.

أشارَ إلى نظيرها في الآيةِ (٢٣) من السورة: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُون}. ومما قالَهُ هناك: المعنى: اعبدوا الله الذي تركتم عبادته، وهو إلهكم دونَ غيره، فلا يستحقُّ غيرهُ العبادة، فلا تعبدوا أصنامكم معه... وفرّعَ على الأمرِ بإفرادهِ بالعبادة، استفهامُ إنكارٍ على عدمِ اتّقائهم عذابَ الله تعالى.

٣٣- **{وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا}**.

قالَ في نظيرها، في الآيةِ (٢٤) من السورة، وهي عن قومِ نوح: وصفُ الملأِ بأنهم الذين كفروا، للإيماءِ إلى أن كفرَهم هو الذي أنطقهم بهذا الردِّ على نوح، وهو تعريضٌ بأن مثلَ ذلك الردِّ لا نهوضَ له، ولكنهم روَّجوا به كفرَهم خشيةً على زوالِ سيادتهم. وقوله {مِنْ قَوْمِهِ} صفةٌ ثانية.

٣٤- {وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ}.

يقولُ تعالى ذكرهُ مُخبرًا عن قيلِ الملأ من قومِ صالحٍ لقومهم: {وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ} فاتَّبعتُموهُ وقبلتُم ما يقولُ وصدَّقتموه، إنَّكم أيها القومُ إذًا لمغبونونَ حظوظَكم مِن الشرفِ والرفعةِ في الدنيا باتِّباعكم إيّاه. (الطبري).

٤٤- {فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ}.

قالَ في الآيةِ (٤١) من السورة: فُرِّعَ على حكايةِ تكذيبهم دعاءٌ عليهم وعلى أمثالهم دعاءَ شتمٍ وتحقير، بأن يَبْعَدوا تحقيراً لهم وكراهية، وليس مستعملاً في حقيقةِ الدعاء؛ لأن هؤلاء قد بعدوا بالهلاك. وانتصب (بُعداً) على المفعوليةِ المطلقةِ بدلاً من فعله..

وقالَ الشيخ إسماعيل حقي: في أكثرِ التفاسير: بعدوا بعدًا، أي: هلكوا. (روح البيان).

٥٠- {وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً}.

أي: حجَّةً قاطعةً على قدرتهِ على ما يشاء، فإنهُ خلقَ آدمَ مِن غيرِ أبٍ ولا أمّ، وخلقَ حوّاءَ مِن ذكرٍ بلا أُنثَى، وخلقَ عيسَى مِن أُنثَى بلا ذكر، وخلقَ بقيَّةَ الناسِ مِن ذكرٍ وأُنثَى. (ابن كثير).

٥٦- {نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَا يَشْعُرُونَ}.

ذكرَ أنه جمعُ خير، وأشارَ إلى تقدُّمهِ في سورةِ التوبة {لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (الآية ٨٨)، وانتهى إلى أن المقصودَ منافعُ الدنيا والآخرة. وفي الآيةِ (٩٠) من سورةِ الأنبياء {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا}، قالَ هناك: الخيرُ ضدُّ الشرّ، فهو ما فيه نفع. اهـ.

وقالَ البيضاوي في تفسيره: ... فيما فيه خيرُهم وإكرامُهم.

٥٧- {إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُون}.
أي: من خوفِ عذابهِ حذرون. والخشيةُ خوفٌ يشوبهُ تعظيم.. (روح البيان).

٥٩- {وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ}.
أي: لا يعبدونَ معهُ غيره، بل يوحِّدونَهُ ويعلمونَ أنه لا إلهَ إلا اللهُ أحدًا صمدًا، لم يتَّخذْ صاحبةً ولا ولدًا، وأنه لا نظيرَ له ولا كُفءَ له. (ابن كثير).

٦١- {أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ}.
هؤلاء الذين هذه الصفاتُ صفاتُهم، يبادرون في الأعمالِ الصالحة، ويطلبون الزلفةَ عند اللهِ بطاعته. (الطبري).

٦٣- {بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا}.
أي: في غفلةٍ وضلالة. (ابن كثير).

٦٥- {لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ}.
قالَ في معنى الجؤارِ عند تفسيرِ الآيةِ السابقة: يصرخون، ومصدرهُ الجأر. والاسم: الجُؤَار، بضمِّ الجيم، وهو كنايةٌ عن شدَّةِ ألمِ العذاب، بحيثُ لا يستطيعون صبراً عليه، فيصدرُ منهم صراخُ التأوُّهِ والويلِ والثبور.

٧٢- {أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ}.
فأجرُ ربِّكَ على نفاذِكَ لأمرهِ وابتغاءِ مرضاته، خيرٌ لك من ذلك، ولم يسألهم صلى الله عليه وسلم على ما أتاهم به من عند الله أجراً... واللهُ خيرُ مَن أعطَى عوضًا على عملٍ ورزقَ رزقًا. (الطبري، باختصار).

٨٤- {قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُون}.
المرادُ بمن في الأرضِ الخلقُ جميعاً، وعبَّرَ عنهم بـ(مَن) تغليباً للعقلاء. (فتح القدير، وغيره).

٨٦- {قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ}
قُلْ لهم أيضًا: مَن هو خالقُ السَّماواتِ السَّبع، وما فيها مِن النُّجومِ والكواكب، ومِن الملائكةِ الخاضعين لأمرِه؟ ومَن هو ربُّ العرشِ العظيم، المرتفعِ على السَّماواتِ كلِّها؟ (الواضح).

١٠٠- {لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ}.
... أقولُ لا إله إلا الله، وأعملُ بطاعته، فيدخلُ فيه الأعمالُ البدنيةُ والمالية. (الخازن).

١٠٢- {فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}.
أي: الذين فازوا، فنجَوا من النار، وأُدخلوا الجنة. (ابن كثير).

١٠٥- {أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ}.
{فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ} وتزعمون أنها ليستْ من الله تعالى؟ (النسفي).

١٠٩- {إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ}.
لقد كانَ جماعةٌ مِن عباديَ المؤمنين يوحِّدونَني، ويدعونَني لأَغفِرَ لهم، وأرحمَهم، واللهُ خيرُ مَن رَحِمَ وعفا. (الواضح).

١١١- {إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ}.
أي: جزيتُهم بصبرهم الفوزَ بالجنة. (الخازن).

١١٢- {قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِين}.

أي: كم كانت إقامتُكم في الدنيا؟ (ابن كثير). يقال: لبثَ بالمكان: أقامَ به ملازمًا له. (روح البيان). {فِي ٱلأَرْضِ} أي: في الدنيا وفي القبور. (البغوي).

١١٦- {فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ}.

لا معبودَ تنبغي له العبودةُ إلا اللهُ المَلِك الحقّ. (الطبري).

١١٧- {إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُون}.

لا نجاة. (ابن كثير). لا يسعد. (البغوي).

١١٨- {وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ}

... خيرُ مَن رَحِمَ ذا ذَنب، فقبلَ توبتَهُ، ولم يعاقبْهُ على ذنبه. (الطبري).

سورة النور

٤- {وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}.

وأولئكَ هم الذين خالفوا أمرَ اللهِ وخرجوا مِن طاعتهِ ففسقوا عنها. (الطبري).

١٢- {وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِين}.

كذب. (ابن كثير، فتح القدير).

١٨- {وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}.

والله عليمٌ بكم وبأفعالكم، لا يخفَى عليه شيء، وهو مجازٍ المحسنَ منكم بإحسانه، والمسيءَ بإساءته، حكيمٌ في تدبيرِ خَلقه، وتكليفهِ ما كلَّفهم من الأعمال، وفرضَهُ ما فرضَ عليهم من الأفعال. (الطبري).

١٩- {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ}.

{الَّذِينَ آمَنُوا}: المرادُ بالذين آمنوا جميعُ المؤمنين. (الخازن)، فحبُّهم شياعَ الفاحشةِ في المؤمنين متمكنٌ على وجهه؛ لعداوتهم في أهلِ الإيمان. (ابن عطية)، {لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي ٱلدُّنْيَا} بإقامةِ الحدِّ عليهم، {وَٱلآخِرَةِ} بعذابِ النار (فتح القدير).

٢١- {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا}.

... ما طهَّرَ أحدٌ منكم نفسَهُ من دنسِها ما دامَ حيًّا. (فتح القدير).

٢٣- {إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ}.

من قولهِ في نظيرها في الآيةِ الرابعةِ من السورة: الرميُ حقيقتهُ قذفُ شيءٍ من اليد. وشاعَ استعمالهُ في نسبةِ فعلٍ أو وصفٍ إلى شخص. والمحصناتُ هنَّ المتزوجاتُ من الحرائر. والمحصَنُ اسمُ مفعولٍ من أحصنَ الشيءَ إذا منعَهُ من الإضاعةِ واستيلاءِ الغيرِ عليه، فالزوجُ يحصنُ امرأته، أي: يمنعُها من الإهمالِ واعتداءِ الرجال. ولا يطلقُ وصفُ (المحصَنات) إلا على الحرائرِ المتزوجات، دون الإماء؛ لعدمِ صيانتهنَّ في عرفِ الناسِ قبل الإسلام.

٢٦- {أُوْلَئِكَ مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ}.

منزَّهون. (البغوي).

٣٠- {ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ}.

قالَ في نظيرها، في الآيةِ (٢٨) من السورة: أفضلُ وخيرٌ لكم...

وقالَ الإمامُ الطبري هنا: أطهرُ لهم عند الله وأفضل.

٣١- {وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ}.

قالَ عند تفسيرِ الآيةِ السابقة: مادةُ الغضِّ تفيدُ معنى الخفضِ والنقص. والأمرُ بحفظِ الفروجِ عقبَ الأمرِ بالغضِّ من الأبصارِ لأن النظرَ رائدُ الزنى، فلما كان ذريعةً له قصدَ المتذرِّعُ إليه بالحفظِ تنبيهاً على المبالغةِ في غضِّ الأبصارِ في محاسنِ النساء. فالمرادُ بحفظِ الفروجِ حفظها من أن تباشرَ غيرَ ما أباحَهُ الدين.

٣٣- {وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمْ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ}.

العفَّةُ عن الحرامِ والزنا. (البغوي). والعفَّة: حصولُ حالةٍ للنفسِ تمتنعُ بها عن غلبةِ الشهوة. والمتعفَّف: المتعاطي لذلك بضربٍ من الممارسةِ والقهر. والاستعفاف: طلبُ العفَّة. والمعنى: ليجتهدْ في العفَّةِ وقمعِ الشهوة. (روح البيان).

٣٥- {يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ}.

أي: قبلَ أن تصيبَهُ النار. (البغوي).

٣٧- {رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ}.

{عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ}: عن حضورِ المساجدِ لإقامةِ الصلاة، {وَإِقَامِ} أي: لإقامةِ {ٱلصَّلَاةِ}، حذفَ الهاءَ وأرادَ أداءها في وقتها؛ لأن من أخَّرَ الصلاةَ عن وقتها لا يكونُ من مقيمي الصلاة، وأعادَ ذكرَ إقامةِ الصلاةِ مع أن المرادَ من ذكرِ الله الصلواتِ الخمسَ؛ لأنه أرادَ بإقامةِ الصلاةِ حفظَ المواقيت. {وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَـوٰةِ} المفروضة، قالَ ابنُ عباس رضيَ الله عنه: إذا حضرَ وقتُ أداءِ الزكاةِ لم يحبسوها. وقيل: هي الأعمالُ الصالحة. (البغوي، باختصار).

وقالَ ابنُ كثير: أي يقدِّمون طاعتَهُ ومرادَهُ ومحبتَهُ على مرادهم ومحبتِهم، قالَ هشيم: عن سيّار قال: حُدِّثتُ عن ابنِ مسعود، أنه رأى قوماً من أهلِ السوقِ حيثُ نوديَ للصلاةِ المكتوبة،

تركوا بياعاتهم ونهضوا إلى الصلاة، فقالَ عبد الله بنُ مسعود: هؤلاء من الذين ذكرَ الله في كتابه: {رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ}.

٤٠- {يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا}.

{سَحَابٌ}: ذكرَ أن السحابَ تقدَّمَ في سورةِ الرعد (الآية ١٢). وفيه حديثٌ عن تكوينه. والسحابُ هو الغيم.

{إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا} أي: لم يقاربْ رؤيتها من شدَّةِ الظلام، فهذا مثلُ قلبِ الكافرِ الجاهلِ البسيطِ المقلِّدِ الذي لا يعرفُ حالَ من يقوده، ولا يدري أين يذهب، بل كما يقالُ في المثلِ للجاهلِ أين تذهب؟ قال: معهم، قيل: فإلى أين يذهبون؟ قال: لا أدري! (ابن كثير).

٤١- {كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ}.

كلُّ مصلٍّ ومسبِّحٍ علمَ الله صلاتَهُ وتسبيحه. وقيل: معناه: كلُّ مصلٍّ ومسبِّحٍ منهم قد علمَ صلاةَ نفسهِ وتسبيحَهُ. (البغوي).

٤٢- {وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ}.

وإليه المصيرُ لا إلى غيره، والمصير: الرجوعُ بعد الموت. (فتح القدير)... وتذكيرهُ بأمرِ المصيرِ إليه والحشرِ يقوّي أمرَ التخويفِ من الله تعالى. (ابن عطية).

٤٣- {فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ}.

{وَيَصْرِفُهُ عَمَّنْ يَشَآءُ} فلا يضرُّه. (البغوي).

٤٤- {يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ}.

... ممَّن له فهمٌ وعقل. (الطبري).

٤٥- {يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.

يُحدِثُ اللهُ ما يشاءُ مِن الخَلق، إنَّ اللهَ على إحداثِ ذلكَ وخَلقهِ وخَلقِ ما يشاءُ مِن الأشياءِ غيره، ذو قدرة، لا يتعذَّرُ عليه شيءٌ أراد. (الطبري).

٥١- {وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}.

أي: الفائزون بكلِّ مطلوب، والناجون مِن كلِّ محذور. (روح المعاني).

٥٣- {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لاَّ تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُون}.

{أَيْمَانِهِمْ}: اليمين: الحلف. (البغوي). واليمينُ في الحلفِ مستعارٌ من اليد، اعتبارًا بما يفعلهُ المعاهدُ والمحالفُ وغيره. (المفردات للراغب).

{إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُون} أي: هو خبيرٌ بكم وبمن يُطيعُ ممَّن يعصي، فالحلفُ وإظهارُ الطاعةِ - والباطنُ بخلافهِ - وإنْ راجَ على المخلوق، فالخالقُ تعالَى يعلمُ السرَّ وأخفَى، لا يروَّجُ عليه شيءٌ مِن التدليس، بل هو خبيرٌ بضمائرِ عباده، وإنْ أظهروا خلافَها. (ابن كثير).

٥٤- {فَإِنْ تَوَلَّوْا}.

يعني: أعرَضوا عن طاعةِ الله ورسوله. (الخازن).

٥٦- {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ}.

{وَأَقِيمُوا} أيها الناسُ {الصَّلَاةَ} بحدودها فلا تضيّعوها، {وَآتُوا الزَّكَاةَ} التي فرضها الله عليكم أهلَها. (الطبري).

٥٧- {وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ}.

{وَمَأْوَاهُمُ} في الدارِ الآخرةِ النَّار، وبئسَ المآلُ مآلُ الكافرين، وبئسَ القرار، وبئسَ المهاد. (ابن كثير، باختصار).

٥٨- {لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ}.

الجُناح: الإثم (مفردات الراغب).

٥٩- {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}.

ذكرَ أن القولَ فيه كالقولِ في نظيرِهِ المتقدِّمِ آنفًا (الآيةِ السابقة)، وقد قالَ هناك ما ملخصه: أي: مثلُ ذلك البيانِ الذي طرقَ أسماعَكم يبيِّنُ الله لكم الآيات، فبيانهُ بالغٌ الغايةَ في الكمال، حتى لو أُريدَ تشبيهُهُ لما شُبِّهَ إلا بنفسه. والمرادُ بالآياتِ القرآن، فإن ما يقعُ فيه إجمالٌ منها يبيَّنُ بآياتٍ أخرى. {وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} المعنى: يبيِّنُ الله لكم الآياتِ بياناً كاملاً، وهو عليم، حكيم، فبيانهُ بالغٌ غايةَ الكمالِ لا محالة.

٦١- {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}.

{جُنَاحٌ}: الجُناح: الإثم (مفردات الراغب).

{لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} أي: لكي تفقهوا ما في تضاعيفها من الشرائعِ والأحكامِ والآداب، وتعملون بموجبها، وتفوزون بذلك بسعادةِ الدارين. (روح البيان).

٦٢- {وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيم}.

إنَّ اللهَ غفورٌ لذنوبِ عبادهِ التائبين، رحيمٌ بهم أنْ يعاقبَهم عليها بعد توبتِهم منها. (الطبري).

٦٤- {قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}.

{قَدْ يَعْلَمُ}: ذكرَ عند تفسيرِ الآيةِ السابقة، أن "دخولَ (قد) على المضارعِ يأتي للتكثيرِ كثيراً؛ لأن (قد) فيه بمنزلةِ (رُبَّ) تستعملُ في التكثير.."اهـ.

{وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}: واللهُ ذو علمٍ بكلِّ شيءٍ عملتموهُ أنتم وهم وغيركم، وغيرِ ذلكَ مِن الأمور، لا يخفَى عليه شيء، بل هو محيطٌ بذلكَ كله، وهو مُوفٍ كلَّ عاملٍ منكم أجرَ عملهِ يومَ تُرجَعونَ إليه. (الطبري).

سورة الفرقان

٧- {فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا}.

داعيًا. (البغوي). معينًا له في الإنذار، معلومًا صدقهُ بتصديقه. (روح البيان). يكونُ له شاهداً على صدقِ ما يدَّعيه. (ابن كثير).

٨- {أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا}.

بستان. (البغوي).

١٠- {تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ}.

{تَبَارَكَ}: تقدَّس.

{جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ}: بساتينَ تجري في أصولِ أشجارِها الأنهار (الطبري).

١٥- {قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ}.

... أم بستانُ الخُلد الذي يدومُ نعيمهُ ولا يَبيد، الذي وعدَ مَن اتَّقاهُ في الدنيا بطاعتهِ فيما أمرَهُ ونهاه؟ (الطبري).

٢٠- {وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ}.

ابتلاءٌ ومحنة... (روح البيان).

الجزء التاسع عشر

٢١- {لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا}.

بالغًا إلى أقصى غاياته، من حيثُ عاينوا المعجزاتِ القاهرةَ وأعرضوا عنها، واقترحوا لأنفسهم الخبيثةِ معاينةَ الملائكةِ الطيبةِ ورؤيةَ الله تعالى... (روح البيان).

٢٦- {الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا}.

إيرادهُ تعالى بعنوانِ الرحمانية، للإيذانِ بأن اتصافَهُ عزَّ وجلَّ بغايةِ الرحمةِ لا يهوّنُ الخطبَ على الكفرةِ المشارِ إليه بقولهِ تعالى: {وَكَانَ يَوْماً عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ عَسِيراً}، أي: وكان ذلك اليومُ مع كونِ الملكِ فيه لله تعالى المبالَغِ في الرحمةِ بعباده، شديداً على الكافرين. (روح المعاني).

٢٨- {يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا}.

الخليل: الصديق، من الخُلَّة، وهي المودَّة؛ لأنها تتخلَّلُ النفس، أي: تتوسَّطُها. (روح البيان).

٣١- {وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا}

وكفاكَ يا محمَّدُ بربّكَ هاديًا يَهديكَ إلى الحقّ، ويُبصِّركَ الرشد، وناصرًا لكَ على أعدائك. يقول: فلا يهولنَّكَ أعداؤكَ مِن المشركين، فإني ناصرُكَ عليهم، فاصبرْ لأمري، وامضِ لتبليغِ رسالتي إليهم. (الطبري).

٣٤- {الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ معناهُ في سورةِ الإسراء (الآية ٩٧): {وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ}، قالَ هناك: الحشر: جمعُ الناسِ من مواضعَ متفرقةٍ إلى مكانٍ واحد. ولما كان ذلك يستدعي مشيهم عُدِّيَ الحشرُ بحرفِ (على) لتضمينهِ معنى يمشون. وقد فهمَ الناسُ ذلك من الآيةِ فسألوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم: كيف يمشون على وجوههم؟ فقال: "إنَّ الذي أمشَاهم على أقدامِهم قادرٌ على أن يُمشيَهم على وجوهِهم" [رواه الترمذي وحسَّنه]. والمقصودُ من

ذلك الجمعُ بين التشـويهِ والتعذيب؛ لأن الوجهَ أرقُّ تحمُّلاً لصـلابةِ الأرضِ من الرِّجل. وهذا جزاءٌ مناسـبٌ للجُرم؛ لأنهم روَّجوا الضـلالةَ في صـورةِ الحق، ووسموا الحقَّ بسـماتِ الضـلال، فكان جزاؤهم أن حُوِّلتْ وجوهُهم أعضاءَ مشي عِوضاً عن الأرجل.

٣٧- {**وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا**}.

{وَأَعْتَدْنَا}: ذكرَ عند تفسـيرِ الآيةِ (٣٧) من سـورةِ النسـاء، أن أصـلَ {أَعْتَدْنَا}: أعدَدْنا، أُبدِلَتِ الدالُ الأولى تاءً لثقلِ الدالين عند فكِّ الإدغامِ باتّصـالِ ضـميرِ الرفع، وهكذا مادَّةُ (أعدَّ) في كلامِ العرب، إذا أدغموها لم يبدِّلوا الدالَ بالتاء؛ لأنَّ الإدغامَ أخفّ، وإذا أظهروا أبدلوا الدالَ تاء. اهـ.

{أَلِيمًا}: وجيعًا. (روح البيان).

٤٣- {**أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا**}.

حفيظاً، تمنعهُ عن الشركِ والمعاصي وحالهُ هذا؟ (البيضاوي).

٤٤- {**إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا**}.

ذكرَ عند تفسيرِ الآيةِ (١٤٢) من سورةِ الأنعام، أنها الإبلُ والبقرُ والشاءُ والمعز.

٤٩- {**وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا**}.

أشارَ عند تفسيرِ الآيةِ (١٤٢) من سورةِ الأنعام، إلى أنها الإبلُ والبقرُ والشاءُ والمعز.

٥٣- {**وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا**}.

أي: مانعاً من أن يصـلَ أحدُهما إلى الآخر. (ابن كثير). أي: سـتراً ممنوعاً، فلا يَبغيان، ولا يُفسِدُ الملحُ العَذْبَ. (البغوي).

٥٦- {**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا**}.

أي: بشـــيراً للمؤمنين، ونذيراً للكافرين، مبشِّـــرًا بالجنَّةِ لمن أطاعَ الله، ونذيراً بين يدَي عذابٍ شديدٍ لمن خالفَ أمرَ الله. (ابن كثير).

٥٩- {**الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ**}.
ذكرَ أنه تقدَّمَ تفسيرهُ في سورةِ الأعراف (ويعني الآيةَ ٥٤ منها): {إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ}، ومختصرُ تفسيرِهِ لها: إن خلقَ السّماواتِ والأرضِ يكفيهم دليلاً على انفرادِهِ سبحانهُ بالإلهية. وقوله: {فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} تعليمٌ بعظيمِ قدرته، ويحصلُ منه للمشركين زيادةُ شعورٍ بضلالهم في تشريكِ غيرِهِ في الإلهية. وقد اقتضتْ حكمةُ الله تعالى أن يكونَ خلقُ السّماواتِ والأرضِ مدرجاً، وأن لا يكونَ دفعة... وأيًّا ما كان، فالأيامُ مرادٌ بها مقادير، لا الأيامُ التي واحدُها يوم، الذي هو من طلوعِ الشمسِ إلى غروبها، إذ لم تكنْ شمسٌ في بعضِ تلك المدة. والتعمُّقُ في البحثِ في هذا خروجٌ عن غرضِ القرآن.
والاستواءُ له معانٍ متفرّعةٌ عن حقيقته، أشهرها: القصدُ والاعتلاء، وقد التُزِمَ هذا اللَّفظُ في القرآنِ مسنداً إلى ضميرِ الجلالةِ عند الإخبارِ عن أحوالٍ سماوية، كما في هذه الآية. ونظائرُها سبعُ آياتٍ من القرآن...

٦١- {**وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا**}.
أي: ينيرُ الأرضَ إذا طلع. (فتح القدير).

٦٤- {**وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا**}.
البيتوتةُ هي أن يدركَكَ الليل، نمتَ أو لم تنم. قالَ الزجّاج: من أدركَهُ الليلُ فقد بات، نامَ أو لم ينم، كما يقال: باتَ فلانٌ قلقاً. (فتح القدير).

٦٨- {**وَلَا يَزْنُونَ**}.

{وَلاَ يَزْنُونَ} فيأتون ما حرَّمَ الله عليهم إتيانَهُ من الفروج. (الطبري). {إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً} [سورة الإسراء: ٣٢].

٧١- {وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا}.

{وَمَنْ تابَ}: يقول: ومن تابَ من المشركين، فآمنَ بالله ورسوله، {وعَمِلَ صَالِحاً} يقول: وعملَ بما أمرَهُ اللهُ فأطاعَه. (الطبري).

٧٥- {وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا}.

ذكرَ أن {وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ} تقدَّمَ في سورةِ يونس (الآية ١٠)، قالَ هناك: أخبرَ عن تحيتهم بأنها (سلام)، أي: لفظُ (سلام)، إخباراً عن الجنسِ بفردٍ من أفراده، أي: جعلَ الله لهم لفظَ (السلامِ) تحيةً لهم. والظاهرُ أن التحيةَ بينهم هي كلمةُ (سلام)، وأنها محكيةٌ هنا بلفظها دونَ لفظِ (السلامُ عليكم) أو (سلامٌ عليكم)؛ لأنه لو أُريدَ ذلك لقيل: "وتحيتهم فيها السلام" بالتعريف، ليتبادرَ من التعريفِ أنه السلامُ المعروفُ في الإسلام، وهو كلمة: السلامُ عليكم...

٧٦- {خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً}.

قال: هو ضدُّ ما قيلَ في المشركين: {إِنَّهَا سَاءتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا} (الآية ٦٦)، ومما قالَهُ هناك: الاستقرار: قوةُ القرار، والمقام: اسمُ مكانِ الإقامة. اهـ.

وتفسيرُ الآية: يُقيمون في الجنَّةِ على الدَّوام، لا يموتون فيها ولا يخرجون منها، وما أحسنَها وأجملَها موضِعًا، وما أطيبَها مَنزِلاً ومُقامًا. (الواضح).

سورة الشعراء

٨- {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً}.

دلالة. (البغوي).

١٨- {وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِين}.
وذلك مكثه.. (الطبري).

٣٤- {قَالَ لِلْمَلإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيم}.
قالَ المؤلفُ في الآيةِ (١٠٩) من سورةِ الأعراف: {قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ}، مختصرًا: ملأُ قومِ فرعونَ هم سادتهم، وهم أهلُ مجلسِ فرعونَ ومشورته. وإنما قالوا هذا الكلامَ على وجهِ الشورى مع فرعونَ واستنباطِ الاعتذارِ لأنفسهم عن قيامِ حجةِ موسى في وجوههم، فاعتلُّوا لأنفسهم بعضهم لبعضٍ بأن موسى إنما هو ساحرٌ عليمٌ بالسحر، أظهرَ لهم ما لا عهدَ لهم بمثلهِ من أعمالِ السحرة، وهذا القولُ قد أعربَ عن رأي جميعِ أهلِ مجلسِ فرعون، ففرعونُ كان مشاركاً لهم في هذا؛ لأن القرآنَ حكى عن فرعونَ في غيرِ هذه السورةِ أنه قالَ للملأِ حوله: {إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيم}، وهذه المعذرةُ قد انتحلوها وتواطؤوا عليها، تبعوا فيها ملكهم أو تبعهم فيها، فكلُّ واحدٍ من أهلِ ذلك المجلسِ قد وطَّنَ نفسَهُ على هذا الاعتذار.

٣٥- {يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُون}.
قالَ في الآيةِ (١١٠) من سورةِ الأعراف {يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ}: يعنون أنه ما أظهرَ إخراجَ بني إسرائيل إلا ذريعةً لإخراجِ كلِّ من يؤمنُ به، ليتخذهم تبعاً، ويقيمَ بهم ملكاً خارجَ مصر. فزعموا أن تلك مكيدةٌ من موسى لثلمِ ملكِ فرعون. وإما أن يكونَ ملأُ فرعونَ محتوياً على رجالٍ من بني إسرائيلَ كانوا مقرَّبين عند فرعونَ ومن أهلِ الرأي في المملكة، فهم المقصودُ بالخطاب، أي: يريدُ إخراجَ قومكم من أرضكم التي استوطنتموها أربعةَ قرون، وصارت لكم موطناً كما هي للمصريين، ومقصدهم من ذلك تذكيرهم بحبِّ وطنهم، وتقريبهم من أنفسهم، وإنساؤهم ما كانوا يلقون من اضطهادِ القبطِ واستذلالهم، شعوراً منهم بحراجةِ الموقف. وإما أنهم علموا أنه إذا شاعَ في الأمةِ ظهورُ حجةِ موسى وعجزِ فرعونَ وملئه، أدخلَ ذلك فتنةً في عامةِ الأمة، فآمَنوا بموسى، وأصبحَ هو الملكَ على مصر،

فأخرجَ فرعونَ وملأهُ منها... و(الأمرُ) حقيقتهُ طلبُ الفعل، فمعنى {فَمَاذَا تَأْمُرُون}: ماذا تطلبون أن نفعل...

٣٦- {قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ}.

مما قالَ في نظيرها، في الآيةِ (١١١) من سورةِ الأعراف {قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ}: المعنى: أخِّرِ المجادلةَ مع موسى إلى إحضارِ السحرةِ الذين يدافعون سحره. والمدائن: جمعُ مدينة. قيل: أرادوا مدائنَ الصعيد، وكانت مقرَّ العلماءِ بالسحر. والحاشرون: الذين يَحشرون الناسَ ويجمعونهم.

٣٧- {يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ}.

من تفسيرهِ للآية (١١٢) من سورةِ الأعراف: {يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ} أي: يأتوكَ بجمعٍ عظيمٍ من السحرة، يشبهُ أن يكونَ جميعَ ذلك النوع... ووصفُ {عَلِيمٍ} الذي هو من أمثلةِ المبالغة، للدلالةِ على قوةِ المعرفةِ بالسحر. والمقامُ يدلُّ على أن المرادَ قوةُ علمِ السحرِ له.

٤٢- {قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ}.

تكونون أولَ مَن يدخلُ عليّ، وآخرَ من يخرجُ من عندي. وكان ذلك من أعظمِ المراتبِ عندهم! وهكذا حالُ أربابِ الدنيا في حبِّ قربةِ السلطانِ ونحوه، وهو من أعظمِ المصائبِ عند العقلاء. (روح البيان).

٤٤- {فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ في سورةِ طه (الآية ٦٦). وهناك أحالَ إلى سورةِ الأعراف، لكنْ قال: التخييلُ الذي وجدَهُ موسى من سحرِ السحرةِ هو أثرُ عقاقيرَ يُشربونها تلك الحبالَ والعِصيّ، وتكونُ الحبالُ من صنفٍ خاص، والعِصيُّ من أعوادٍ خاصةٍ فيها فاعليةٌ لتلك العقاقير، فإذا لاقتْ شعاعَ الشمسِ اضطربتْ تلك العقاقير، فتحركتِ الحبالُ والعِصيّ. قيل: وضعوا فيها طِلاءَ الزئبق.

٤٥- {فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ}.

قالَ في نظيرها، في الآيةِ (١١٧) من سورةِ الأعراف، مختصرًا: التلقف: مبالغةٌ في اللقف، وهو الابتلاعُ والازدراد. والإفك: الصرفُ عن الشيء، ويسمَّى الزورُ إفكاً، والكذبُ المصنوعُ إفكاً؛ لأن فيه صرفاً عن الحقّ، وإخفاءً للواقع، فلا يسمَّى إفكاً إلا الكذبُ المصطنعُ المموَّه. وإنما جُعِلَ السحرُ إفكاً لأن ما يَظهرُ منه مخالفٌ للواقع، فشبِّهَ بالخبرِ الكاذب. والتعبيرُ بصيغةِ المضارعِ في قوله: {تَلْقَفُ} و {يَأْفِكُونَ} للدلالةِ على التجديدِ والتكرير، مع استحضارِ الصورةِ العجيبة، أي: فإذا هي يتجدَّدُ تلقُّفها لِما يتجدَّدُ ويتكرَّرُ من إفكهم. وتسميةُ سحرهم إفكاً دليلٌ على أن السحرَ لا معمولَ له، وأنه مجردُ تخييلاتٍ وتمويهات.

٤٦- {فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِين}.

قالَ في مثلها، في الآيةِ (١٢٠) من سورةِ الأعراف: لما رأوا تلقُّفَ عصا موسى لحبالهم وعِصيِّهم، جزموا بأن ذلك خارجٌ عن طوقِ الساحر، فعلموا أنه تأييدٌ من الله لموسى، وأيقنوا أن ما دعاهم إليه موسى حقّ، فلذلك سجدوا، وكان هذا خاصًّا بهم دون بقيةِ الحاضرين. والإلقاءُ مستعملٌ في سرعةِ الهُوِيّ إلى الأرض، أي: لم يتمالكوا أن سجدوا بدونِ تريُّثٍ ولا تردُّد. والسجودُ هيئةٌ خاصةٌ لإلقاءِ المرءِ نفسَهُ على الأرض، يُقصَدُ منها الإفراطُ في التعظيم، وسجودهم كان لله الذي عرفوهُ حينئذٍ بظهورِ معجزةِ موسى عليه السلام، والداعي إليه بعنوانِ كونهِ ربَّ العالمين. (باختصار).

٤٧- {قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِين}.

قالَ في نظيرها، الآيةِ (١٢١) من سورةِ الأعراف: قصدوا من قولهم ذلك الإعلانَ بإيمانهم بالله؛ لئلّا يظنَّ الناسُ أنهم سجدوا لفرعون، إذ كانت عادةُ القبطِ السجودَ لفرعون، ولذلك وصفوا الله بأنه (ربُّ العالمين)، بالعنوان الذي دَعا به موسى عليه السلام، ولعلهم لم يكونوا يعرفون اسماً علَماً لله تعالى، إذ لم يكنْ لله اسمٌ عندهم، وقد عُلِمَ بذلك أنهم كفروا بالإهيةِ فرعون.

٤٨- {رَبِّ مُوسَى وَهَارُون}.

قالَ في نظيرها، الآيةِ (١٢٢) من سورةِ الأعراف: زادوا هذا القصدَ بياناً بالإبدال من {رَبِّ الْعَالَمِين} قولَهم: {رَبِّ مُوسَى وَهَارُون}؛ لئلا يُتوهَّمَ المبالغةُ في وصفِ فرعونَ بأنه ربُّ جميعِ العالمين.

٤٩- {قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلاَفٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِين}.

لجأَ فرعونُ مرَّةً أُخرى إلى التَّهديدِ والوعيد، وقد أُفحِمَ وانقطعتْ حجَّتهُ من اتِّهامِ موسَى بالسِّحر، فتوجَّهَ إلى السَّحَرةِ قائلاً: أآمنتُم بما جاءَ به موسَى قبلَ أن أسمحَ لكم بذلك؟! كانَ عليكم أن تنتظروا أمري، فأنا رئيسُكم، فإذا سمحتُ لكم بذلك آمنتُم، وإذا منعتُكم منه امتَنعتُم!

وقالَ في خُبثٍ وهو يَكذِب: إنَّ موسَى هو السَّاحرُ الكبيرُ فيكم، وقد دبَّرتُم هذا الأمرَ بليلٍ لتقوموا بمؤامرةٍ على البلَد {إِنَّ هَـذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَا أَهْلَهَا} [سورة الأعراف: ١٢٣]. وسترَون ما أفعلهُ بكم، سأقطعُ أياديكم اليُمنَى مع أرجلِكم اليسرَى، ولأُصلِّبَنَّكم في جذوعِ النخلِ لتموتوا جوعًا وعطشًا. (الواضح).

٥٢- {وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ}

وأوحينا إلى موسَى إذ تمادَى فرعونُ في غيِّه، وأبَى إلا الثباتَ على طغيانهِ بعدَ ما أريناهُ آياتِنا، أنْ سِرْ ببني إسرائيلَ ليلاً مِن أرضِ مصر. (الطبري).

٦٣- {فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ}.

فانشقّ. (البغوي).

٦٤- {وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِين}.

إشارة إلى المستبعَدِ من المكان. (روح البيان).

٦٧- {إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِين}.

ذكرَ أنه تقدَّم. وهو في الآيةِ (٨) من السورة، ومختصرُ تفسيرِهِ هناك:

{لآيَةً}: دلالة.

{وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِين}: إخبارٌ عنهم بأنهم مصرُّون على الكفرِ بعد هذا الدليلِ الواضح. وأُسنِدَ نفيُ الإيمانِ إلى أكثرهم لأن قليلاً منهم يؤمنون حينئذٍ أو بعد ذلك.

٦٨- {وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيم}.

قالَ في نظيرها، في الآيةِ (٩) من السورة: تذييلٌ لهذا الخبرِ بوصفِ الله بالعزَّة، أي: تمامِ القدرة، فتعلمون أنه لو شاءَ لعجَّلَ لهم العقاب، وبوصفِ الرحمةِ إيماءٌ إلى أن في إمهالهم رحمةً بهم لعلهم يشكرون، ورحيمٌ بك.

٧٣- {أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ}.

{أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ} قيل: بالرزق، {أَوْ يَضُرُّونَ} إنْ تركتُم عبادتها. (البغوي).

٧٩- {وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِين}.

أي: هو خالقي ورازقي بما سخَّرَ ويسَّرَ من الأسبابِ السماويةِ والأرضية، فساقَ المزن، وأنزلَ الماء، وأحيا به الأرض، وأخرجَ به من كلِّ الثمراتِ رزقاً للعباد، وأنزلَ الماءَ عذباً زلالاً، يسقيهِ مما خلقَ أنعاماً وأناسيَّ كثيراً. (ابن كثير).

٩٠- {وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ}.

الذين اتَّقَوا عقابَ اللهِ في الآخرةِ بطاعتِهم إيّاهُ في الدنيا. (الطبري).

٩١- {وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ}.

أي: أُظهِرَتْ وكُشِـفَ عنها، وبدتْ منها عُنق، فزفرتْ زفرةً بلغتْ منها القلوبُ الحناجرَ. (ابن كثير).

٩٦- {**قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ**}.

{يَخْتَصِمُونَ} مع المعبودين، ويجادلُ بعضهم بعضاً. (البغوي).

١٠٣- {**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ**}.

ذكرَ أنه تقدَّم. وهو في الآيةِ (٨) من السورة، ومختصرُ تفسيرِهِ هناك:

{لآيَةً}: دلالة.

{وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِين}: إخبارٌ عنهم بأنهم مصرُّون على الكفرِ بعد هذا الدليلِ الواضح. وأُسنِدَ نفيُ الإيمانِ إلى أكثرهم لأن قليلاً منهم يؤمنون حينئذٍ أو بعد ذلك.

١٠٤- {**وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ**}.

قالَ في نظيرها، في الآيةِ (٩) من السـورة: تذييلٌ لهذا الخبرِ بوصـفِ الله بالعزَّة، أي: تمامِ القدرة، فتعلمون أنه لو شاءَ لعجَّلَ لهم العقاب، وبوصفِ الرحمةِ إيماءٌ إلى أن في إمهالهم رحمةً بهم لعلهم يشكرون، ورحيمٌ بك.

١٠٨- {**فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُون**}.

{فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ} بطاعتهِ وعبادته، {وَأَطِيعُونِ} فيما آمركم به من الإيمانِ والتوحيد. (البغوي).

١١٠- {**فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُون**}.

الفاءُ لترتيبِ ما بعدها على تنزههِ عن الطمع، والتكريرُ للتأكيدِ والتنبيهِ على أن كلًّا من الأمانةِ وقطعِ الطمعِ مستقلٌّ في إيجابِ التقوى والطاعة، فكيف إذا اجتمعا؟ (روح البيان). وقُدِّمَ الأمرُ بتقوى الله على الأمرِ بطاعتهِ لأن تقوى الله علَّةٌ لطاعته. (فتح القدير).

١١٥- {إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ}.
ما أنا إلا نذيرٌ لكم مِن عندِ ربِّكم، أُنذركم بأسَهُ وسطوتَهُ على كفرِكم به. (الطبري).

١١٨- {وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}.
والذين معي مِن أهلِ الإيمانِ بكَ والتصديقِ لي. (الطبري).

١١٩- {فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ}.
فأنجينا نوحًا ومن معه من المؤمنين حين فتحنا بينهم وبين قومهم، وأنزلنا بأسنا بالقومِ الكافرين في {الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ}، يعني في السفينةِ الموقرةِ المملوءة. (الطبري).

١٢١- {إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِين}.
أشارَ إلى تقدُّمهِ في قصةِ نوح، وهو في الآيةِ (٨) من السورة، ومختصرُ تفسيرِهِ هناك:
{لآيَةً}: دلالة.
{وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِين}: إخبارٌ عنهم بأنهم مصرُّون على الكفرِ بعد هذا الدليلِ الواضح. وأُسنِدَ نفيُ الإيمانِ إلى أكثرهم لأن قليلاً منهم يؤمنون حينئذٍ أو بعد ذلك.

١٢٢- {وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيم}.
قالَ في مثلها، في الآيةِ (٩) من السورة: تذييلٌ لهذا الخبرِ بوصفِ الله بالعزَّة، أي: تمامِ القدرة، فتعلمون أنه لو شاءَ لعجَّلَ لهم العقاب، وبوصفِ الرحمةِ إيماءٌ إلى أن في إمهالهم رحمةً بهم لعلهم يشكرون، ورحيمٌ بك.

١٢٤- {إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلاَ تَتَّقُون}.
أشارَ إلى تقدُّمهِ في قصةِ نوح (الآية ١٠٦ من السورة)، قالَ ما ملخصه: {إِذْ قَالَ} ظرف، أي: كذَّبوهُ حين قالَ لهم: {أَلاَ تَتَّقُون}. ويظهرُ أن قولَهُ هذا صدرَ بعد أن دعاهم من قبل، وكرَّرَ دعوتهم إذ رآهم مصرّين على الكفر. اهـ.

{أَخُوهُمْ}: يعني أخاهم في النَّسب. (الواضح).

١٢٥- **{إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِين}**.

قالَ في الآيةِ (١٠٨) من السورة: أي: كيف تستمرون على الشركِ وقد نهيتكم عنه، وأنا رسولٌ لكم، أمينٌ عندكم؟ وكان نوحٌ موسوماً بالأمانة، لا يُتَّهمُ في قومه، كما كان محمدٌ صلى الله عليه وسلم يلقَّبُ الأمينَ في قريش..

١٢٦- **{فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُون}**.

{فَاتَّقُوا اللَّهَ}: خافوا من عقابه، {وَأَطِيعُون} فيما آمركم به من الحقّ. (روح البيان).

١٢٧- **{وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِين}**.

قالَ في الآيةِ (١١٠) من السورة: أي: علمتم أني أمينٌ لكم، وتعلمون أني لا أطلبُ من دعوتكم إلى الإيمان نفعاً لنفسي.

١٣٣- **{أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ}**.

ذكرَ عند تفسيرِ الآيةِ (١٤٢) من سورةِ الأنعام، أنها الإبلُ والبقرُ والشاءُ والمعز.

١٣٤- **{وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ}**.

والبساتين والأنهار. (الطبري).

١٣٨- **{وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ}**

وقالوا مستمرّينَ في كفرِهم: ولا بعثَ بعدَ الموت، فلا نحاسَبُ على أعمالِنا، ولا نُعذَّبُ عليها. (الواضح).

١٣٩- **{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ}**.

أشارَ إلى تقدُّمهِ في قصةِ نوح، وهو في الآيةِ (٨) من السورة، ومختصرُ تفسيرِهِ هناك:
{لآيَةً}: دلالة.
{وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِين}: إخبارٌ عنهم بأنهم مصرُّون على الكفرِ بعد هذا الدليلِ الواضح. وأُسنِدَ نفيُ الإيمانِ إلى أكثرهم لأن قليلاً منهم يؤمنون حينئذٍ أو بعد ذلك.

١٤٢- **{إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلاَ تَتَّقُون}**.
ذكرَ أن الكلامَ على هذه الآياتِ مثلُ الكلامِ على نظيرها في قصةِ قومِ نوح. قالَ ما ملخصه:
{إِذْ قَالَ} ظرف، أي: كذَّبوهُ حين قالَ لهم: {أَلاَ تَتَّقُون}. ويظهرُ أن قولَهُ هذا صدرَ بعد أن دعاهم من قبل، وكرَّرَ دعوتهم إذ رآهم مصرّين على الكفر. اهـ.
{أَخُوهُمْ}: يعني أخاهم في النَّسب.

١٤٣- **{إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِين}**.
قالَ في الآيةِ (١٠٨) من السورة: أي: كيف تستمرون على الشركِ وقد نهيتكم عنه، وأنا رسولٌ لكم، أمينٌ عندكم؟ وكان نوحٌ موسوماً بالأمانة، لا يُتَّهمُ في قومه، كما كان محمدٌ صلى الله عليه وسلم يلقَّبُ الأمينَ في قريش..

١٤٤- **{فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُون}**.
{فَاتَّقُوا اللَّهَ} أيها القوم، واحذروا عقابه، {وأَطِيعُونِ} في تحذيري إيّاكم، وأمرِ ربّكم باتّباعِ طاعته. (الطبري).

١٤٥- **{وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِين}**.
قالَ في الآيةِ (١١٠) من السورة: أي: علمتم أني أمينٌ لكم، وتعلمون أني لا أطلبُ من دعوتكم إلى الإيمان نفعاً لنفسي.

١٤٧- **{فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ}**.

أنهار. (روح البيان).

١٥٠- {فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ}.

فاتقوا عقابَ الله أيها القومُ على معصيتِكم ربَّكم، وخلافِكم أمرَه، وأطيعونِ في نصيحتي لكم، وإنذاري إيّاكم عقابَ الله تَرشُدوا. (الطبري).

١٥٢- {الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ}.

{ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلأَرْضِ} بالظلمِ والكفر، {وَلاَ يُصْلِحُونَ} بالإيمانِ والعدل. والمعنَى أن فسادَهم مصمت، ليس معه شيءٌ من الصلاحِ كما تكونُ حالُ بعضِ المفسدين مخلوطةً ببعضِ الصلاح. (النسفي).

{فِى ٱلأَرْضِ} أي: في أرضِ الحِجر. (روح البيان).

١٥٦- {وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ}.

لا تَمسُّوها بما يؤذيها مِن عَقرٍ وقتل، فيَحِلَّ بكم مِن اللهِ عذابُ يومٍ عظيمٌ عذابُه. (منتخب من الطبري).

١٥٧- {فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ}.

عقرتُ البعيرَ نحرتُه، وأصلُ العقرِ ضربُ الساقِ بالسيف... وأُسنِدَ العقرُ إلى كلِّهم لأن عاقرها إنما عَقرَ برضاهم، ولذلك أُخِذوا جميعًا. (روح البيان).

وقد قالَ مؤلفُ الأصلِ عند تفسيرِ الآيةِ (١٤) من سورةِ الشمس {فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا}: العَقْر: جرحُ البعيرِ في يديهِ ليبركَ على الأرضِ من الألم، فيُنحَرَ في لبَّته، فالعقرُ كنايةٌ مشهورةٌ عن النحرِ لتلازمهما.

١٥٨- {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ}.

أشارَ إلى تقدُّمهِ في قصةِ نوح، وهو في الآيةِ (٨) من السورة، ومختصرُ تفسيرِهِ هناك:

{لآيَةً}: دلالة.

{وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِين}: إخبارٌ عنهم بأنهم مصرُّون على الكفرِ بعد هذا الدليلِ الواضح. وأُسنِدَ نفيُ الإيمانِ إلى أكثرهم لأن قليلاً منهم يؤمنون حينئذٍ أو بعد ذلك.

١٥٩- **{وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ}**.

قالَ في مثلها، في الآيةِ (٩) من السورة: تذييلٌ لهذا الخبرِ بوصفِ الله بالعزَّة، أي: تمامِ القدرة، فتعلمون أنه لو شاءَ لعجَّلَ لهم العقاب، وبوصفِ الرحمةِ إيماءٌ إلى أن في إمهالهم رحمةً بهم لعلهم يشكرون، ورحيمٌ بك.

١٦١- **{إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ}**.

قال: القولُ في موقعها كالقولِ في سابقتها، والقولُ في تفسيرها كالقولِ في نظيرتها.

ويعني عند ذكرِ قصةِ نوحٍ عليه السلام، في الآية (١٠٦) من السورة، قالَ ما ملخصه: {إِذْ قَالَ} ظرف، أي: كذَّبوهُ حين قالَ لهم: {أَلاَ تَتَّقُون}. ويظهرُ أن قولَهُ هذا صدرَ بعد أن دعاهم من قبل، وكرَّرَ دعوتهم إذ رآهم مصرّين على الكفر.

١٦٢- **{إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ}**.

قالَ في الآيةِ (١٠٨) من السورة: أي: كيف تستمرون على الشركِ وقد نهيتكم عنه، وأنا رسولٌ لكم، أمينٌ عندكم؟ وكان نوحٌ موسوماً بالأمانة، لا يتَّهمُ في قومه، كما كان محمدٌ صلى الله عليه وسلم يلقَّبُ الأمينَ في قريش..

١٦٣- **{فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ}**.

{فَاتَّقُوا اللَّهَ} في أنفسكم، أن يحلَّ بكم عقابهُ على تكذيبِكم رسولَهُ، {وَأَطِيعُونِ} فيما دعوتُكم إليه، أَهدِكم سبيلَ الرشاد. (الطبري).

١٦٤- **{وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ}**.

قالَ في الآيةِ (١١٠) من السـورة: أي: علمتم أني أمينٌ لكم، وتعلمون أني لا أطلبُ من دعوتكم إلى الإيمان نفعاً لنفسي.

١٦٨- {قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِين}.

يعنى إتيانَ الرجال. (روح البيان).

١٧٤- {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ}.

أشارَ إلى تقدُّمهِ في قصةِ نوح، وهو في الآيةِ (٨) من السورة، ومختصرُ تفسيرِهِ هناك:

{لآيَةً}: دلالة.

{وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِين}: إخبارٌ عنهم بأنهم مصرُّون على الكفرِ بعد هذا الدليلِ الواضح. وأُسنِدَ نفيُ الإيمانِ إلى أكثرهم لأن قليلاً منهم يؤمنون حينئذٍ أو بعد ذلك.

١٧٥- {وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ}.

قالَ في مثلها، في الآيةِ (٩) من السورة: تذييلٌ لهذا الخبرِ بوصفِ الله بالعزَّة، أي: تمامِ القدرة، فتعلمون أنه لو شـاءَ لعجَّلَ لهم العقاب، وبوصـفِ الرحمةِ إيماءٌ إلى أن في إمهالهم رحمةً بهم لعلهم يشكرون، ورحيمٌ بك.

١٧٦- {كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِين}.

قالَ في الآيةِ (١٠٥) من السورة، في قصةِ نوحٍ عليه السلام: ... كان تكذيبهم إيّاه مقتضياً تكذيبَ كلِّ رسـول؛ لأن كلَّ رسـولٍ يقولُ مثلَ ما قالَهُ نوحٌ عليه السـلام، ولذلك تكرَّرَ في قوله: {كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ} [سورة الشعراء: ١٢٣] وما بعده.

١٧٨- {إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِين}.

قالَ في الآيةِ (١٠٨) من السورة: أي: كيف تستمرون على الشركِ وقد نهيتكم عنه، وأنا رسولٌ لكم، أمينٌ عندكم؟ وكان نوحٌ موسوماً بالأمانة، لا يتَّهمُ في قومه، كما كان محمدٌ صلى الله عليه وسلم يلقَّبُ الأمينَ في قريش..

١٧٩- {**فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُون**}.

{فَاتَّقُوا} عقابَ اللَّهِ على خلافِكم أمرَهُ، {وَأَطِيعُونِ} تَرُشدوا. (الطبري).

١٨٠- {**وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِين**}.

قالَ في الآيةِ (١١٠) من السورة: أي: علمتم أني أمينٌ لكم، وتعلمون أني لا أطلبُ من دعوتكم إلى الإيمان نفعاً لنفسي.

١٨٣- {**وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِين**}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ في سورةِ هود، ويعني أثناءَ تفسيرِهِ الآيةِ (٨٥) منها، قالَ (ملخصًا): العَثْيُ هو الفساد. وقوله: {مُفْسِدِين} حالٌ مؤكدةٌ لعاملها، مبالغةً في النهي عن الفساد. والمراد: النهيُ عن الفسادِ كلِّه، كما يدلُّ عليه قوله: {فِي الأَرْضِ}، المقصودُ منه تعميمُ أماكنِ الفساد...

١٨٤- {**وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ**}.

واخشَوا اللهَ واحذَروا نقمتَهُ إذا خالفتُم أمرَه. (الواضح).

١٨٦- {**وَمَا أَنتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا**}.

قالَ في مثيلتها، في الآيةِ (١٥٤) من السورة، وهي عن صالحٍ عليه السلام: بشرٌ مثلُنا تأكلُ وتشرب... (الطبري).

١٨٧- {**فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**}.

في دعواك. (فتح القدير).

١٨٩- {فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ}.

{فَكَذَّبُوهُ} أي: أصرُّوا على تكذيبِهِ بعد وضوحِ الحجةِ وانتفاءِ الشبهة.

{إِنَّهُ} أي: عذابُ يومِ الظلَّة، {كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ}: وعظمهُ لعظمِ العذابِ الواقعِ فيه. (روح البيان).

١٩٠- {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ}.

قالَ عند تفسيرِهِ الآيةَ (٨) من السورة، مختصرًا:

{لآيَةً}: دلالة.

{وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِين}: إخبارٌ عنهم بأنهم مصرُّون على الكفرِ بعد هذا الدليلِ الواضح. وأُسنِدَ نفيُ الإيمانِ إلى أكثرهم لأن قليلاً منهم يؤمنون حينئذٍ أو بعد ذلك.

١٩١- {وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ}.

قالَ في مثلها، في الآيةِ (٩) من السورة: تذييلٌ لهذا الخبرِ بوصفِ الله بالعزَّة، أي: تمامِ القدرة، فتعلمون أنه لو شاءَ لعجَّلَ لهم العقاب، وبوصفِ الرحمةِ إيماءٌ إلى أن في إمهالهم رحمةً بهم لعلهم يشكرون، ورحيمٌ بك.

١٩٤- {عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ}.

المخوِّفين، مما يؤدِّي إلى عذابٍ من فعلٍ أو ترك. (روح البيان).

٢٠٥- {أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ}.

جعلنا مشركي قريشٍ متمتِّعين منتفعين. (روح البيان).

٢٠٧- {مَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُون}.

المعنى: أنهم وإن طالَ تمتعهم بنعيمِ الدنيا، فإذا أتاهم العذابُ لم يُغنِ عنهم طولُ التمتعِ شيئاً، ويكونون كأنهم لم يكونوا في نعيمٍ قط. (البغوي).

٢١٤- {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ}.

حذّرهم من عذابنا أن يَنزلَ بهم بكفرهم. (الطبري).

٢٢٧- {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}.

... إلاّ الشُّعَراءَ الذينَ صدَقوا في إيمانِهم، وأحسَنوا في أعمالِهم، ولم يَشغَلْهمُ الشِّعرُ عن طاعةِ ربِّهم وذكرِه... (الواضح).

سورة النمل

١- {طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ}.

ذكرَ أن نظيرها آيةُ سورةِ الحِجر (الأولى)، وقد قالَ هناك: الإشارةُ إلى ما هو معروفٌ قبلَ هذه السورةِ من مقدارِ ما نزلَ بالقرآن، أي: الآياتُ المعروفةُ عندكم، المتميزةُ لديكم تميزاً كتميزِ الشيءِ الذي تمكنُ الإشارةُ إليه هي آياتُ الكتاب.

٢- {هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ}.

أي: حالَ كونِ تلك الآياتِ هاديةً لهم... ومعنى هدايتها لهم وهم مهتدون، أنها تزيدهم هدى. (روح البيان).

٣- {وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ}.

... وأيقنَ بالدارِ الآخرة، والبعثِ بعد الموت، والجزاءِ على الأعمال: خيرِها وشرِّها، والجنةِ والنار... (ابن كثير).

١٢- {**وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ**}.

أشارَ إلى أنه مضى في سورةِ طه {وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ آيَةً أُخْرَىٰ} (الآية ٢٢)، ومما قالَه هناك مختصرًا: ... بأن يدخلَ يدَهُ في جَيْبِ قميصِهِ حتى تماسَّ بَشَرةَ جنبه، وقد جعلَ الله تغيُّرَ لونِ جلدِ يدهِ مماستُها جناحَهُ، تشريفاً لأكثرِ ما يناسبُ من أجزاءِ جسمِهِ بالفعلِ والانفعال. ومعنى {مِنْ غَيْرِ سُوءٍ}: من غيرِ مرض، مثلِ البَرصِ والبَهق، بأن تصيرَ بيضاءَ، ثم تعودَ إلى لونها المماثل، لونَ بقيةِ بشرته. اهـ.

قالَ البغوي: الجيبُ حيثُ جِيبَ من القميص، أي قُطِع.

{إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ}: خارجين عن أمرِ الله، كافرين. (النسفي).

١٣- {**فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ**}.

تفسيرُ الآية: فلمَّا جاءَتهُم هذه المعجزات، وظهرتْ على يدَي موسَى بيّنةً واضحة، قالوا: هذا سحرٌ ظاهرٌ بيّن! (الواضح).

١٨- {**لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**}.

وهم لا يعلمون أنهم يحطمونكم. (الطبري).

١٩- {**رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ**}.

{نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ}: من العلمِ والنبوةِ والملكِ والعدلِ وفهمِ كلامِ الطيرِ ونحوها. (روح البيان).

{وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ}: وأوزعني أن أعملَ بطاعتِكَ وما ترضاه. (الطبري).

{بِرَحْمَتِكَ}: فإنه لا يدخلُ الجنةَ أحدٌ إلا بالرحمةِ والفضل، لا بالعمل. (روح البيان).

٢٤- {وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ}.

وقد حسَّنَ الشَّيطانُ الأعمالَ الشِّركيَّةَ في قلوبِهم، فمنعَهم بذلكَ مِن طريقِ الحقِّ والصَّواب، فهم لا يَهتدونَ إليها. (الواضح).

وقد ذكرَ صاحبُ الأصلِ أن تزيينَ الأعمالِ تقدَّمَ في أولِ السورة { إِنَّ ٱلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِٱلآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ } (الآية ٤)، ومما قالَهُ هناك: ... وسوسةُ الشيطانِ تجدُ في نفوسِ أولئك مرتعاً خصباً ومنبتاً لا يقحل، فالله تعالى مزيّنٌ لهم بسببِ تطورِ جبلَّةِ نفوسهم، من أثرِ ضعفِ سلامةِ الفِطَر عندهم، والشيطانُ مزيّنٌ لهم بالوسوسةِ التي تجدُ قبولاً في نفوسهم.

٢٨- {ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ}.

تَنحَّ عنهم، فكنْ قريباً منهم. (البغوي).

٢٩- {قَالَتْ يَاأَيُّهَا الملأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيم}.

ذكرَ أن (الإلقاءَ) تقدَّمَ آنفًا (الآيةُ السابقة)، ومما قالَه: الإلقاء: الرميُ إلى الأرض...

٣٠- {إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}.

فسَّرَ البسملةَ في سورةِ الفاتحة، وكان مما قالَ هناك: {بِسْمِ}: أصلُ الاسمِ في كلامِ العربِ هو العلَم، ولا توضعُ الأعلامُ إلا لشيءٍ مهتمٍّ به، (الله) هو اسمُ الذاتِ الواجبِ الوجود، المستحقِّ لجميعِ المحامد. وأصلُ هذا الاسم: الإله، بالتعريف، وهو تعريفُ (إلاه)، الذي هو اسمُ جنسٍ للمعبود، مشتقٌّ من أَلَهَ بفتحِ اللام، بمعنى عبد، أو من أَلِهَ بكسرِ اللام، بمعنى تحيَّرَ أو سكنَ أو فزعَ أو ولع، مما يرجعُ إلى معنًى هو ملزومٌ للخضوعِ والتعظيم...

{الرَّحْمَنِ الرَّحِيم}: وصفانِ مشتقانِ من رَحِم... واسمُ الرحمةِ موضوعٌ في اللغةِ العربيةِ لرقةِ الخاطرِ وانعطافه...

ومما قالَ أيضًا: وبعدَ كونِ كلٍّ من صفتَي الرحمنِ الرحيمِ دالةً على المبالغةِ في اتصافهِ تعالى بالرحمة، فقد قالَ الجمهور: إن الرحمنَ أبلغُ من الرحيم، بناءً على أن زيادةَ المبنى تؤذنُ بزيادةِ المعنى، وإلى ذلك مالَ جمهورُ المحققين...

٣٨- {**قَالَ يَاأَيُّهَا الْمَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ**}.

{الملأُ}: قالَ في الآيةِ (٦٠) من سورةِ الأعراف: الملأ: الجماعةُ الذين أمرُهم واحد، ورأيهم واحد؛ لأنهم يُمالِئُ بعضُهم بعضاً، أي: يعاونهُ ويوافقه. ويطلقُ الملأُ على أشرافِ القومِ وقادتهم؛ لأن شأنهم أن يكونَ رأيهم واحداً عن تشاور.. اهـ.

{قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ} أي: قبلَ أن تأتيني هي وقومُها مسلمين. قيل: إنما أرادَ سليمانُ أخذَ عرشها قبل أن يصلوا إليه ويُسلِموا؛ لأنها إذا أسلمتْ وأسلمَ قومُها لم يحلَّ أخذُ أموالهم بغيرِ رضاهم. (فتح القدير).

٣٩- {**قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ**}.

معنى قولِ العفريت، أنه سيأتي بالعرشِ إلى سليمانَ قبلَ أن يقومَ من مجلسهِ الذي يجلسُ فيه للحكومةِ بين الناس. {وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ}: إني لقويٌّ على حمله، أمينٌ على ما فيه. (فتح القدير).

٤٠- {**وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ**}.

{غَنِيٌّ} عن شكره، {كَرِيمٌ} في تركِ المعاجلةِ بالعقوبةِ بنزعِ نعمهِ عنه، وسلبهِ ما أعطاهُ منها. (فتح القدير).

٤١- {**قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لاَ يَهْتَدُونَ**}.

{أَتَهْتَدِي} إلى معرفته، أو إلى الإيمانِ بالله، {أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لاَ يَهْتَدُونَ} إلى ذلك؟ (فتح القدير).

٤٢- {فَلَمَّا جَاءتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ}.

{قِيلَ} لها، والقائلُ هو سليمان، أو غيرهُ بأمره: {أَهَكَذَا عَرْشُكِ}؟ لم يقلْ: هذا عرشك؛ لئلّا يكونَ ذلك تلقيناً لها، فلا يتمُّ الاختبارُ لعقلها، {قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ}، قالَ مجاهد: جعلتْ تعرفُ وتُنكر، وتَعْجَبُ مِن حضورهِ عند سليمان، فقالت: كأنه هو! وقالَ مقاتل: عرفته، ولكن شَبَّهتْ عليهم كما شَبَّهوا عليها، ولو قيلَ لها: أهذا عرشك؟ لقالت: نعم. (فتح القدير).

{وَكُنَّا مُسْلِمِينَ} لله مِن قبلِها. (الطبري).

٤٤- {فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً}.

وهي معظمُ الماء. (البغوي، وغيره).

٤٥- {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا}.

أخاهم في النسب.

٤٧- {قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ}.

{وَبِمَن مَّعَكَ} ممن أجابكَ ودخلَ في دينك.

{تُفْتَنُون} أي: تُمتحَنون وتُختَبرون.. (فتح القدير).

٥٤- {وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُون}.

أي: الفعلةَ المتناهيةَ في القبحِ والشناعة. (فتح القدير).

٥٥- {أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ}.

أتأتون الرِّجالَ في أدبارِهم لقضاءِ شهوتِكم وتدَعونَ ما خلقَ اللهُ لكم مِن الزَّوجاتِ وهنَّ محلُّ الشَّهوة؟ بل أنتم سفهاءُ ماجنون، تجهلونَ عاقبةَ فعلِكمُ الفاحش، الذي هو انتكاسةٌ للفطرةِ

والرجولة، وشــذوذٌ وانحرافٌ في السُّــلوك، وأمراضٌ جنســيَّةٌ وغيرُ جنســيَّة، وعقوبةٌ في الدُّنيا، وعذابٌ في الآخرة. (الواضح).

٥٦- {فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آَلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ}.

فما كان جوابَ القومِ المجرمين إلاّ قولَهم: أخرِجوا لوطًا وأهلَهُ مِن بين أظهُرِكم، فإنَّهم يتنزَّهون عن اللِّواطِ ويستقذرونه. (الواضح).

٥٧- {فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ}.

{فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُ} أي: بعد إهلاكِ القوم. فالفاءُ فصيحة، {إِلَّا ٱمْرَأَتَهُ قَدَّرْنَـٰهَا} أي: قدَّرنا كونها {مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ} أي: الباقين في العذاب. (روح المعاني).

٥٨- {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ}.

{وأَمْطَرْنا عَلَـيْهِمْ مَطَراً}: وهو إمطارُ الله عليهم من السماءِ حجارةً من سجِّيل، {فَساءَ مَطَرُ الـمُنْذَرِينَ} يقول: فساءَ ذلكَ المطر، مطرُ القومِ الذين أنذرَهم اللهُ عقابَهُ على معصيتِهم إيّاه، وخوَّفَهم بأسَهُ بإرسالِ الرسولِ إليهم بذلك. (الطبري).

٦٨- {لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآَبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ}.

قالَ في نظيرها، في الآيةِ (٨٣) من سورةِ المؤمنون: جعلوا مستندَ تكذيبهم بالبعث، أنه تكررَ الوعدُ به في أزمانٍ متعددةٍ فلم يقع، ولم يُبعَثْ واحدٌ من آبائهم. ووجهُ ذكرِ الآباءِ دفعُ ما عسى أن يقولَ لهم قائل: إنكم تُبعَثون قبل أن تصيروا تراباً وعظاماً، فأعَدُّوا الجوابَ بأن الوعدَ بالبعثِ لم يكنْ مقتصراً عليهم فيقعوا في شكٍّ باحتمالِ وقوعهِ بهم بعد موتهم وقبلَ فناءِ أجسامهم، بل ذلك وعدٌ قديمٌ وُعِدَ به آباؤهم الأولون، وقد مضتْ أزمانٌ وشوهدتْ رفاتهم في أجداثهم وما بُعِثَ أحدٌ منهم.

٦٩- {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ نظيرهُ في سورةِ الأنعام (الآية ١١)، قالَ هناك: النظرُ في عاقبةِ المكذِّبين هو المقصدُ من السير، فهو ممّا يُرتقَى إليه بعد الأمرِ بالسير، ولأن هذا النظرَ محتاجٌ إلى تأمُّل وترسُّمٍ فهو أهمُّ من السير...

٧٠- {وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ}.

ذكرَ أن (المكرَ) تقدَّمَ في سورةِ آلِ عمران (الآية ٥٤)، وقد قالَ عندها: المكرُ فعلٌ يُقصَدُ به ضُرُّ أحدٍ في هيئةٍ تخفَى عليه، أو تلبيسُ فعلِ الإضرارِ بصورةِ النفع.

٧٧- {وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ}.

ذكرَ أنه راجعٌ إلى قولهِ في طالعِ السورة: {هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ} (الآية ٢)، قال: "المعنى أن الهدَى للمؤمنين والبشرى حاصلان منه ومستمران من آياته". ثم قال: "... لأن المؤمنين هم الذين انتفعوا بهديه".

٨٣- {وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا}.

بأدلَّتِنا وحُجَجِنا. (الطبري).

٨٤- {قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي}.

بحُجَجي وأدلَّتي. (الطبري).

٨٥- {وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا}.

ذكرَ أنه القولُ الأول. وقصدَ ورودَ اللفظِ في الآيةِ (٨٢) من السورة، قال: {الْقَوْلُ} أُريدَ به أخبارُ الوعيدِ التي كذَّبوها متهكمين باستبطاءِ وقوعها.

٨٧- {وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ}.

ذكرَ أن النفخَ في الصورِ تقدَّمَ في قوله: {وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ} [سورة الأنعام: ٧٣]، وفيه أن الصورَ هو البوق، وأن يومَ النَّفخِ في الصُّورِ هو {وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ} (في الآيةِ نفسها).

٨٩- {وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ}.

... ويؤمِّنهُ مِن فَزَعِ الصيحةِ الكبرى، وهي النفخُ في الصُّور. (الطبري).

٩٠- {هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}.

يقالُ لهم: هل تُجزَون أيها المشركون إلا ما كنتم تعملون، إذ كبَّكم الله لوجوهِكم في النار، وإلا جزاءَ ما كنتم تعملون في الدنيا بما يسخطُ ربَّكم. (الطبري).

سورة القصص

٥- {وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ}.

ذكرَ في الآيةِ السابقةِ أن الطائفةَ المستضعفةَ هي طائفةُ بني إسرائيل، وأن المقصودَ بالأرضِ أرضُ مصر.

٨- {إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ}.

قالَ في الآيةِ (٦) من السورة: فرعونُ الذي أُرِيَ ذلك هو ملكُ مصرَ منفتاح الثالث، وهو الذي حكمَ مصرَ بعد رعمسيس الثاني، الذي كانت ولادةُ موسى في زمانه، وهو الذي كان يحذرُ ظهورَ رجلٍ من إسرائيلَ يكونُ له شأن. و{هَامَانَ} قالَ المفسِّرون: هو وزيرُ فرعون. وظاهرُ آياتِ هذه السورةِ يقتضي أنه وزيرُ فرعون، وأحسبُ أن هامانَ ليس باسمِ علم، ولكنه لقبُ خطة، مثلُ فرعونَ وكسرى وقيصر ونجاشيّ.

ثم قال: والجنودُ اسمُ جمعٍ لا واحدَ له من لفظه، هو الجماعةُ من الناسِ التي تجتمعُ على أمرٍ تتبعه، فلذلك يطلقُ على العسكر؛ لأن عملَهم واحد، وهو خدمةُ أميرهم وطاعته.

١٣- {فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلاَ تَحْزَنَ}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ في سورةِ طه { فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُها وَلاَ تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْساً} (الآية ٤٠). قال: هذه منَّةٌ عليه لإكمالِ نمائه، وعلى أمِّهِ بنجاته، فلم تفارقْ ابنها إلّا ساعاتٍ قلائل، أكرمها الله بسببِ ابنها. وعطفُ نفي الحزنِ على قرَّةِ العينِ لتوزيعِ المنَّة، لأن قرَّةَ عينها برجوعهِ إليها، وانتفاءَ حزنها بتحققِ سلامتهِ من الهلاكِ ومن الغرق، وبوصولهِ إلى أحسنِ مأوى. اهـ.

وذكرَ في الآيةِ التاسعةِ من هذه السورة، أن قرةَ العينِ كنايةٌ عن السرور.

١٤- {وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ}.

كما جزينا موسى على طاعتهِ إيّانا، وإحسانهِ بصبرهِ على أمرنا، كذلكَ نَجزي كلَّ مَن أحسنَ مِن رسلِنا وعبادِنا، فصبرَ على أمرِنا وأطاعنا، وانتهَى عمّا نهيناهُ عنه. (الطبري).

٢٩- {فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُون}.

ذكرَ أن بقيةَ القصةِ تقدَّمتْ في سورةِ النمل {إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ} (الآية ٧). وملخصُ قولهِ هناك: الأهلُ مرادٌ به زوجه، ولم يكنْ معه إلا زوجهُ وابنانِ صغيران. والإيناس: الإحساسُ والشعورُ بأمرٍ خفيّ. والمرادُ بالخبرِ خبرُ المكانِ الذي تلوحُ منه النار. ولعلهُ ظنَّ أن هنالك بيتاً يرجو استضافتهم إيّاهُ وأهلهُ تلك الليلة، وإن لم يكنْ أهلُ النارِ أهلَ بيتٍ يستضيفون، بأن كانوا رجالاً مقوين، يأتِ منهم بجمرةِ نارٍ ليوقدَ أهلَهُ ناراً من حطبِ الطريقِ للتدفُّؤ بها... والاصطلاء: الشيُّ بالنار. ودلَّتْ صيغةُ الافتعالِ أنه محاولةُ الصلي، فصارَ بمعنى التدفُّؤ بوهجِ النار.

٣١- {يَامُوسَى أَقْبِلْ وَلاَ تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِين}.

فنُوديَ موسى: يا موسى أقبِلْ إليَّ ولا تخفْ مِنَ الذي تهربُ منه، إنَّكَ مِن الآمِنينَ مِن أنْ يضرَّك، إنما هو عصاك. (الطبري).

٣٢- {فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ}.
إلى فرعونَ وقومهِ مِن الكُبراءِ والأتْباع. (الواضح).

٣٧- {إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ}.
أي: الكافرون. (البغوي). لا يفوزون بالهُدَى في الدنيا وحسنِ العاقبةِ في العُقبَى. (البيضاوي).

٤٣- {وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}.
{وَهُدًى} إلى الحقّ، {وَرَحْمَةً} أي: إرشاداً إلى العملِ الصالح، {لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} أي: لعلَّ الناسَ يتذكرون به، ويهتدون بسببه. (ابن كثير).

٤٩- {إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}.
{إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} في زعمِكم أنَّ هذين الكتابين سحران، وأنَّ الحقَّ في غيرهما. (الطبري).

٦٧- {فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ}.
من السعداءِ الناجين. (البغوي).

٧٤- {وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ}.
قالَ في مثلها، في الآيةِ (٦٢) من السورة: الاستفهامُ بكلمةِ {أَيْنَ} ظاهرهُ استفهامٌ عن المكانِ الذي يوجدُ فيه الشركاء، ولكنهُ مستعملٌ كنايةً عن انتفاءِ وجودِ الشركاءِ المزعومين يومئذ، فالاستفهامُ مستعملٌ في الانتفاء. والذين تصدَّوا للجوابِ هم بعضُ المنادين بـ {أَيْنَ شُرَكَائِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ} علموا أنهم الأحرياءُ بالجواب. وهؤلاء هم أئمةُ أهلِ الشركِ من أهلِ مكة، مثلُ أبي جهل، وأميةَ بنِ خلف، وسدنةِ أصنامهم، كسادنِ العُزَّى.

٧٧- {وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ}.

قالَ أثناءَ تفسيرِ الآيةِ (٢٠٥) من سورةِ البقرة: الفسادُ ضدُّ الصلاح، ومعنى الفساد: إتلافُ ما هو نافعٌ للناسِ نفعًا محققًا أو راجحًا.

٨٠- {وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ}.

قالَ ابنُ عباس رضيَ الله عنهما: يعني الأحبارَ من بني إسرائيل. وقالَ مقاتل: أوتوا العلمَ بما وعدَ الله في الآخرة. (البغوي).

٨٣- {وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}.

وهم الذين اتَّقَوا معاصيَ الله، وأدَّوا فرائضه. (الطبري).

سورة العنكبوت

٧- {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ}.

والذين آمنوا بالله ورسوله، فصحَّ إيمانهم عند ابتلاءِ الله إيّاهم وفتنتهِ لهم، ولم يرتدُّوا عن أديانهم بأذى المشركين إيّاهم. (الطبري)، {وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ}: مع الأعمالِ الصالحاتِ واجتنابِ الكبائر. (فتح القدير).

٩- {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ}.

{والَّذِينَ آمَنُوا} بالله ورسوله، {وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ} من الأعمال، وذلك أن يؤَدُّوا فرائضَ الله، ويجتنبوا مَحارمه، {لَنُدْخِلَنَّهُمْ في الصَّالِحِينَ}: في مَدْخَلِ الصالحين، وذلك الجنة. (الطبري).

١٦- {وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ}.

واتقوا سخطَهُ بأداءِ فرائضهِ واجتنابِ معاصيه. (الطبري).

٢٥- {وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ}.

أي: يلعنُ الأتباعُ المتبوعين، والمتبوعون الأتباع. (ابن كثير). واللعن: طردٌ وإبعادٌ على سبيلِ السخط، وهو من الإنسان دعاءٌ على غيره. (روح البيان). {وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ} أي: ومصيرُكم ومرجعُكم بعدَ عرَصاتِ القيامةِ إلى النار. (ابن كثير).

٢٧- {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ في سورةِ الأنعام {وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا} ومما قالَهُ هناك: الوَهْبُ والهِبة: إعطاءُ شيءٍ بلا عوض، وهو هنا مجازٌ في التفضُّلِ والتيسير. ومعنى هبةِ يعقوبَ لإبراهيم، أنه وُلدَ لابنهِ إسحاقَ في حياةِ إبراهيم، وكبرَ وتزوَّجَ في حياته، فكان قرَّةَ عينٍ لإبراهيم. اهـ.

{وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ}: هذه خلعةٌ سَنيَّةٌ عظيمة، مع اتخاذِ اللهِ إيّاهُ خليلاً، وجعلهِ للناس إماماً، أن جعلَ في ذريتهِ النبوةَ والكتاب، فلم يوجدْ نبيٌّ بعد إبراهيمَ عليه السلامُ إلا وهو من سلالته، فجميعُ أنبياءِ بني إسرائيلَ من سلالةِ يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيم، حتى كان آخرهم عيسى ابنُ مريم، فقامَ في ملَئهم مبشِّراً بالنبيِّ العربيِّ القرشيِّ الهاشميّ، خاتمِ الرسلِ على الإطلاق، وسيدِ ولدِ آدمَ في الدنيا والآخرة، الذي اصطفاهُ الله من صميمِ العربِ العرباء، من سلالةِ إسماعيل بنِ إبراهيم عليهما السلام، ولم يوجدْ نبيٌّ من سلالةِ إسماعيلَ سواه، عليه أفضلُ الصلاةِ والسلام. (ابن كثير).

٢٩- {قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ}.

{إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} أن العذابَ نازلٌ بنا، فعند ذلك. (البغوي).

٣٢- {لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ}.

أي: من الهالكين؛ لأنها كانت تمالؤهم على كفرهم وبغيهم ودبرهم. (ابن كثير).

٣٣- {إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ}.

... إلاّ امرأتَكَ العجوزَ التي لم تؤمِنْ مِن بين أهلِك، فإنَّها مِن الباقين في العذاب. (الواضح).

٣٤- {إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ}.

{عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ}: سَدُوم.

{بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ}: بما كانوا يأتون مِن معصيةِ الله، ويركبون مِن الفاحشة. (الطبري).

٣٦- {وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الآخِرَ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِين}.

{أَخَاهُمْ}: أخاهم في النسب.

{وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِين}: ذكرَ أنه مرَّ في سورةِ البقرة (الآية ٦٠). ومما قالَهُ هناك: هو أشدُّ الفساد (يعني العثيّ). وقيل: هو الفسادُ مطلقاً. وعلى الوجهين يكونُ {مُفْسِدِين} حالاً مؤكدةً لعاملها. اهـ.

وقالَ في نظيرتها أثناءَ تفسيرِهِ الآيةَ (٨٥) من سورةِ هود (ملخصًا): العَثْيُ هو الفساد. وقوله: {مُفْسِدِين} حالٌ مؤكدةٌ لعاملها، مبالغةً في النهي عن الفساد. والمراد: النهيُ عن الفسادِ كلِّه، كما يدلُّ عليه قوله: {فِي الأَرْضِ}، المقصودُ منه تعميمُ أماكنِ الفساد...

٣٧- {فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ}.

قالَ في تفسيرِ الجملةِ الأخيرةِ من الآيةِ (٧٨) مِن سورةِ الأعراف: {فَأَصْبَحُوا} هنا بمعنى صاروا. والجاثم: المكِبُّ على صدرِهِ في الأرضِ مع قبضِ ساقيهِ كما يجثو الأرْنب. ولما كان ذلك أشدَّ سكوناً وانقطاعاً عن اضطرابِ الأعضاء، استعملَ في الآيةِ كنايةً عن همودِ الجثَّةِ بالموت. ويجوزُ أن يكونَ المرادُ تشبيهَ حالةِ وقوعهم على وجوههم حين صُعِقوا بحالةِ الجاثم، تفظيعاً لهيئةِ مِيتتهم، والمعنى: أنهم أصبحوا جثثًا هامدةً ميّتةً على أبشعِ منظرٍ لميّت. اهـ.

{فَكَذَّبُوهُ}: فكذَّبَ أهلُ مَدينَ شعيباً فيما أتاهم به عن الله من الرسالة. (الطبري).

٣٩- {وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ}.

قالَ عند تفسيرِ الآيةِ (٦) من سورةِ القصص: {هَامَانَ}: قالَ المفسِّرون: هو وزيرُ فرعون. وظاهرُ آياتِ هذه السورةِ يقتضي أنه وزيرُ فرعون، وأحسبُ أن هامانَ ليس باسمِ علم، ولكنه لقبُ خطة، مثلُ فرعونَ وكسرى وقيصر ونجاشيّ.

وذكرَ في الآيةِ (٧٦) من السورةِ نفسها، أن (قارون) كان ابنَ عمِّ موسى بنِ عمران النبيِّ صلى الله عليه وسلم.

٤٤- {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ}.

لدلالة. (البغوي).

٥٣- {وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ}.
وهم غافلونَ عنه. (الواضح).

٥٨- {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ}.
{وَالَّذِينَ آمَنُوا}: يعني صدَّقوا الله ورسولَهُ فيما جاءَ به من عند الله، {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}: يقول: وعملوا بما أمرهم الله فأطاعوهُ فيه، وانتهوا عما نهاهم عنه. (الطبري).
{تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ}: تجري مِن تحتِها الأنهارُ على اختلافِ أصنافها، مِن ماءٍ وخمر، وعسلٍ ولبن، يَصرفونَها ويُجرونَها حيثُ شاؤوا، {خَالِدِينَ فِيهَا} أي: ماكثين فيها أبدًا، لا يبغونَ عنها حِوَلًا، {نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ}: نعمتْ هذه الغرفُ أجرًا على أعمالِ المؤمنين. (ابن كثير).

٥٩- {الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}.
ذكرَ أن معنى التوكلِ تقدَّمَ في سورةِ آلِ عمران (الآية ١٥٩) وقد قالَ هناك: التوكُّلُ حقيقتهُ الاعتماد، وهو هنا مجازٌ في الشروعِ في الفعلِ مع رجاءِ السدادِ فيه من الله، وهو شأنُ أهلِ الإيمان، فالتوكُّلُ انفعالٌ قلبيٌّ عقليٌّ يتوجَّهُ به الفاعلُ إلى الله، راجياً الإعانة، ومستعيذاً من الخيبةِ والعوائق، وربَّما رافقَهُ قولٌ لسانيّ، وهو الدعاءُ بذلك.

٦٠- {وَكَأَيِّن مِن دَابَّةٍ}.
ذكرَ أن الكلامَ تقدَّمَ عليها عند قولهِ تعالى: {وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ} في سورةِ البقرة، وهو (الآية ١٤٦) من سورةِ آلِ عمران. ومما قالَهُ هناك: "وكأيِّن" كلمةٌ بمعنى التكثير، قيل: هي بسيطةٌ موضوعةٌ للتكثير، وقيل: هي مركَّبةٌ من كافِ التَّشبيهِ و(أيّ) الاستفهامية، وهو قولُ الخليلِ وسيبويه، وليستْ (أيّ) هذه استفهاماً حقيقيًّا، ولكنَّ المرادَ منها تذكيرُ

المستفهمِ بالتكثير، فاستفهامها مجازي، ونونها في الأصلِ تنوين، فلمّا ركِّبتْ وصارتْ كلمةً واحدة، جعلَ تنوينها نوناً وبُنيت. والأظهر أنَّها بسيطة...

٦٥- {فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ}.

السفينة.

٦٦- {لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُون}.

أي: عاقبةَ ذلك وغائلته، حين يرون العذاب. (روح البيان).

سورة الروم

٩- {أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ}.

{يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ}: ذكرَ في سورةِ الأنعام (الآية ١١)، أن النظرَ في عاقبةِ المكذِّبين هو المقصدُ من السير، فهو ممّا يُرتقَى إليه بعد الأمرِ بالسير، ولأن هذا النظرَ محتاجٌ إلى تأمُّل وترسُّمٍ فهو أهمُّ من السير...

{وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ}: بالمعجزاتِ والآياتِ الواضحات، فكذَّبوهم، فأهلكهم الله تعالى. (روح البيان).

١٠- {كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ}.

وكانوا بحججِ الله - وهم أنبياؤهُ ورسلهُ - يسخرون. (الطبري).

١٣- {وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ}.

وكانوا بشركائهم في الضلالةِ والمعاونةِ في الدنيا على أولياءِ اللهِ {كَافِرِينَ}: يجحدون ولايتهم، ويتبرَّؤون منهم. (الطبري).

١٤- {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُون}.
قالَ أثناءَ تفسيرِهِ الآيةَ (١٢) من السورة: شاعَ إطلاقُ (الساعةِ) على وقتِ الحشرِ والحساب. وأصلُ الساعةِ المقدارُ من الزمن، ويتعيَّنُ تحديدهُ بالإضافةِ أو التعريف.

١٥- {فَأَمَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ}.
الذينَ آمنوا باللهِ ورسولهِ وعملوا بما أمرَهم اللهُ به، وانتهَوا عمَّا نهاهُم عنه... (الطبري).

١٦- {وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآَخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ}.
وأما الذينَ جحدوا توحيدَ الله، وكذَّبوا رسـلَه، وأنكروا البعثَ بعد الممات، والنشـورَ للدارِ الآخرة... (الطبري).

٢٠- {وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ}.
أي: ومن علاماتِ الله الدالَّةِ على البعث. (روح البيان).

٢١- {وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا}.
ومن حججهِ وأدلَّته. (الطبري).

٢٤- {وَمِنْ آَيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}.
{وَمِنْ آَيَاتِهِ}: ومن حججه.
{لَآَيَاتٍ}: لعبراً وأدلَّة. (الطبري).

٣١- {مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}

{وَاتَّقُوهُ} أي: خافوهُ وراقبوه، {وَأَقِيمُوا الصَّـــلاةَ} وهي الطاعةُ العظيمة، {وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} أي: بل مِن الموحِّدين المخلصين له العبادة، لا يريدون بها سواه. (ابن كثير).

٣٨- {فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ}.

ذكرَ في الآيةِ (١٧٧) من سورةِ البقرة، أن المسكينَ هو الفقيرُ الذي أذلَّهُ الفقر، قال: وقد اتفقَ أئمةُ اللغةِ أن المسكينَ غيرُ الفقير، فقيل: هو أقلُّ فقراً من الفقير، وقيل: هو أشدُّ فقراً، وهذا قولُ الجمهور، وقد يطلقُ أحدُهما في موضعِ الآخَرِ إذا لم يجتمعا...

٤٠- {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُـــرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}

اللهُ الذي خلقَكم ولا قدرةَ لكم على الكسـب، وأعطاكمُ السَّـمعَ والبصـرَ وسـائرَ الأعضـاءِ والحواسّ، ورزقَكم مِن الأموالِ والأنعامِ والزُّروع، ثمَّ يميتُكم فلا يمتنِعُ أحدٌ منكم عليه، ثمَّ يُحييكُم بعدَ الموتِ ويَبعثُكم مِن قبورِكم. (الواضح).

٤٣- {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ}.

قالَ في نظيره، في الآيةِ (٣٠) من السـورة: إقامةُ الوجهُ تقويمهُ وتعديلهُ باتجاههِ قبالةَ نظره، غيرَ ملتفتٍ يميناً ولا شمالاً. وهو تمثيلٌ لحالةِ الإقبالِ على الشـيءِ والتمحضِ للشـغلِ به بحالِ قصـرِ النظرِ إلى صوبِ قبالته، غيرَ ملتفتٍ يَمنةً ولا يَسْرة.

٤٥- {لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ}.

{الَّذِينَ آمَنُوا} بالله ورسوله، {وعَمِلُوا الصَّالِـحاتِ} يقول: وعملوا بما أمرهم الله. (الطبري)، وهي ما أريدَ به وجهُ الله تعالى ورضاه. (روح البيان).

٤٦- {وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِـلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّـرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُون}.

تفسيرُ الآية: ومن آياتهِ الدالَّةِ على قدرتِه، أنْ يُرسِلَ الرِّياحَ مبشِّرةً بالمطر، ليُصيبَكم مِن رحمتِه، فيُغيثُ به العبادَ والبلاد، مِن الرِّيِّ والخِصْبِ والنَّماء، ولِتَجريَ السُّفنُ في البحرِ عندَ هبوبِها بأمرِه، ولتَطلبُوا مِن رزقهِ بالكسبِ والتِّجارةِ في البرِّ والبحر، ولِتَشكروا ربَّكم على هذه النِّعَم. (الواضح).

٤٧- {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا}.

ولقد أرسلنا يا محمدُ من قبلِكَ رسلاً إلى قومِهم الكفرة، كما أرسلناكَ إلى قومِكَ العابدي الأوثانِ من دونِ الله، {فَجَاءُوهُمْ بِالبَيِّناتِ} يعني: بالواضحاتِ من الحججِ على صدقهم، وأنهم لله رسل، كما جئتَ أنت قومكَ بالبيِّنات، فكذَّبوهم كما كذَّبك قومُك، وردُّوا عليهم ما جاؤوهم به من عند الله، كما ردُّوا عليكَ ما جئتَهم به من عندِ ربِّك، {فَانْتَقَمْنا مِنَ الَّذِينَ أجْرَمُوا}، يقول: فانتقَمنا من الذين أجرموا الآثام، واكتسبوا السيئاتِ من قومِهم، ونحن فاعلو ذلك كذلك بمجرمي قومِك. {وكانَ حَقًّا عَلَيْنا نَصْرُ المُؤْمِنِينَ} يقول: ونجَّينا الذين آمنوا بالله وصدَّقوا رسلَهُ إذ جاءهم بأسُنا، وكذلك نفعلُ بك وبمن آمنَ بك من قومك، {وكانَ حَقًّا عَلَيْنا نَصْرُ المُؤْمِنِينَ} على الكافرين، ونحن ناصروك ومن آمنَ بك على مَن كفرَ بك، ومظفروك بهم. (الطبري).

٤٨- {فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ}.

أي: لحاجتهم إليه يفرحون بنزولهِ عليهم ووصولهِ إليهم. (ابن كثير).

٥٣- {إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ}.

يقولُ تعالَى ذكرهُ لنبيِّه: ما تُسمِعُ السماعَ الذي يَنتفِعُ به سامعهُ فيعقلهُ إلا من يؤمنُ بآياتنا؛ لأن الذي يؤمنُ بآياتنا إذا سمعَ كتابَ الله تدبَّرَهُ وفهمَهُ وعقلَه، وعملَ بما فيه، وانتهَى إلى حدودِ الله الذي حدَّ فيه، فهو الذي يَسمَعُ السماعَ النافع. وقوله: {فَهُمْ مُسْلِمُونَ} يقول: فهم خاضعون لله بطاعته، متذلِّلون لمواعظِ كتابه. (الطبري).

سورة لقمان

٤- {الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ}.

الذين يواظبون على إقامةِ الصَّلاةِ بأركانِها وشروطِها وفي أوقاتِها، ويعطون الزَّكاةَ لمستحقِّيها مِن الفقراءِ ومَن في حُكمِهم، ويؤمنون بالبعثِ بعدَ الموت، والحسابِ والجزاء، والجنَّةِ والنَّار. (الواضح).

٥- {أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ في سورةِ البقرة (الآية ٥)، وهو في صفحات، من ذلك قوله: هو بمنزلةِ أن يقول: إن تلك الأوصافِ هي سببُ تمكنهم من هدي ربِّهم إياهم. والقصدُ التنويهُ بشأنِ الهدَى، وتوسلاً إلى إفادةِ تعظيمِ الهدَى.

والفلاح: الفوزُ وصلاحُ الحال، فيكونُ في أحوالِ الدنيا وأحوالِ الآخرة، والمرادُ به في اصطلاحِ الدين: الفوزُ بالنجاةِ من العذابِ في الآخرة. والفعلُ منه: أفلح، أي: صارَ ذا فلاح.

٦- {أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ}.

هؤلاء الذين وصفنا أنهم يشترون لهوَ الحديثِ ليضلُّوا عن سبيلِ الله، لهم يومَ القيامةِ عذابٌ مُذِلٌّ مُخزٍ في نارِ جهنَّم. (الطبري).

٨- {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ}.

هذا ذكرُ مآلِ الأبرارِ مِن السعداءِ في الدارِ الآخرة، الذين آمنوا باللهِ وصدَّقوا المرسَلين، وعملوا الأعمالَ الصالحةَ المتابعةَ لشريعةِ الله، {لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ} أي: يتنعَّمون فيها بأنواعِ الملاذِّ والمسارّ، مِن المآكلِ والمشارب، والملابسِ والمساكن، والمراكبِ والنساء، والنضرةِ والسماع، الذي لم يخطرْ ببالِ أحد. (ابن كثير).

٩- {**خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**}.

وهم في ذلكَ مقيمون دائمًا فيها، لا يظعنون، ولا يبغون عنها حِوَلًا.

وقوله: {وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا} أي: هذا كائنٌ لا محالة؛ لأنه مِن وعدِ الله، واللهُ لا يُخلِفُ الميعاد؛ لأنه الكريمُ المنّان، الفعّالُ لما يشاء، القادرُ على كلِّ شيء. (ابن كثير).

١٠- {**خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء**}.

{خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا}: ذكرَ أنه تقدَّمَ في سورةِ الرعد {اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا} (الآية ٢). قالَ (ملخصًا): السماواتُ هي الكواكبُ السيّارة، وطبقاتُ الجوِّ التي تسبحُ فيها. ورفعُها: خلقُها مرتفعة. والعَمَدُ جمعُ عماد، وهو ما تُقام عليه القبَّةُ والبيت. وجملةُ {تَرَوْنَهَا} في موضعِ الحالِ من {السَّمَاوَاتِ}، أي: لا شبهةَ في كونها بغيرِ عمد.

{وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ}: ذكرَ أنه تقدَّمَ في سورةِ النحل {وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ} (الآية ١٥). ومن قولهِ هناك: الرواسي جمعُ راسٍ، وهو وصفٌ من الرَّسْو، ويقال: الرُّسُوّ، وهو الثباتُ والتمكنُ في المكان. ويطلقُ على الجبلِ (راس) بمنزلةِ الوصفِ الغالب. ولما كانت الجبالُ مجعولةً كالتكملةِ للأرض، وموضوعةً على ظاهرِ سطحها، عبَّرَ عن خلقها ووضعها بالإلقاء، الذي هو رميُ شيءٍ على الأرض. وقولهُ تعالى: {أَن تَمِيدَ بِكُمْ} تعليلٌ لإلقاءِ الرواسي في الأرض. والمَيْد: الاضطراب. وضميرُ {تَمِيدَ} عائدٌ إلى {الأَرْضِ}، بقرينةِ قرنهِ بقولهِ تعالى: {بِكُمْ}، لأن الميدَ إذا عُدِّيَ بالباءِ عُلِمَ أن المجرورَ بالباءِ هو الشيءُ المستقرُّ في الظرفِ المائد، والاضطرابُ يعطِّلُ مصالحَ الناس، ويلحقُ بهم آلاماً، ولما كان المقامُ مقامَ امتنان، عُلِمَ أن المعلَّلَ به هو انتفاءُ الميدِ لا وقوعُه.

{وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ}: ذكرَ أنه تقدَّمَ في سورةِ البقرة (الآية ١٦٤)، قالَ ما ملخصه: البثُّ في الأصلِ نشرُ ما كان خفيًّا، ثم استُعملَ البثُّ مجازاً في انتشارِ الشيءِ بعد أن كان كامناً، كما في هاتهِ الآية. وبثُّ الدوابِّ على وجهِ عطفهِ على فعلِ {أَنزَلَ} هو خلقُ أنواعِ الدوابِّ على

الأرض، فعبَّرَ عنه بالبثِّ لتصويرِ ذلك الخلقِ العجيبِ المتكاثر، فالمعنى: وخلقَ فبثَّ فيها من كلِّ دابة.

{وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء}: ذكرَ أنه نظيرُ قولهِ تعالى: {وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ} (مع الآيةِ السابقةِ من سورةِ البقرة)، ومما قالَهُ هناك: السماءُ المفردُ هو الجوُّ والهواءُ المحيطُ بالأرض... وإسنادُ الإنزالِ إلى الله لأنه الذي أوجدَ أسبابَ نزولِ الماءِ بتكوينهِ الأشياءَ عند خلقِ هذا العالمِ على نظامٍ محكم.

١٢- **{وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ}**.

أشارَ إلى سبقِ تعريفِ (الحكمة) في سورةِ البقرة (الآية ٢٦٩)، قالَ هناك: الحكمةُ إتقانُ العلم، وإجراءُ الفعلِ على وفقِ ذلك العلم...

١٦- **{إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ}**.

قالَ في اسمِ الله تعالى (الخبير) في سورةِ الأنعام: الخبير: الموصوفُ بالعلمِ بالأمورِ التي شأنها أن يُخبِرَ عنها عِلماً موافقاً للواقع.

٢١- **{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ}**.

ذكرَ أنه تقدَّمَ في سورةِ البقرة {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا} (الآية ١٧٠). قالَ هناك: ذكرَ إعراضهم عمن يدعوهم إلى اتباعِ ما أنزل الله، وتشبَّثوا بعدمِ مخالفتهم ما أَلْفَوا عليه آباءهم، وأعرضوا عن الدعوةِ إلى غيرِ ذلك دونَ تأملٍ ولا تدبر.

{بَلْ} إضرابُ إبطال، أي: أضرَبوا عن قولِ الرسول: {اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ} إضرابَ إعراضٍ بدونِ حجة، إلاّ بأنه مخالفٌ لما ألفَوا عليه آباءهم.

ثم قال: المرادُ بما أَلْفَوْا عليه آباءهم: ما وَجَدوهم عليه من أمورِ الشرك. اهـ.

وذكرَ أن (السعير) تقدَّمَ في سورةِ الإسراء (الآية ٩٧)، قال: السعيرُ لهبُ النار، وهو مشتقٌّ من سعَّرَ النارَ إذا هيَّجَ وقودها.

٢٢- {وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى}.

أشارَ إلى تفسيرِهِ في سورةِ البقرة (الآية ٢٥٦)، قال: العروة: ما يُجعَلُ كالحلْقةِ في طرفِ شيءٍ ليقبضَ على الشيءِ منه، وقد تكونُ العروةُ في حبل، بأن يُشَدَّ طرفهُ إلى بعضهِ ويُعقَّد، فيصيرَ مثلَ الحلقةِ فيه. والاستمساكُ بالعروةِ الوثقَى تمثيليّ، شُبِّهتْ هيئةُ المؤمنِ في ثباتهِ على الإيمانِ بهيئةِ مَن أمسكَ بعروةٍ وثقَى من حَبلٍ وهو راكبٌ على صَعبٍ أو في سفينةٍ في هَولِ البحر، وهي هيئةٌ معقولةٌ شُبِّهتْ بهيئةٍ محسوسة.

٢٥- {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}.

{قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ} أي: إذْ قامتْ عليكم الحجَّة باعترافِكم. (ابن كثير). {بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ}: بل أكثرُ هؤلاءِ المشركينَ لا يعلمونَ مَن الذي له الحمد، وأينَ موضعُ الشكر. (الطبري).

٢٩- {وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ}.

ذكرَ أن الكلامَ مرَّ عليه في سورةِ الأعراف {وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ}. الآيةِ (٥٤)، ومما قالَهُ هناك: ... وهي من أعظمِ المخلوقاتِ التي اشتملت عليها السّماوات... وأُطلِقَ التسخيرُ فيه مجازاً على جعلِها خاضعةً للنّظامِ الذي خلقها الله عليه بدونِ تغيير، مع أن شأنَ عظمِها أن لا يستطيعَ غيرهُ تعالى وضعَها على نظامٍ محدودٍ منضبط. ولفظُ الأمرِ في قوله: {بِأَمْرِهِ} مستعملٌ مجازاً في التصريفِ بحسبِ القدرةِ الجاريةِ على وفقِ الإرادة.

٣٢- {وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ}

بأدلَّتِنا وحُجَجِنا. (الطبري).

٣٤- {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ}.

{السَّاعَةِ}: القيامة.

{الْغَيْثَ}: المطر. (روح البيان).

سورة السجدة

٣- {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ}.

ذكرَ عند تفسيرِ الآيةِ (٩٤) من سورةِ آلِ عمران، أن الافتراءَ هو الكذب، وهو مرادفُ الاختلاق، وكأن أصلَهُ كنايةٌ عن الكذبِ وتلميح، وشاعَ ذلك حتى صارَ مرادفًا للكذب.

٤- {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ تفسيرهُ في سورةِ الأعراف (الآية ٥٤) {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}، ومختصرُ تفسيرِهِ لها: ... تعليمٌ بعظيمِ قدرته، ويحصلُ منه للمشركين زيادةُ شعورٍ بضلالهم في تشريكِ غيرِهِ في الإلهية. وقد اقتضتْ حكمةُ الله تعالى أن يكونَ خلقُ السّماواتِ والأرضِ مدرجاً، وأن لا يكونَ دفعة... وأيًّا ما كان، فالأيامُ مرادٌ بها مقادير، لا الأيامُ التي واحدُها يوم، الذي هو من طلوعِ الشمسِ إلى غروبها، إذ لم تكنْ شمسٌ في بعضِ تلك المدة. والتعمُّقُ في البحثِ في هذا خروجٌ عن غرضِ القرآن.

والاستواءُ له معانٍ متفرّعةٌ عن حقيقته، أشهرها: القصدُ والاعتلاء، وقد التُزِمَ هذا اللَّفظُ في القرآنِ مسنداً إلى ضميرِ الجلالةِ عند الإخبارِ عن أحوالٍ سماوية، كما في هذه الآية. ونظائرُها سبعُ آيات من القرآن...

١٢- {رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا}

نعملْ فيها بطاعتك. (الطبري)، حسبما تقضيهِ تلك الآيات. (روح البيان).

١٥- {وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ}.

وسبَّحوا اللهَ في سجودهم بحمده، فيبرِّؤونَهُ ممَّا يصفهُ أهلُ الكفرِ به، ويضيفونَ إليه من الصاحبةِ والأولادِ والشركاءِ والأنداد. (الطبري).

١٦- {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ}.

جمعُ جَنْب، وهو شِقُّ الإنسانِ وغيره. والمعنى: ترتفعُ وتتنحَّى أضلاعُهم. (روح البيان).

١٩- {أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلاً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.

{آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}: الذين صدَّقوا الله ورسوله، وعملوا بما أمرهم الله ورسوله.

{بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}: جزاءً منه لهم بما كانوا يعملون في الدنيا بطاعته (الطبري).

٢٠- {وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ في سورةِ الحج {كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا} (الآية ٢٢). قال: لشدَّةِ ما يغمُّهم، أي: يمنعهم من التنفس، يحاولون الخروج، فيُعَادون فيها، فيحصلُ لهم ألمُ الخيبة، ويقالُ لهم: ذوقوا عذابَ الحريق. والحريق: النارُ الضخمةُ المنتشرة. وهذا القولُ إهانةٌ لهم، فإنهم قد علموا أنهم يذوقونه.

٢٣- {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ}.

وهو التوراة. (ابن كثير).

٢٤- {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا}

جمعُ إمام، والإمام: الذي يؤتَمُّ به في خيرٍ أو شرّ، وأُريدَ بذلك في هذا الموضعِ أنه جعلَ منهم قادةً في الخيرِ يؤتَمُّ بهم، ويُهْتَدى بهديهم. (الطبري).

٢٧- {تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ}.

ذكرَ عند تفسيرِ الآيةِ (١٤٢) من سورةِ الأنعام، أنها الإبلُ والبقرُ والشاءُ والمعز.

سورة الأحزاب

٥- {ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ}.

{أَقْسَطُ}: القِسطُ - بالكسرِ - العدل.

{وَمَوَالِيكُمْ}: وأولياؤكم فيه [في الدين] أي: فادعوهم بالأخوَّةِ الدينيةِ والمولوية، وقولوا: هذا أخي، وهذا مولاي، بمعنى الأخوَّةِ والولايةِ في الدين، فهو من الموالاةِ والمحبة. (روح البيان).

٨- {وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا}.

أي: موجِعًا. (ابن كثير).

١٣- {إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَارًا}.

أي: ما يريدون إلا الهربَ من القتال. وقيل: المراد: ما يريدون إلا الفرارَ من الدين. (فتح القدير).

١٩- {تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ}.

أي: دورانًا كائنًا كدورانِ عينِ المغشَى عليه من معالجةِ سكراتِ الموتِ حذرًا وخوفًا والتجاءً بك. يقال: غُشِيَ على فلانٍ إذا نابَهُ ما غشيَ فهمه، أي: ستره. (روح البيان).

٢١- {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}.

المرادُ بـ {مَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ} المؤمنون، فإنهم الذين يرجون الله ويخافون عذابه، ومعنى يرجون الله: يرجون ثوابَهُ أو لقاءه، ومعنى يرجون اليومَ الآخِر: أنهم يرجون رحمةَ الله فيه، أو يصدِّقون

بحصـوله، وأنه كائنٌ لا محالة. وهذه الجملةُ تخصـيصٌ بعد التعميمِ بالجملةِ الأولى. {وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيراً} معطوفٌ على {كَـانَ}، أي: ولمن ذكرَ الله في جميعِ أحوالـهِ ذكراً كثيراً. وجمعَ بين الرجاءِ لله والذكرِ له، فإنَّ بذلك تتحققُ الأسوةُ الحسنةُ برسولِ الله صلى الله عليه وسلم. (فتح القدير).

٢٢- {**وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ**}.

جماعاتِ الكفّار. (الطبري). أي: الجنودَ المجتمعةَ لمحاربةِ النبيّ عليه السـلامُ وأصـحابهِ يومَ الخندق. (روح البيان).

٢٣- {**فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً**}.

{وَمِنْهُم} أي: وبعضـهم، {مَّن يَنتَظِرُ} قضـاءَ نذره، لكونهِ مؤقتًا، كعثمانَ وطلحةَ وغيرهما، فإنهم مسـتمرون على نذورهم، وقد قضَـوا بعضـها، وهو الثباتُ مع رسـولِ الله، والقتال، إلى حينِ نزولِ الآيةِ الكريمة، ومنتظرون قضـاءَ بعضـها الباقي، وهو القتالُ إلى الموتِ شـهيدًا. وفي وصفهم بالانتظارِ إشارةٌ إلى كمالِ اشتياقهم إلى الشهادة.

{وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً} أي: وما بدَّلوا عهدَهم وما غيَّروهُ تبديلًا ما، لا أصلًا ولا وصفًا، بل ثبتوا عليه راغبين فيه، مراعين لحقوقهِ على أحسنِ ما يكون (روح البيان).

٢٤- {**لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ**}.

ليُثيبَ الله أهلَ الصدقِ بصدقِهمُ اللهَ بما عاهدوهُ عليه، ووفائهم له به. (الطبري).

٢٥- {**وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا**}.

لم يصـيبوا ما أرادوا من الغلبة. وسمّاها خيرًا لأن ذلك كان عندهم خيرًا، فجاءَ على استعمالهم وزعمهم. (روح البيان).

٢٧- {**وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا**}.

وكانَ اللهُ على أنْ أورثَ المؤمنينَ ذلك، وعلى نصرهِ إيّاهم، وغيرِ ذلكَ منَ الأمور، ذا قدرة، لا يتعذَّرُ عليه شيءٌ أراده، ولا يمتنعُ عليه فعلُ شيءٍ حاولَ فعلَه. (الطبري).

الجزء الثاني والعشرون

٣١- {وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا}.

وتعملْ بما أمرَ اللهُ به. (الطبري).

٣٢- {يَانِسَاء النَّبِيّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاء إِنِ اتَّقَيْتُنّ}.

{إِنِ اتَّقَيْتُنَّ} الله، فأطعتنَّهُ فيما أمركنَّ ونهاكنّ. (الطبري).

٣٣- {وَأَقِمْنَ الصَّلاَةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ}.

{وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} في سائرِ الأوامرِ والنواهي. وقالَ بعضهم: أطعنَ الله في الفرائض، ورسولَهُ في السنن. (روح البيان).

٣٦- {وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا}.

أي: بيّنَ الانحرافِ عن سننِ الصواب. (روح البيان).

٣٨- {مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ}.

ضِيق. (روح البيان).

٣٩- {وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا}.

محاسِبًا لعبادهِ على أعمالهم. فينبغي أن يحاسِبَ العبدُ نفسَهُ قبلَ محاسبةِ الله إيّاه، ولا يخافَ غيرَ الله، لا في أمرِ النكاحِ ولا في غيره، إذا علمَ أن رضَى الله وحكمَهُ فيه. (روح البيان).

٥٠- {قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ}.

فإن جميعهنَّ إذا كنَّ مؤمناتٍ أو كتابيات، لهم حلالٌ بالسباءِ والتسرّي، وغيرِ ذلك من أسبابِ الملك. (الطبري).

٥١- {وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكَ}.
لا إثمَ عليك. (البغوي).

٥٥- {لاَّ جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلاَ أَبْنَائِهِنَّ وَلاَ إِخْوَانِهِنَّ وَلاَ أَبْنَاء إِخْوَانِهِنَّ وَلاَ أَبْنَاء أَخَوَاتِهِنَّ وَلاَ نِسَائِهِنَّ وَلاَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا}.
{لاَّ جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ}: لا إثمَ عليهنّ. (روح المعاني).
{وَاتَّقِينَ اللَّهَ}: أي: واخشينَهُ في الخلوةِ والعلانية. (ابن كثير)، {وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ} في كلِّ ما تأتُنَّ وتذرُنَّ، لا سيَّما فيما أُمِرتُنَّ به وما نُهيتُنَّ عنه. وفي "البحر": في الكلامِ حذف، والتقدير: اقتصرنَ على هذا واتقينَ الله تعالى فيه أن تتعدَّينَهُ إلى غيره. وفي نقلِ الكلامِ من الغيبةِ إلى الخطابِ فضلُ تشديدٍ في طلبِ التقوى منهنّ. {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا}: لا تخفَى عليه خافية، ولا تتفاوتُ في علمهِ الأحوال، فيجازي سبحانهُ على الأعمالِ بحسبها. (روح المعاني).

٥٦- {إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ}.
ذكرَ أن الصلاةَ من الله وملائكتهِ تقدَّمَ الكلامُ عليها عند قولهِ تعالى: {هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلاَئِكَتُهُ} (الآية ٤٣ من السورة). قالَ هناك: الصلاة: الدعاءُ والذكرُ بخير، وهي من الله: الثناء، وأمرهُ بتوجيهِ رحمتهِ في الدنيا والآخرة، أي: اذكروهُ ليذكركم، كقوله: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ} [سورة البقرة: ١٥٢]، وقولهِ في الحديثِ القدسي: "فإنْ ذكرَني في نفسهِ ذكرتُه في نفسي، وإنْ ذكرَني في ملأٍ ذكرتُهُ في ملأٍ خيرٍ منهم". وصلاةُ الملائكة: دعاؤهم للمؤمنين. فيكون دعاؤهم مستجاباً عند الله، فيزيدُ الذاكرين على ما أعطاهم بصلاتهِ تعالى عليهم.

٥٨- {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا}.
أي: بغيرِ جنايةٍ يستحقُّون بها الأذيَّة. (روح البيان).

٦٢- {سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا}.

أي: سنَّ الله ذلك في الأممِ الماضيةِ سنَّة، وجعلَهُ طريقةً مسلوكةً من جهةِ الحكمة. (روح البيان).

٦٣- {يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ}.

{عَنِ السَّاعَةِ}: عن وقتِ قيامها. والساعةُ جزءٌ من أجزاءِ الزمان، ويعبَّرُ بها عن القيامةِ تشبيهًا بذلك لسرعةِ حسابها. (روح البيان).

وقالَ مؤلِّفُ الأصلِ عند تفسيرِهِ الآيةَ الثالثةَ من سورةِ سبأ: الساعةُ علَمٌ بالغلَبةِ في القرآنِ على يومِ القيامةِ وساعةِ الحشر.

{قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ}: قلْ لهم: إنما علمُ الساعةِ عندَ الله، لا يعلمُ وقتَ قيامِها غيره. (الطبري).

٦٤- {إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا}.

أي: طردَهم وأبعدَهم من رحمتهِ العاجلةِ والآجلة. (روح البيان).

٦٨- {رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا}

واخزِهم خزيًا كبيرًا. (الطبري).

وأبعِدْهم مِن رحمتِكَ بُعدًا كثيرًا. (الواضح).

٧١- {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}.

فقد ظفرَ بالكرامةِ العظمَى من الله.... (الطبري).

سورة سبأ

٣- {لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ وَلاَ أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِين}.

{مِثْقَالُ ذَرَّةٍ}: ذكرَ أن معناهُ تقدَّمَ في سورةِ يونس (الآية ٦١). قالَ هناك: المِثقال اسمُ آلةٍ لما يُعرَفُ به مقدارُ ثِقَلِ الشيء، فهو وزنُ مِفعال، من ثَقُل، وهو اسمٌ لصنجٍ مقدَّرٍ بقدرٍ معيَّنٍ يوزَنُ به الثقل. والذرَّة: النملةُ الصغيرة، ويطلقُ على الهباءةِ التي تُرَى في ضوءِ الشمسِ كغبارٍ دقيقٍ جدًّا. والظاهرُ أن المرادَ في الآيةِ الأولُ. وذُكرتِ الذرَّةُ مبالغةً في الصغرِ والدقَّة، للكنايةِ بذلك عن إحاطةِ العلمِ بكلِّ شيء، فإن ما هو أعظمُ من الذرَّةِ يكونُ أولَى بالحكم. اهـ.

{فِي كِتَابٍ مُّبِين}: هو اللوحُ المحفوظ، المظهِرُ لكلِّ شيء. وإنما كُتِبَ جريًا على عادةِ المخاطبين، لا مخافةَ نسيان، وليُعلَمَ انه لم يقعْ خللٌ وإن أتى عليه الدهر. (روح البيان).

١٢- {وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ}.

أي: بقدرهِ وتسخيرهِ لهم بمشيئتهِ ما يشاءُ من البناياتِ وغيرِ ذلك. (ابن كثير).

١٤- {فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ}.

القضاء: الحكمُ والفصل. والموت: زوالُ القوةِ الحسّاسة، أي: لما حكمنا على سليمانَ بالموت، وفصَلناهُ به عن الدنيا. (روح البيان).

٢٣- {وَلاَ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ}.

الشفاعةُ هي طلبُ العفوِ أو الفضلِ للغيرِ من الغير، يعني أن الشافعَ شفيعٌ للمشفوعِ له في طلبِ نجاتهِ أو زيادةِ ثوابه، ولذا لا تطلقُ الشفاعةُ على دعاءِ الرجلِ لنفسه... (روح البيان).

٢٥- {قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا}.

الجرمُ – بالضمِّ – الذنبُ، وأصلهُ القطع، واستُعيرَ لكلِّ اكتسابٍ مكروه، كما في المفردات، أي: فعلنا واكتسبنا من الصغائرِ والزلّاتِ التي لا يخلو منها مؤمن. (روح البيان).

٢٨- {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا}.

ذكرَ أن البشيرَ والنذيرَ تقدَّمَ تفسيرهما في الآية: {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا} من سورةِ البقرة (الآية ١١٩). قال: حالان، وهما بزنةِ (فعيل) بمعنى فاعل، مأخوذان من (بشَّرَ) المضاعف، و (وأنذرَ) المزيد. اهـ.

قالَ ابنُ كثير رحمَهُ الله: أي: تبشِّرُ من أطاعكَ بالجنة، وتُنذِرُ من عصاك بالنار.

٣٢- {قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا}.

قالَ المؤلفُ في الآيةِ السابقة: {ٱسْتُضْعِفُواْ} أي: الذين يعدُّهم الناسُ ضعفاءَ لا يؤبَهُ بهم، وإنما يعدُّهم الناسُ كذلك لأنهم كذلك، ويُعلَمُ أنهم يَستضعِفون أنفسهم بالأولى؛ لأنهم أعلمُ بما في أنفسهم. والضعفُ هنا: الضعفُ المجازي، وهو حالةُ الاحتياجِ في المهماتِ إلى من يضطلعُ بشؤونهم ويَذبُّ عنهم ويصرِّفُهم كيف يشاء. ومن مشمولاتهِ الضعةُ والضراعة، ولذلك قوبل بـ (الذين استَكبروا)، أي: عدُّوا أنفسهم كبراءَ، وهم ما عدُّوا أنفسهم كبراءَ إلا لما يقتضي استكبارهم؛ لأنهم لو لم يكونوا كذلك لوُصِفوا بالغرورِ والإعجابِ الكاذب.

٣٣- {وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا}.

قالَ المؤلفُ في الآيةِ (٣١) من السورة: {قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا}: {ٱسْتُضْعِفُواْ} أي: الذين يعدُّهم الناسُ ضعفاءَ لا يؤبَهُ بهم، وإنما يعدُّهم الناسُ كذلك لأنهم كذلك، ويُعلَمُ أنهم يَستضعِفون أنفسهم بالأولى؛ لأنهم أعلمُ بما في أنفسهم. والضعفُ هنا: الضعفُ المجازي، وهو حالةُ الاحتياجِ في المهماتِ إلى من يضطلعُ بشؤونهم ويَذبُّ عنهم ويصرِّفُهم كيف يشاء. ومن مشمولاتهِ الضعةُ والضراعة، ولذلك قوبل بـ (الذين استَكبروا)، أي: عدُّوا أنفسهم كبراءَ، وهم ما عدُّوا أنفسهم كبراءَ إلا لما يقتضي استكبارهم؛ لأنهم لو لم يكونوا كذلك لوُصِفوا بالغرورِ والإعجابِ الكاذب.

٣٧- {وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا}.
أي: وما الأموال والأولادُ تقرّبُ أحدًا إلا المؤمنَ الصالح، الذي أنفقَ أموالَهُ في سبيلِ الله، وعلَّمَ أولادَهُ الخير، وربّاهم على الصلاحِ والطاعة. (روح البيان).

٣٨- {وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ}.
{آيَاتِنَا} القرآنية، بالردِّ والطعنِ فيها، ويجتهدون في إبطالها. (روح البيان).

٤٢- {فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا}.
أي: يومَ الحشر. (روح البيان).

٤٣- {قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ}.
أي: يمنعَكم ويصرفَكم. (روح البيان).

٤٤- {وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ}.
{وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مّن نَّذِيرٍ} يدعوهم إلى الحقّ، ويُنذرهم بالعذاب، فليس لتكذيبهم بالقرآنِ وبالرسولِ وجه، ولا شبهةٌ يتشبَّثون بها. قالَ قتادة: ما أنزلَ الله على العربِ كتاباً قبلَ القرآن، ولا بعثَ إليهم نبيًّا قبلَ محمدٍ صلى الله عليه وسلم. (فتح القدير)، وقد كانوا يودُّون ذلك، يقولون: لو جاءنا نذير، أو أُنزِلَ علينا كتاب، لكنّا أهدَى من غيرنا، فلمّا منَّ الله عليهم بذلك، كذَّبوهُ وجحدوهُ وعاندوه. (ابن كثير).

٤٥- {وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ}.
ما آتينا أولئك من قوةِ الأجسام، وكثرةِ الأموالِ والأولاد، وطولِ الأعمار. (روح البيان).

سورة فاطر

١- {الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلاَئِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاء إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير}.

{الْحَمْدُ لِلَّهِ}: ذكرَ أنه تقدَّمَ في أولِ سورةِ الفاتحة، قالَ هناك ما مختصره: يخبرُ أن المستحقَّ للحمدِ هو الله عزَّ وجلّ، وفيه تعليمُ الخلق، تقديره: قولوا: الحمدُ لله. والحمدُ يكونُ بمعنى الشكرِ على النعمة، ويكونُ بمعنى الثناءِ عليه بما فيه من الخصالِ الحميدة. اهـ.

{إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير}: إنَّ اللهَ تعالَى ذكرهُ قديرٌ على زيادةِ ما شاءَ مِن ذلكَ فيما شاء، ونقصانِ ما شاءَ منه ممَّن شاء، وغيرِ ذلكَ مِن الأشياءِ كلِّها، لا يمتنعُ عليهِ فعلُ شيءٍ أرادَهُ سبحانهُ وتعالَى. (الطبري).

٧- {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ}.

والذين صدَّقوا الله ورسوله، وعملوا بما أمرهم الله، وانتهَوا عمّا نهاهم عنه. (الطبري).

٩- {وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا}.

اللهُ سبحانَهُ هو الذي بعثَ الرِّياحَ لتحرِّكَ السَّحابَ وتنشرَهُ... (الواضح).

١٠- {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ}.

{الطَّيِّبُ}: إلى الله يصعدُ ذكرُ العبدِ إيّاه، وثناؤهُ عليه.

{الصَّالِحُ}: وهو العملُ بطاعته، وأداءُ فرائضه، والانتهاءُ إلى ما أمرَ به. (الطبري).

{لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ} أي: لهم بسببِ مكرِهم عذابٌ شديدٌ لا يُقادَرُ قَدره، ولا يُعبَأُ بالنسبةِ إليهِ بما يمكرون. (روح المعاني).

١٢- {وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُون}.

تفسيرُ الآية: {وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ} أي: تمخرهُ وتشقُّهُ بحيزومها، وهو مقدمها المسنم، الذي يشبهُ جؤجؤَ الطير، وهو صدره. {لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ} أي: بأسفاركم بالتجارةِ من قطرٍ إلى قطر، وإقليمٍ إلى إقليم. {وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} أي: تشكرون ربَّكم على تسخيرهِ لكم هذا الخَلق العظيم، وهو البحر، تتصرَّفون فيه كيف شئتم، تذهبون أين أردتم، ولا يمتنع عليكم شيءٌ منه، بل بقدرتهِ قد سخرَ لكم ما في السماواتِ وما في الأرض، الجميعُ من فضلهِ ورحمته. (ابن كثير، باختصار).

١٣- {يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ في سورةِ لقمان (الآية ٢٩)، قالَ ما ملخصه: الإيلاج: الإدخال. وهو هنا تمثيلٌ لتعاقبِ الظُّلمةِ والضياء، بولوجِ أحدهما في الآخر. والابتداءُ بالليلِ لأن أمرَهُ أعجب، كيف تغشَى ظُلمتهُ تلك الأنوارَ النهارية. والجمعُ بين إيلاجِ الليلِ وإيلاجِ النهارِ لتشخيصِ تمامِ القدرة، بحيثُ لا تُلازمُ عملاً متماثلاً. والكلامُ على تسخيرِ الشمسِ والقمرِ مضى في سورةِ الأعراف. اهـ.

ويعني في الآيةِ (٥٤) منها {وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ}. ومما قالَهُ هناك: ... وهي من أعظمِ المخلوقاتِ التي اشتملت عليها السّماوات... وأُطلِقَ التسخيرُ فيه مجازاً على جعلِها خاضعةً للنّظامِ الذي خلقها الله عليه بدونِ تغيير، مع أن شأنَ عظمِها أن لا يستطيعَ غيرهُ تعالى وضعَها على نظامٍ محدودٍ منضبط. ولفظُ الأمرِ في قوله: {بِأَمْرِهِ} مستعملٌ مجازاً في التصريفِ بحسبِ القدرةِ الجاريةِ على وفقِ الإرادة.

١٨- {وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ}.

تطهَّرَ من أوضارِ الأوزارِ والمعاصي بالتأثرِ من هذه الإنذارات، وأصلحَ حالَهُ بفعلِ الطاعات. (روح البيان).

٢٧- {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً}.

{أَنْزَلَ} بقدرتهِ وحكمتهِ {مِنَ السَّـــمَاءِ} أي: من الجهةِ العلوية: سماءً أو ســـحابًا (روح البيان)، {مَاءً}: غيثًا. (الطبري).

٢٨- **{وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ}**.

{وَالدَّوَابِّ}: جمعُ دابَّة، وهي ما يدبُّ على الأرضِ من الحيوان، وغلبَ على ما يُرْكَبُ من الخيلِ والبغالِ والحمير، ويقعُ على المذكر. {وَالْأَنْعَامِ}: جمعُ نَعَم، محرَّكة، وقد يُســـكَنُ عينه: الإبلُ والبقرُ والضـــأنُ والمعز، دونَ غيرها، فالخيلُ والبغالُ والحميرُ خارجةٌ عن الأنعام. (روح البيان).

٣٣- **{جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَـــاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُـــهُمْ فِيهَا حَرِيرٍ}**.

اقتصرَ على بيانِ معنى {يَدْخُلُونَهَا}، وذكرَ أن تفسيرَ الآيةِ تقدَّمَ في سورةِ الحج. وقصدهُ الآيةُ (٢٣) منها: {إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـــالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَـاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُـهُمْ فِيهَا حَرِيرٍ}. ومختصـرُ قولهِ هناك: التحليةُ وضـعُ الحَلْي على أعضـاءِ الجسـم. والأسـاورُ جمعُ أَسـوِرة، الذي هو جمعُ سِـوار. أُشـيرَ بجمعِ الجمعِ إلى التكثير. ولما لم يُعهَدْ تحليةُ الرجالِ بالأسـاور، كان الخبرُ عنهم بأنهم يُحلَّون أسـاور، فجيءَ بالمؤكدِ لإفادةِ المعنى الحقيقي. {وَلُؤْلُؤًا} معطوفٌ على {أَسَـــاوِرَ}، أي: يحلَّون لؤلؤاً، أي: عقوداً ونحوها. والمعنى: أساورَ من ذهب، وأساورَ من لؤلؤ، وهو الدرّ، ويقالُ له: الجمانُ والجوهر. وهو حبوبٌ بيضـــاءُ وصـــفراءُ ذاتُ بريقٍ رقراق، تُســـتخرَجُ من أجوافِ حيوانٍ مائي حَلزوني مســـتقرٍّ في غلافٍ ذي دفَّتين مغلقتين عليه. والحريرُ يطلقُ على ما نُسِـــجَ من خيوطِ الحرير. ومن أصنافِ ثيابِ الحرير: السندسُ والإستبرق... اهـ.

ومعنى {جَنَّاتُ عَدْنٍ}: بساتينُ إقامة. (الطبري).

٣٩- **{فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ}**.

أي: فإنما يعودُ وبالُ ذلك على نفسهِ دونَ غيره. (ابن كثير).

٤٠- {بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلاَّ غُرُورًا}.

ذكرَ أن معناهُ تقدَّمَ عند قولهِ تعالى: {لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ} [سورة آل عمران: ١٩٦]. قالَ هناك: الغرُّ والغرور: الإطماعُ في أمرٍ محبوبٍ على نيَّةِ عدمِ وقوعه، أو إظهارُ الأمرِ المضرِّ في صورةِ النافع، وهو مشتقٌّ من الغِرَّة، وهي الغفلة. وهو هنا مستعارٌ لظهورِ الشيءِ في مظهرٍ محبوب، وهو في العاقبةِ مكروه. (باختصار).

٤٢- {فَلَمَّا جَاءهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلاَّ نُفُورًا}.

تباعدًا عن الحقِّ والهدى. (روح البيان).

٤٤- {وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً}.

وأطولَ أعماراً، وأكثرَ أموالاً، وأقوى أبداناً. (فتح القدير)، يخبركم أنه أعطَى القومَ ما لم يعطكم. (الطبري).

سورة يس

١٠- {وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ}.

الإنذار: إخبارٌ فيه تخويف، كما أن التبشيرَ إخبارٌ فيه سرور. (مفردات الراغب).

١١- {إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ}.

الإنذار: إخبارٌ فيه تخويف.. (مفردات الراغب).

١٥- {قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ}

{إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ} في قيلِكم إنكم إلينا مرسَلون. (الطبري). {إِنْ أَنْتُـمْ} أي: ما أنتم، {إِلاَّ تَكْذِبُونَ} في دعوَى رسالته. (روح البيان).

١٦- {قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ}.

أي: أجابتهم رسلُهم الثلاثةُ قائلين: اللهُ يعلمُ أنّا رُسلهُ إليكم، ولو كنّا كذَبةً عليه لانتقمَ منّا أشدَّ الانتقام، ولكنَّهُ سيُعزُّنا وينصرُنا عليكم، وستعلمون لمن تكونُ عاقبةُ الدار.. (ابن كثير).

١٨- {قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ}.

{لَنَرْجُمَنَّكُمْ}: لنقتلنَّكم، وقال قتادة: بالحجارة. (البغوي).

{وَلَيَمَسَّنَّكُمْ}: ولينالنَّكم. (الطبري).

٢٢- {وَمَا لِي لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُون}.

أي: يومَ المعاد، فيجازيكم على أعمالكم: إنْ خيراً فخير، وإنْ شرًّا فشرّ. (ابن كثير).

٢٣- {إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَن بِضُرٍّ لاَّ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا}.

قال: وجاءَ بوصفِ {الرَّحْمن} دونَ اسمِ الجلالة، للوجهِ المتقدِّمِ آنفاً، عند قولهِ تعالى: {قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمن مِن شَيْءٍ}. وقد قالَ هناك: اختيارُ وصفِ {الرَّحْمن} في حكايةِ قولِ الكفرة: {وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمن مِن شَيْءٍ}؛ لكونهِ صالحاً لعقيدةِ الفريقين؛ لأن اليونانَ لا يعرفون اسمَ الله، وربُّ الأربابِ عندهم هو زفس وهو مصدرُ الرحمةِ في اعتقادهم، واليهودُ كانوا يتجنَّبون النطقَ باسمِ الله، الذي هو في لغتهم (يَهْوَه)، فيعوِّضونَهُ بالصفات.

٢٤- {إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}.

... فإن إشراكَ ما يُصنَعُ وليس من شأنهِ النفعُ ولا دفعُ الضرِّ بالخالقِ المقتدرِ الذي لا قادرَ غيرهُ ولا خيرَ إلا خيره، ضلالٌ وخطأ بيّنٌ، لا يخفَى على من له أدنَى تمييز. (روح المعاني).

٣٠- {يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}.

أي: يكذّبونه ويستهزؤون به، ويجحدون ما أُرسِلَ به من الحق. (ابن كثير).

٣٣- {وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ}.

{وَءَايَةٌ لَّهُمُ} أي: دلالةٌ لهم على وجودِ الصانعِ، وقدرتِهِ التامَّة، وإحيائهِ الموتَى.

{فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ} أي: جعلناهُ رزقاً لهم ولأنعامهم. (ابن كثير).

٣٤- {وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ}.

{وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ}: وجعلنا في هذه الأرضِ التي أحييناها بعد موتها بساتين.

{وَفَجَّرْنا فِيها مِنَ العُيُونِ}: وأنبعنا فيها من عيونِ الماء. (الطبري).

٣٩- {وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ}.

أشارَ إلى سابقِ تفسيرِهِ لها في سورة يونس {وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ} (الآية ٥)، ومما قالَهُ هناك: المنازلُ جمعُ منزل، وهو مكانُ النزول. والمرادُ بها هنا المواقعُ التي يظهرُ القمرُ في جهتها كلَّ ليلةٍ من الشهر. وهي ثمانٍ وعشرون منزلة، على عددِ ليالي الشهرِ القمري. وإطلاقُ اسمِ المنازلِ عليها مجازٌ بالمشابهة، وإنما هي سُمُوتٌ، يلوحُ للناسِ القمرُ كلَّ ليلةٍ في سَمْتٍ منها، كأنهُ ينزلُ بها. وقد رصدها البشرُ فوجدوها لا تختلف...الخ.

٤١- {وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ}.

{وَآيَةٌ لَّهُمْ}: ودليلٌ لهم أيضاً، وعلامةٌ على قدرتِنا على كلِّ ما نشاء.

{الْمَشْحُون}: المملوء. (الطبري).

٤٥- {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}.

احذروا. (الطبري).

٤٦- {وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ}.
يقال: أعرضَ أي: أظهرَ عَرضه، أي: ناحيته. أي: وما تأتيهم من آيةٍ من آياتِ ربِّهم في حالٍ من الأحوال إلا حالَ إعراضِهم عنها، على وجهِ التكذيبِ والاستهزاء. (روح البيان، باختصار).

٤٧- {إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ}.
ذهابٍ عن الحقّ. (الطبري).

٤٨- {وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}
{إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} فيما تقولونَ وتَعِدون، فأخبِرونا بذلك. (روح المعاني).

٥١- {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ}.
ذكرَ عند تفسيرِهِ الآيةَ (٧٣) من سورة الأنعام، أن الصورَ هو البوق.

٥٢- {هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ}.
أي: هذا البعثُ هو الذي وعدَهُ الرحمن في الدنيا، وأنتم قلتم: متى هذا الوعد، إنكارًا. (روح البيان).

٥٣- {إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً}.
قالَ في تفسيرها، في الآيةِ (٤٩) من السورة: الصيحة: الصوتُ الشديدُ الخارجُ من حلقِ الإنسان، لزجرٍ أو استغاثة. وأُطلقتِ الصيحةُ في مواضعَ في القرآنِ على صوتِ الصاعقة، كما في قولهِ تعالى في شأنِ ثمود: {فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ} [سورة الحجر: ٧٣]. فالصيحةُ هنا تحتملُ المجاز، أي: ما ينتظرون إلا صعقة، أو نفخةً عظيمة.

٧٣- {وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ}.

من أصوافها وأوبارها وأشعارها ونسلها. (البغوي).

٨١- {أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ}.

{السَّمَاوَاتِ} أي: الأجرامَ العلويَّةَ وما فيها، {وَالْأَرْضَ} أي: الأجرامَ السفليَّةَ وما عليها، مع كبرِ جرمهما وعظمِ شأنهما. (روح البيان).

سورة الصافات

٢١- {هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ}.

{الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ} في الدنيا فتنكرونه. (الطبري)، أي: كنتم على الاستمرارِ تكذِّبون به، وتقولون: إنه كذبٌ ليس له أصلٌ أبدًا. (روح البيان).

٣١- {فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ}.

قالَ في معنى الكلمةِ عند تفسيرِ الآيةِ (٣٥) من سورةِ التوبة {فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُون}: الذوق: مجازٌ في الحسِّ بعلاقةِ الإطلاق.

٣٨- {إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ}.

{لَذَائِقُو} قالَ في معنى الكلمةِ عند تفسيرِ الآيةِ (٣٥) من سورةِ التوبة {فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُون}: الذوق: مجازٌ في الحسِّ بعلاقةِ الإطلاق. اهـ.

{الْأَلِيمِ}: الموجعِ في الآخرة. (الطبري).

٤٣- {فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ}.

في جنَّاتٍ عاليةٍ واسعة، ليسَ فيها إلاّ الراحةُ والنَّعيم. (الواضح).

٥٩- {إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ}.

{إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى} التي كانت في الدنيا؟ وهي متناولةٌ لما في القبرِ بعدَ الإحياءِ للسؤال، قالَهُ تصديقًا لقولهِ تعالى: {لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى} [سورة الدخان: ٥٦] أي: لا نموتُ في الجنةِ أبدًا سوى موتتنا الأولى في الدنيا؟ (روح البيان)، {وَمَا نَحْنُ بِمُعَذّبِينَ}؟ يقول: وما نحن بمعذَّبين بعدَ دخولِنا الجنَّة؟ (الطبري).

٦٤- {إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ}.

أي: أصلُ منبتِها في قرارِ النار. (ابن كثير).

٦٩- {إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ}.

وجدوا. (ابن كثير).

٧٤- {إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ}.

قالَ في معناها، في الآيةِ (٤٠) من السورة: و{الْمُخْلَصِينَ} صفةُ عبادِ الله، وهو بفتحِ اللامِ إذا أُريدَ الذين أخلصهم الله لولايته، وبكسرها أي: الذين أخلصوا دينهم لله.

٩٣- {فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ}.

أي: كان يضربهم بيدهِ اليمنى؛ لأنها أقوى على العملِ من الشمال. وقيل: باليمين، أي: بالقوة... (البغوي).

٩٧- {قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ}.

قالَ قومُ إبراهيمَ لمّا قالَ لهم إبراهيم: {قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُون . وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُون}: ابنُوا لإبراهيمَ بنياناً. ذُكِرَ أنهم بنوا له بنياناً يشبهُ التنُّور، ثم نقَلوا إليه الحطب، وأوقدوا عليه، {فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ}. (الطبري).

٩٨- {فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَسْفَلِين}.

فـأرادَ قومُ إبراهيمَ بإبراهيمَ كيـداً، وذلـك مـا كـانوا أرادوا من إحراقـهِ بالنـار. يقولُ الله: {فَجَعَلْناهُمْ} أي: فجعلنا قومَ إبراهيمَ {الأَسْفَلِين} يعني: الأذلّينَ حُجَّة... (الطبري).

٩٩- {وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ}.

سيثبتني على الهدى الذي أبصرته، ويعينني عليه. (الطبري).

١٠٨- {وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِين}.

أشارَ إلى تقدُّمِ نظيرِ هذه الآياتِ عند ذكرِ نوحٍ عليه السلامُ في هذه السورة (الآيات ٧٨ – ٨١).

قالَ ما ملخصه: التَّركُ حقيقتهُ تخليفُ شيءٍ والتخلي عنه، وهو هنا مرادٌ به الدوام، على وجهِ المجازِ المرسلِ أو الاستعارة. وشرَفَ الله نوحاً بأن أبقَى نعمهُ عليه في أممٍ بعده. أي: تركنا ثناءً عليه، ويجوزُ أن يرادَ بقاءُ حسنِ ذكرِهِ بين الأمم.

١٠٩- {سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيم}.

قالَ في الآيةِ (٧٩)، وهي عن نوحٍ عليه السـلام: إنشـاءُ ثناءِ الله على نوح، وتحيةٌ له، ومعناهُ لازمُ التحية، وهو الرضى والتقريب... وتنوينُ {سَلَامٌ} للتعظيم.

١١٠- {كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِين}.

قالَ في الآيةِ (٨٠)، وهي عن نوحٍ عليه السـلام: مجازاةُ الله نوحاً بما عدَّهُ من النعمِ بأنَّ ذلك لأنه كان محسـناً، أي: متخلّقاً بالإحسـان، وهو الإيمانُ الخالص. والمعنى: إنّا مثلَ ذلك الجزاءِ نجزي المحسنين. (باختصار).

١١١- {إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِين}.

قالَ في الآيةِ (٨١)، وهي عن نوحٍ عليه السلام: أفادَ وصفهُ بـــ{إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا} أنه ممن استحقَّ هذا الوصف، وقد علمتَ غيرَ مرةٍ أن وصفَ عبدٍ إذا أُضيفَ إلى ضميرِ الجلالةِ أشعرَ بالتقريبِ ورفعِ الدرجة. اقتصرَ على وصفِ العبادِ بـــ{الْمُؤْمِنِين} تنويهاً بشأنِ الإيمان، ليزدادَ الذين آمنوا إيماناً، ويقلعَ المشركون عن الشرك.

١١٣- **{وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ}**.

يعني الذي قد أبانَ ظلمَهُ نفسَهُ بكفرِهِ بالله. (الطبري).

١١٩- **{وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الآخِرِين}**.

ذكرَ أن القولَ في الآياتِ الأربعِ كالقولِ في نظائرِهِ عند ذكرِ نوحٍ عليه السلامُ في هذه السورة (الآيات ٧٨ – ٨١).

قالَ ما ملخصه: التَّركُ حقيقتهُ تخليفُ شيءٍ والتخلي عنه، وهو هنا مرادٌ به الدوام، على وجهِ المجازِ المرسلِ أو الاستعارة. وشرَفَ الله نوحاً بأن أبقَى نعمهُ عليه في أممٍ بعده. أي: تركنا ثناءً عليه، ويجوزُ أن يرادَ بقاءُ حسنِ ذكرِهِ بين الأمم.

١٢٠- **{سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُون}**.

قالَ في الآيةِ (٧٩)، وهي عن نوحٍ عليه السلام: إنشاءُ ثناءِ الله على نوح، وتحيةٌ له، ومعناهُ لازمُ التحية، وهو الرضى والتقريب... وتنوينُ {سَلَامٌ} للتعظيم.

١٢١- **{إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِين}**.

قالَ في الآيةِ (٨٠)، وهي عن نوحٍ عليه السلام: مجازاةُ الله نوحاً بما عدَّهُ من النعمِ بأنَّ ذلك لأنه كان محسناً، أي: متخلِّقاً بالإحسان، وهو الإيمانُ الخالص. والمعنى: إنّا مثلَ ذلك الجزاءِ نجزي المحسنين. (باختصار).

١٢٢- **{إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِين}**.

قالَ في الآيةِ (٨١)، وهي عن نوحٍ عليه السلام: أفادَ وصفهُ بـــ{إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا} أنه ممن استحقَّ هذا الوصف، وقد علمتَ غيرَ مرةٍ أن وصفَ عبدٍ إذا أُضيفَ إلى ضميرِ الجلالةِ أشعرَ بالتقريبِ ورفعِ الدرجة. اقتصرَ على وصفِ العبادِ بـــ{الْمُؤْمِنِين} تنويهاً بشأنِ الإيمان، ليزدادَ الذين آمنوا إيماناً، ويقلعَ المشركون عن الشرك.

١٢٤- {إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ}.

تخافون الله. (ابن كثير).

١٢٨- {إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِين}.

قالَ في معناها، في الآيةِ (٤٠) من السورة: ذِكرُ المؤمنين بوصفِ العبوديةِ المضافةِ لله تعالى تنويهٌ بهم وتقريب، وذلك اصطلاحٌ غالبٌ في القرآن، في إطلاقِ العبدِ والعبادِ مضافاً إلى ضميرِهِ تعالى. و{الْمُخْلَصِينَ} صفةُ عبادِ الله، وهو بفتحِ اللامِ إذا أُريدَ الذين أخلصهم الله لولايته، وبكسرها أي: الذين أخلصوا دينهم لله. (باختصار)

١٢٩- {وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِين}.

أشارَ إلى تقدُّمِ نظيرِ هذه الآياتِ عند ذكرِ نوحٍ عليه السلامُ في هذه السورة (الآيات ٧٨ – ٨١).

قالَ ما ملخصه: التَّركُ حقيقتهُ تخليفُ شيءٍ والتخلي عنه، وهو هنا مرادٌ به الدوام، على وجهِ المجازِ المرسلِ أو الاستعارة. وشرَفَ الله نوحاً بأن أبقَى نعمهُ عليه في أممٍ بعده. أي: تركنا ثناءً عليه، ويجوزُ أن يرادَ بقاءُ حسنِ ذكرِهِ بين الأمم.

١٣٠- {سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِين}.

قالَ في الآيةِ (٧٩)، وهي عن نوحٍ عليه السلام: إنشاءُ ثناءِ الله على نوح، وتحيةٌ له، ومعناهُ لازمُ التحية، وهو الرضى والتقريب... وتنوينُ {سَلَامٌ} للتعظيم.

١٣١- {إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِين}.

قالَ في الآيةِ (٨٠)، وهي عن نوحٍ عليه السلام: مجازاةُ الله نوحاً بما عدَّهُ من النعمِ بأنَّ ذلك لأنه كان محسناً، أي: متخلِّقاً بالإحسان، وهو الإيمانُ الخالص. والمعنى: إنّا مثلَ ذلك الجزاءِ نجزي المحسنين. (باختصار).

١٣٢- {إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِين}.

قالَ في الآيةِ (٨١)، وهي عن نوحٍ عليه السلام: أفادَ وصفهُ بـ{إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا} أنه ممن استحقَّ هذا الوصف، وقد علمتَ غيرَ مرةٍ أن وصفَ عبدٍ إذا أُضيفَ إلى ضميرِ الجلالةِ أشعرَ بالتقريبِ ورفعِ الدرجة. اقتصرَ على وصفِ العبادِ بـ{الْمُؤْمِنِين} تنويهاً بشأنِ الإيمان، ليزدادَ الذين آمنوا إيماناً، ويقلعَ المشركون عن الشرك.

١٣٤- {إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِين}.

... من العذابِ الذي أحللناهُ بقومه، فأهلكناهم به. (الطبري).

١٣٥- {إِلاَّ عَجُوزًا فِي الْغَابِرِين}.

إلا عجوزاً في الباقين في العذاب، أو الماضين الذين قد هلكوا. (فتح القدير). وهي امرأةُ لوط. (الطبري). وكان نكاحُ الوثنياتِ والإقامةُ عليهنَّ جائزًا في شريعته. (روح البيان). والعجوزُ سمِّيتْ لعجزها في كثيرٍ من الأمور. (مفردات الراغب).

١٣٦- {ثُمَّ دَمَّرْنَا الآخَرِين}.

ثم قذفناهم بالحجارةِ من فوقهم، فأهلكناهم بذلك. (الطبري).

١٤٠- {إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ}.

السفينة. (الطبري وغيره).

١٤٨ {فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ}.

فمتَّعهم الله في الدنيا إلى حينِ انقضاءِ آجالهم ومنتهَى أعمارهم. (فتح القدير).

١٤٩- {فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ}.

قالَ في مثلها، في الآيةِ (١١) من السورة: ضميرُ الخطابِ منه موجَّهٌ إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم، أي: فسَلْهم، وهو سؤالُ محاجَّةٍ وتغليط. والاستفتاء: طلبُ الفتوى، بفتحِ الفاءِ وبالواو، ويقال: الفُتْيَا، بضمِّ الفاءِ وبالياء. وهي إخبارٌ عن أمرٍ يخفَى عن غيرِ الخواصِّ في غرضٍ ما...

١٥٢- {وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}

يقولون إنَّ اللهَ ولَدَ ولهُ ذرِّيَّة! (الواضح).

١٦٠- {إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ}.

قالَ في معناها، في الآيةِ (٤٠) من السورة: {الْمُخْلَصِينَ} صفةُ عبادِ الله، وهو بفتحِ اللامِ إذا أُريدَ الذين أخلصهم الله لولايته، وبكسرها أي: الذين أخلصوا دينهم لله.

١٦٣- {إِلاَّ مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ}.

إلا من قدَّرَ الله أنه سيدخلُ النار، أي: سبقَ له في علمِ الله الشقاوة. (البغوي).

١٧٨- {وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ}.

قالَ في تفسيرِ قولهِ تعالَى: {فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ} الآية (١٧٤) مِن السورةِ نفسِها: التولِّي حقيقتهُ المفارقة، كما تقدَّمَ في قصةِ إبراهيم {فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ} [سورة الصافات: ٩٠]، واستُعمِلَ هنا مجازاً في عدمِ الاهتمامِ بما يقولونه، وتركِ النكدِ من إعراضهم.

١٧٩- {وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ}.

فسَّرها في الآيةِ (١٧٥) من السورةِ {وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُون} بقوله: أي: تأمَّلْ أحوالهم ترَ كيف ننصركَ عليهم.

١٨٠- {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ}.

{عَمَّا يَصِفُونَ} من الولدِ والصاحبةِ والشريك. (النسفي).

١٨١- {وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ}.

أي: سلامُ الله عليهم في الدنيا والآخرة، لسلامةِ ما قالوهُ في ربِّهم وصحَّتهِ وحقِّيته. (ابن كثير). وقالَ صاحبُ الأصلِ في الآيةِ (٧٩) من السورة، وهي عن نوحٍ عليه السلام: إنشاءُ ثناءِ الله على نوح، وتحيةٌ له، ومعناهُ لازمُ التحية، وهو الرضى والتقريب... وتنوينُ {سَلَامٌ} للتعظيم.

١٨٢- {وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}.

والحمدُ لله ربِّ الثَّقلَين الجنِّ والإنس، خالصاً دونَ ما سواه، لأن كلَّ نعمةٍ لعبادهِ فمنه، فالحمدُ له خالصٌ لا شريكَ له، كما لا شريكَ له في نعمهِ عندهم، بل كلُّها من قِبَله، ومن عنده. (الطبري).

وقالَ صاحبُ الأصلِ عند تفسيرِ سورةِ الفاتحة، ما مختصره: يخبرُ أن المستحقَّ للحمدِ هو الله عزَّ وجلّ، وفيه تعليمُ الخلق، تقديره: قولوا: الحمدُ لله. والحمدُ يكونُ بمعنى الشكرِ على النعمة، ويكونُ بمعنى الثناءِ عليه بما فيه من الخصالِ الحميدة. والربُّ يكونُ بمعنى المالك، كما يقالُ لمالكِ الدار: ربُّ الدار. ويقال: ربُّ الشيءِ إذا ملكه، ويكونُ بمعنى التربيةِ والإصلاح، يقال: ربَّ فلانٌ الضيعةَ يَرُبُّها إذا أتمَّها وأصلحها، فهو ربّ، مثلُ طبَّ، وبَرَّ. فالله تعالى مالكُ العالمين ومربّيهم، ولا يقالُ للمخلوقِ هو الربُّ معرَّفاً، إنما يقال: ربُّ كذا، مضافاً، لأن الألفَ واللامَ للتعميم، وهو لا يملكُ الكلّ. و{الْعَالَمِين} جمعُ عالَم، لا واحدَ له من لفظه. قالَ ابنُ عباس: هم الجنُّ والإنس؛ لأنهم المكلَّفون بالخطاب.

سورة ص

٥- {أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا}.

أي: صيَّرها إلهاً واحداً، وقصرها على الله سبحانه؟ (فتح القدير)، أنكرَ المشركون ذلك، قبَّحهم الله تعالى، وتعجَّبوا من تركِ الشركِ بالله، فإنهم كانوا قد تلقَّوا عن آبائهم عبادةَ الأوثان، وأشربتهُ قلوبهم، فلمّا دعاهم الرسولُ صلى الله عليه وسلم إلى خلعِ ذلك من قلوبهم، وإفرادِ الإلهِ بالوحدانية، أعظموا ذلك، وتعجَّبوا، وقالوا: {أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَـٰهاً وَٰحِداً إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ}! (ابن كثير).

١١- {جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الأَحْزَابِ}.

يعني من أحزابِ إبليسَ وأتباعهِ الذين مضَوا قبلهم. (الطبري).

١٢- {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ}.

{قَوْمُ نُوحٍ} أي: كذَّبوا نوحًا، وقد دعاهم إلى الله وتوحيدهِ ألفَ سنةٍ الا خمسين عامًا، {وَعَادٌ}: قومُ هود. (روح البيان).

١٣- {وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ}.

{وَثَمُودُ}: قومُ صالح. (روح البيان).

{وَقَوْمُ لُوطٍ}: أصرُّوا على فاحشةِ اللِّواطِ وكذَّبوا نبيَّهم.

١٨- {إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ}.

ذكرَ أن تسخيرَ الجبالِ مرَّ في سورةِ الأنبياء {وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ} (الآية ٧٩). وعُرِفَ هناك أن تأويبَ الجبالِ معه هو معنى تسخيرها له. قال: فيكونُ المعنى: أن داودَ كان إذا سبَّحَ بين الجبالِ سمعَ الجبالَ تسبِّحُ مثلَ تسبيحه. ثم قال: وفي هذا التسخيرِ

للجبالِ والطيرِ – مع كونهِ معجزةً له – كرامةٌ وعنايةٌ من الله به، إذ آنسَهُ بتلك الأصواتِ في وحدتهِ في الجبال، وبُعدهِ عن أهلهِ وبلده.

٢٢- {**قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ**}.

أي: نحن فريقان متخاصمان، على تسميةِ مصاحبِ الخصمِ خصمًا تجوزًا. والحاصلُ أنه أُطلِقَ لفظُ الخصمِ فيما سبقَ على الجمع، بدليلِ {تَسَوَّرُوا}، ثم ثنَّى بتأويلِ الفريق، وهم وإن لم يكونوا فريقين، بل شخصين اثنين، بدليلِ {إِنَّ هَذَا أَخِي} الآية، لكنْ جُعِلَ مصاحبُ الخصمِ خصمًا، فكانا بمن معهما فريقين من الخصوم، فحصلَ الانطباقُ بين صيغةِ التثنيةِ في قوله: {خَصْمَانِ}، وبين ما مرَّ من إرادةِ الجمع. (روح البيان).

وهناك حديثٌ عن الخصمين عند تفسيرِ الآيةِ (٢٤). وفيه تقديمٌ وتأخير.

٢٣- {**إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ**}.

{أَخِي} في الدين، أو في الصحبة. والتعرُّضُ لذلك تمهيدٌ لبيانِ كمالِ قبحِ ما فعلَ به صاحبه.

والنعجة: هي الأنثى من الضأن... (روح البيان).

٣٩- {**فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**}.

امنعْ منه. (روح البيان).

٤٠- {**وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ**}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ نظيرهُ في قصةِ داودَ عليه السلام (الآية ٢٥ من السورة)، قالَ ما ملخصه: الزلفَى: القُربى. وتأكيدُ الخبرِ لإزالةِ توهُّمِ أن الله غضبَ عليه إذ فتنه. والمآبُ هو الرجوع. والمرادُ به الرجوعُ إلى الآخرة. وسمِّيَ رجوعاً لأنه رجوعٌ إلى الله، وحُسنُ المآبِ حُسنُ المرجع، وهو أن يرجعَ رجوعاً حسناً عند نفسهِ وفي مرأى الناس، أي: له حسنُ رجوعٍ عندنا، وهو كرامةٌ عند الله يومَ الجزاء، أي: الجنةُ يؤوبُ إليها.

٤٤- {وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلاَ تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّاب}.

{ضِغْثًا}: وهو ما يجمعُ من شيء، مثلُ حزمةِ الرُّطْبة، وكملءِ الكفِّ من الشجرِ أو الحشيشِ والشماريخ، ونحو ذلك مما قامَ على ساق.

{وَلاَ تَحْنَثْ}: لتَبرَّ في يمينِكَ التي حلفتَ بها عليها أن تضربها {وَلا تَحْنَثْ}، يقول: ولا تحنَثْ في يمينك.

{إِنَّهُ أَوَّاب}: إنه على طاعةِ اللهِ مُقبل، وإلى رضاهُ رجّاع. (الطبري).

والحِنْث: الإثم، ويطلقُ على فعلِ ما حلفَ على تركه. (فتح القدير)، وتركِ ما حلفَ على فعله، من حيث إن كلَّ واحدٍ منهما سببٌ له. (روح البيان).

٤٩- {هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ}.

يخبرُ تعالَى عن عبادهِ المؤمنين السعداء، أنَّ لهم في الدارِ الآخرةِ {لَحُسْنَ مَآبٍ}، وهو المرجِعُ والمنقلَب. (ابن كثير). {وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ}: الذين اتَّقَوا الله فخافوه، بأداءِ فرائضه، واجتنابِ معاصيه. (الطبري).

وقد ذكرَ مؤلفُ الأصلِ عند تفسيرِ الآيةِ (٢٥) من السورة، وهي عن نوحٍ عليه السلام، أن (حُسنَ المآبِ) يعني حُسنَ المرجع، وهو أن يرجعَ رجوعاً حسناً عند نفسهِ وفي مرأى الناس، أي: له حسنُ رجوعٍ عندنا، وهو كرامةٌ عند الله يومَ الجزاء، أي: الجنةُ يؤوبُ إليها.

٥٠- {جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ}.

أي: إذا وصلوا إليها وجدوها مفتوحةَ الأبواب، لا يحتاجون إلى فتحٍ بمعاناة، ولا يلحقهم ذلُّ الحجاب، ولا كلفةُ الاستئذان، تستقبلهم الملائكةُ بالتبجيلِ والترحيبِ والإكرام، يقولون: {سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ} [سورة الرعد: ٢٤]. وقيل: هذا مثلُ كما تقول: متى جئتني وجدتَ بابي مفتوحًا، لا تُمنَعُ من الدخول. فإن قيل: ما فائدةُ العدولِ عن الفتحِ إلى التفتيح؟ قلنا: المبالغة، وليستْ لكثرةِ الأبواب، بل لعظمها، كما وردَ من المبالغةِ في وسعها وكثرةِ الداخلين. (روح البيان).

٥١- {مُتَّكِئِينَ فِيهَا}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ في سـورةِ يس (الآية ٥٦). قالَ هناك: هو جلوسُ المتطلبِ للراحةِ والإطالة، وهو جلسةُ أهلِ الرفاهية.

٥٥- {هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآب}.

لسوءَ منقلبٍ ومرجع. (ابن كثير).

٥٦- {جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ}.

أي: يدخلونها، فتغمرهم من جميعِ جوانبهم. (ابن كثير).

٥٧- {هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاق}.

قالَ في معنى الكلمةِ عند تفسـيرِ الآيةِ (٣٥) من سـورةِ التوبة {فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُون}: الذوق: مجازٌ في الحسِّ بعلاقةِ الإطلاق.

وقالَ العلّامة إسماعيل حقي هنا: الذوق: وجودُ الطعمِ بالفم، وأصـلهُ في القليل، لكنه يصـلحُ للكثير، الذي يقالُ له الأكل، وكثرَ استعمالهُ في العذابِ تهكمًا. (روح البيان).

٦٤- {إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ}.

تراجعُ أهلِ النار، ولعنُ بعضهم بعضاً، ودعاءُ بعضهم على بعض. (الطبري).

٦٥- {قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ}.

رسولٌ منذرٌ من جهتهِ تعالى، أُنذركم واحذِّركم عذابَهُ على كفركم ومعاصيكم. (روح البيان).

٧٠- {إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ}.

ظاهرُ النذارةِ والنبوةِ بالدلائلِ الواضحة. (روح البيان).

٧٢- {فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ}

قالَ في تفسيرها، في الآيةِ (٢٩) مِن سورةِ الحِجر (مختصرًا): التسوية: تعديلُ ذاتِ الشيء. وقد أُطلقتْ هنا على اعتدالِ العناصرِ فيه واكتمالها، بحيث صارتْ قابلةً لنفخِ الروح. والنفخُ حقيقتهُ إخراجُ الهواءِ مضغوطاً بين الشفتين مضمومتين كالصفير، واستعيرَ هنا لوضعِ قوةٍ لطيفةِ السريان، قويةِ التأثيرِ دفعةً واحدة، وليس ثمةَ نفخٌ ولا منفوخ... وإسنادُ النفخِ وإضافةُ الروحِ إلى ضميرِ اسمِ الجلالةِ تنويهٌ بهذا المخلوق. {فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ}: أُسقُطوا له ساجدين. وهذه الحالُ لإفادةِ نوعِ الوقوع، وهو الوقوعُ لقصدِ التعظيم.

٧٣- {فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ}.

قالَ في تفسيرِها، في الآيةِ (٢٩) مِن سورةِ الحِجر: عنوانٌ على طاعةِ الملائكة. و{كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ} تأكيدٌ على تأكيد، أي: لم يتخلَّف عن السجودِ أحدٌ منهم.

٧٤- {إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ}.

غيرَ إبليس، فإنهُ لم يسجد، استكبرَ عن السجودِ له تعظُّمًا وتكبُّرًا. (الطبري).

٧٩- {قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}

قالَ في تفسيرها، في الآيةِ (٣٦) مِن سورةِ الحِجر (مختصرًا): سؤالهُ النظِرةَ بعد إعلامهِ بأنه ملعونٌ إلى يومِ الدينِ فاضَ به خبثُ جبلَّته، البالغِ نهايةَ الخباثة، التي لا يشفيها إلا دوامُ الإفسادِ في هذا العالم، فكانت هذه الرغبةُ مجلبةً لدوامِ شقوته. وخاطبَ اللهَ بصفةِ الربوبيةِ تخضُّعاً وحثًّا على الإجابة. والإنظار: الإمهالُ والتأخير، والمراد: تأخيرُ إماتته.

٨٠- {قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ}

قالَ في تفسيرها، في الآيةِ (١٥) مِن سورةِ الأعراف (ملخصًا): أي: إنك من المخلوقاتِ الباقية. وإنظارهُ أمرٌ قضاهُ الله وقدَّرَهُ من قبلِ سؤاله، أي: تحقَّقَ كونُكَ من الفريقِ الذين أُنظِروا

إلى يومِ البعث، أي أن الله خلقَ خلقاً وقدَّرَ بقاءهم إلى يومِ البعث، فكشـــفَ لإبليسَ أنه بعضٌ من جملةِ المنظَرين من قبلِ حدوثِ المعصيةِ منه، وأن الله ليس بمغيّرٍ ما قدَّرَهُ له. فجوابُ الله تعالى لإبليسَ إخبارٌ عن أمرٍ تَحقَّق، وليسَ إجابةً لطلبةِ إبليس، لأنه أهونُ على الله من أن يجيبَ له طلباً.

٨١- {إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُوم}.

الذي قدَّرَهُ الله وعيَّنَهُ لفناءِ الخلائق، وهو وقتُ النفخةِ الأولى. (روح البيان، البغوي).

٨٣- {إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ}

قالَ في تفسـيرها، في الآيةِ (٤٠) مِن سـورةِ الحِجر: اسـتثنى منهم عبادَ الله المخلصـين؛ لأن عزيمَتَهُ منصـــرفةٌ إلى الإغواء. وقُرِىء {الْمُخْلَصِـــينَ} - بفتحِ اللام - لنافع وحمزة وعاصـــم والكسـائي، على معنى: الذين أخلصتَهم وطهَّرتهم. و - بكسرِ اللام - لابن كثير وابن عامر وأبي عمرو، أي: الذين أخلَصوا لكَ في العمل. (باختصار).

سورة الزمر

٣- {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء}.

أربابًا أوثانًا، كالملائكةِ وعيسى وعُزير والأصنام. (روح البيان).

٦- {وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ}.

{ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ}: ذُكرت في الآيتين ١٤٣، ١٤٤ من سورةِ الأنعام، وهي: الزوجانِ مِن كلٍّ مِن الضأنِ والمعزِ والإبلِ والبقر.

٨- {وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ نظيرُ هذه الآيةِ في سورةِ الروم {وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ} (الآية ٣٣)، ومما قالَهُ هناك محررًا: يدعون الله إذا أصابهم خفيفُ ضُرّ، بَلْهَ الضرُّ الشديد. أي: فرَّقوا دينهم وكانوا شيعاً، وإذا مسَّهم ضرٌّ فدعوا الله وحدَهُ فرحمهم، عادوا إلى شركهم وكفرهم نعمةَ الذي رحمهم.

والإنابةُ إلى الله: الرجوعُ إليه.

والضُرّ: سوءُ الحالِ في البدنِ أو العيشِ أو المال.

والمسّ: مستعارٌ للإصابة.

١١- {**قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ**}.

أي: إنما أُمِرتُ بإخلاصِ العبادةِ لله وحدَهُ لا شريكَ له. (ابن كثير).

مخلصاً له التوحيد، لا أشركُ به شيئاً. (البغوي).

١٣- {**قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**}.

قلْ يا محمدُ لهم: إني أخافُ إن عصيتُ ربي فيما أمرني به من عبادته، مخلصاً له الطاعة، ومفردَهُ بالربوبية، {عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} يعني: عذابَ يومِ القيامة، ذلكَ هو اليومُ الذي يعظمُ هَوله. (الطبري).

١٤- {**قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي**}.

قلْ يا محمَّدُ لمشركي قومِك: اللهَ أعبدُ مخلصًا، مُفرِدًا له طاعتي وعبادتي، لا أجعلُ له في ذلكَ شريكًا، ولكني أُفرِدهُ بالألوهة، وأبرأُ ممّا سواهُ مِن الأندادِ والآلهة. (الطبري).

١٧- {**وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا**}.

كأنه قال: اجتنَبوا عبادةَ الطاغوت. (فتح القدير).

٢١- {**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً**}.

أشـارَ إلى تقدُّمِ نظيرِهِ في سـورةِ الأنعام {وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّـمَاءِ مَاءً} (الآية ٩٩). قالَ هناك: ماءُ المطرِ يتكوَّنُ في طبقاتِ الجوِّ العُليا الزمهريريةِ عند تصـاعدِ البخارِ الأرضـيِّ إليها، فيصـيرُ البخارُ كثيفاً، وهو السّـحاب، ثم يسـتحيلُ ماء. فالسـماءُ اسـمٌ لأعلى طبقاتِ الجوّ، حيثُ تتكوَّنُ الأمطار.

٢٧- {**وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ**}.

قالَ في تفسيره، في الآيةِ (٨٩) من سورةِ الإسراء: تنوينُ {مَثَلٍ} للتعظيمِ والتشريف، أي: من كلِّ مثلٍ شـريف. والمراد: شـرفهُ في المقصـودِ من التمثيل. و {مِنْ} في قوله {مِنْ كُلِّ مَثَلٍ}. للتبعيض، و {كُلِّ} تفيدُ العموم، فالقرآنُ مشتملٌ على أبعاضٍ من جميعِ أنواعِ المثَل.

الجزء الرابع والعشرون

٤٩- {ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا}.

أي: أعطيناهُ نعمةً كائنةً من عندنا. (فتح القدير).

٥٥- {مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ}.

وأنتم لا تعلمونَ به حتى يَغشاكم فجأة. (الطبري).

٥٦- {وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِين}.

المستهزئين بدينِ الله وكتابهِ ورسولهِ والمؤمنين. (البغوي).

٥٧- {أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ}.

وأنْ لا تقولَ نفسٌ أخرى: لو أنَّ اللهَ هداني للحقّ، فوفَّقني للرشـاد، لكنتُ ممَّن اتَّقاهُ، بطاعتهِ واتِّباعِ رضاه. (ينظر تفسير الطبري).

٦٣- {وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ}

أولئكَ هم المغبونون حظوظَهم مِن خيرِ السـماواتِ التي بيدهِ مفاتيحُها؛ لأنهم حُرِموا ذلكَ كلَّهُ في الآخرةِ بخلودِهم في النار، وفي الدنيا بخذلانِهم عن الإيمانِ باللهِ عزَّ وجلّ. (الطبري).

٦٨- {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاء اللَّهُ}.

يقال: صَـعِقَ الرجلُ إذا أصـابَهُ فزعٌ فأُغميَ عليه، وربما ماتَ منه، ثم اسـتُعمِلَ في الموتِ كثيرًا، كما في (شـرحِ المشـارق) لابن الملك. قالَ في المختار: صـعِقَ الرجلُ - بالكسـرِ - صـعقة: غُشِـيَ عليه. وقولهُ تعالى: {فَصَـعِقَ مَنْ} الخ، أي: مات. انتهى. فالمعنى: خرُّوا أمواتًا من الفزعِ وشدَّةِ الصوت. (روح البيان).

٦٩- {وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}

أي: لا يُزادُ في سيِّئاتِهم، ولا يُنقَصُ مِن حسناتِهم. (البغوي).

٧١- {وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا}.

{وَيُنْذِرُونَكُمْ}: يخوِّفونكم {لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا} أي: وقتِكم هذا. وهو وقتُ دخولهم النار، لا يومُ القيامة؛ وذلك لأن الإضافةَ اللاميةَ تفيدُ الاختصاص، ولا اختصاصَ ليومِ القيامةِ بالكفار. وقد جاءَ استعمالُ (اليومِ) و(الأيامِ) مستفيضًا في أوقاتِ الشدَّة؛ فلذلك حُمِلَ على الوقت. (روح البيان).

٧٣- {وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ}.

{وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا}: وحُشِرَ الذين اتَّقوا ربَّهم بأداءِ فرائضه، واجتنابِ معاصيهِ في الدنيا، وأخلَصوا له فيها الألوهة، وأفردوا له العبادة، فلم يُشرِكوا في عبادتِهم إيّاهُ شيئًا {إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا} يعني جماعات.

{سَلَامٌ عَلَيْكُمْ}: أمَنةٌ من الله لكم أن ينالَكم بعدُ مكروهٌ أو أذى. (الطبري).

{خَالِدِينَ}: أي: ماكثين فيها أبداً، {لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا} [سورة الكهف: ١٠٨]. (ابن كثير).

٧٥- {وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ}.

قالَ في نظيرها، في الآيةِ (٦٩) من السورة: أي: صدرَ القضاءُ فيهم بما يستحقُّون، وهو مسمَّى الحق...

سورة غافر

٢- {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ}.

ذكرَ أن القولَ فيه كالقولِ في فاتحةِ سـورةِ الزمر {تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ}، وقد أطالَ فيه رحمَهُ الله، من ذلك قوله: أي: القرآنُ عزيزٌ غالبٌ بالحجةِ لمن كذَّبَ به، وغالبٌ بالفضلِ لما سواهُ من الكتب، من حيثُ إن الغلبةَ تستلزمُ التفضلَ والتفوق، وغالبٌ لبلغاءِ العرب، إذ أعجزهم عن معارضةِ سورةٍ منه، ويكونُ حكيماً مثلَ صفةِ منزِّله...
وفسَّرَها في الآيةِ التاليةِ من هذه السورة.

١٤- {**فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**}.
ذكرَ أنه تقدَّمَ في أولِ سـورةِ الزمر {فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ} (الآية ٢). ومما قالَهُ هناك: الإخلاص: الإمحاض، وعدمُ الشوبِ بمغايِر، وهو يشملُ الإفراد. وأوثرَ الإخلاصُ هنا لإفادةِ التوحيدِ وأخصَّ منه، وهو أن تكونَ عبادةُ النبيّ صلى الله عليه وسلم ربَّهُ غيرَ مشوبةٍ بحظٍّ دنيوي. والمرادُ به هنا معاملةُ المخلوقِ ربَّه، وهي عبادته، فالمعنى: مخلصاً له العبادة، غيرَ خالطٍ بعبادتهِ عبادةَ غيره.

١٦- {**لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**}.
{لِلَّهِ الوَاحِدِ}: الذي لا مثلَ له ولا شبيه، {القَهَّارِ} لكلِّ شيءٍ سواهُ بقدرته، الغالبِ بعزَّته. (الطبري).
والقهر: الغلبةُ والتذليل، ويستعملُ في كلِّ واحدٍ منهما. (مفردات الراغب).

١٨- {**وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ**}.
خوِّفهم يا محمد، يعني أهلَ مكة. (روح البيان).

٢٠- {**وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ**}.
يحكم. (ابن كثير).

٢٣- {**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ**}.

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى} ملتبسًا {بِآيَاتِنَا}، وهي المعجزاتُ التسع، {وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ} أي: وحجةٍ قاهرةٍ ظاهرة، كالعصا، أُفردَتْ بالذكرِ مع اندراجها تحت الآياتِ تفخيمًا لشأنها، فهو من قبيلِ عطفِ الخاصِّ على العام. (روح البيان).

٢٤- {إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ}.

أي: كذَّبوهُ وجعلوهُ ساحرًا مُمَخرِقًا مموِّهًا كذَّابًا في أنَّ اللهَ أرسله. وهذه كقولهِ تعالَى: {كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ . أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ} [سورة الذاريات: ٥٢، ٥٣]. (ابن كثير).

٢٥- {فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ}.

قالَ فرعونُ وملَؤه: أَعِيدوا قتلَ أبناءِ بني إسرائيلَ الذينَ آمنوا معه، وأبقُوا على نسائهم للخدمة؛ ليَصدُّوهم بذلكَ عن متابعةِ موسَى. (الواضح في التفسير).

٢٩- {سَبِيلَ الرَّشَادِ}.

الهدى. (البغوي).

٣١- {مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ}.

يعني قومَ إبراهيم، وقومَ لوط، وهم أيضًا من الأحزاب. (الطبري).

٣٦- {وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاهَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَاب}.

{هَامَانُ}: قالَ في الآيةِ (٦) من السورة: {هَامَانَ}: قالَ المفسِّرون: هو وزيرُ فرعون. وظاهرُ آياتِ هذه السورةِ يقتضي أنه وزيرُ فرعون، وأحسبُ أن هامانَ ليس باسمِ علم، ولكنه لقبُ خطة، مثلُ فرعونَ وكسرى وقيصر ونجاشيّ.

{صَرْحًا}: الصرح: البناءُ الظاهرُ الذي لا يخفَى على الناظرِ وإن بَعُد، وأصلهُ من التصريح، وهو الإظهار. (البغوي).

٣٨- {وَقَالَ الَّذِي آَمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ}.
وهو نقيضُ الغيّ. وفيه تعريضٌ شبيهٌ بالتصريح، أنَّ ما عليه فرعونُ وقومهُ سبيلُ الغيّ. (النسفي).

٤٥- {فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآَلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ}.
{سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا}: ما أرادوا به من الشر. (البغوي). شدائدَ مكرهم وما همُّوا به من إلحاقِ أنواعِ العذابِ بمن خالفهم.
{بِآَلِ فِرْعَوْنَ}: أي: بفرعونَ وقومه. وعدمُ التصريحِ به للاستغناءِ بذكرهم عن ذكرِهِ ضرورةَ أنه أولى منهم بذلك، من حيثُ كونهُ متبوعًا لهم، ورئيسًا ضالًّا مضلًّا. (روح البيان).

٤٦- {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا}.
أي: في أولِ النهارِ وآخره. (روح البيان).

٥٦- {إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آَيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ}.
ذكرَ أن معنى المجادلةَ في آياتِ الله تقدَّمَ عند تفسيرِ الآيةِ (٣٥) من السورة، ومما قالَهُ هناك: المجادلة: تكريرُ الاحتجاجِ لإثباتِ مطلوبِ المجادل، وإبطالِ مطلوبِ مَن يخالفه... والسلطان: الحجة. والمعنى: أنهم يجادلون بما ليس بحجة، ولكن باللَّجاجِ والاستهزاء.

٥٩- {إِنَّ السَّاعَةَ لَآَتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا}.
لا شكَّ في مجيئها. (الطبري).

٦٤- {ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ}.

ذكرَ أن موقعَهُ كموقعِ نظيرِهِ المتقدِّمِ آنفًا (الآية ٦٢ من السورة)، قالَ هناك: عدلَ عن الضميرِ إلى اسمِ الإشارةِ لإفادةِ أنه تعالى معلومٌ متميِّزٌ بأفعالِهِ المنفردِ بها، بحيثُ إذا ذُكرتْ أفعالهُ تميَّزَ عمّا سواه، فصارَ كالمشاهَدِ المشارِ إليه، فكيف تلتبسُ إلهيتهُ بإلهيةٍ مزعومةٍ للأصنام؟ فليستْ للذين أشركوا به شبهةٌ تلبِّس عليهم ما لا يفعلُ مثلَ فعله، أي: ذلكم ربُّكم لا غيره.

٦٧- {**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ**}.

هو الذي خلقَ أصلَكم مِن تراب، ثم جعلَ نسلَكم مِن نطفة، وهو المنيّ، فإذا استقرَّ في رَحِمِ المرأةِ وبقيَ أربعينَ يومًا، تحوَّلَ إلى علَقَة، وهي قطعةٌ مِن الدَّمِ الغليظِ المتجمّد، التي تتعلَّقُ بجدارِ الرَّحِم، ثم نُخرِجُكم مِن الأرحامِ طفلاً ضعيفًا لا حيلةَ له، ثم تَكبَرونَ فتَقوَى أجسامُكم وتكتَمِلُ حواسُّكم. (الواضح).

٨٠- {**وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ**}

السفن. (الطبري).

٨١- {**فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ**}.

دلائلِ قدرته. (البغوي).

٨٢- {**كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ**}.

أشارَ إلى نظيرها في الآيةِ (٢١) من السورة {كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ}. ومن قولهِ هناك: المرادُ بالقوةِ القوةُ المعنوية، وهي كثرةُ الأمة، ووفرةُ وسائلِ الاستغناءِ عن الغير... والآثارُ جمعُ أثر، وهو شيءٌ أو شكلٌ يرسمهُ فعلُ شيءٍ آخر، مثلُ أثرِ الماشي في الرمْل... والمرادُ بالأرضِ أرضُ أمَّتهم.

٨٣- {**فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ**}.

يعني بالواضحاتِ مِن حُجَجِ اللهِ عزَّ وجلّ.. (الطبري).

٨٤- {فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ}.

{قَالُوا آمَنَّا باللَّهِ وَحْدَهُ} يقول: قالوا: أقررنا بتوحيدِ الله، وصـدَّقنا أنه لا إلهَ غيره، {وَكَفَرْنا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ}، يقول: وجحدنا الآلهةَ التي كنا قبلَ وقتِنا هذا نُشركها في عبادتِنا اللهَ ونعبدُها معه ونتخذُها آلهة، فبرئنا منها. (الطبري).

٨٥- {فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا}.

ذكرَ في الآيةِ السابقة، أن البأسَ هو الشدَّةُ في المكروه، وأنه جامعٌ لأصنافِ العذاب. ثم قال: فالبأسُ هنا العذابُ الخارقُ للعادة، المنذِرُ بالفناء.

سورة فصلت

٨- {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ}.

إن الذين صدَّقوا الله ورسوله، وعملوا بما أمرهم الله به ورسوله، وانتهَوا عمّا نهيناهم عنه، وذلك هو الصالحاتُ من الأعمال. (الطبري).

١٢- {ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ}.

ذكرَ أنه تقدَّم. وهو في الآيةِ (٩٦) من سورةِ الأنعام. قالَ هناك: {الْعَزِيزِ}: الغالب، القاهر، والله هو العزيزُ حقًّا؛ لأنه لا تتعاصَـى عن قدرتِهِ الكائناتُ كلُّها. {الْعَلِيم}: مبالغةٌ في العلم، لأن وضعَ الأشياءِ على النظامِ البديع، لا يصدرُ إلا عن عالِمٍ عظيمِ العلم.

١٤- {إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ}.

جاءَتهم الرسلُ بأنْ لا تعبدوا إلا اللهَ وحدَهُ لا شريكَ له. (الطبري).

٢١- {وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ}.
والله خلقكم الخلقَ الأولَ ولم تكونوا شيئاً. (الطبري).

٢٥- {إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ}.
إن تلك الأممَ الذين حقَّ عليهم عذابُنا من الجنِّ والإنس، كانوا مغبونين ببيعِهم رضا الله ورحمتَهُ بسخطهِ وعذابه. (الطبري).

٣٦- {وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}.
فاستجرْ بالله واعتصمْ من خطواته، إن اللهَ هو السميعُ لاستعاذتِكَ منَ الشيطان، واستجارتِكَ به مِن نزغاته، ولغيرِ ذلكَ مِن كلامِكَ وكلامِ غيرك، العليمُ بما ألقَى في نفسِكَ مِن نزغاته، وحدَّثتْكَ به نفسُك، وممّا يُذهِبُ ذلكَ من قِبلك، وغيرِ ذلكَ مِن أمورٍ وأمورِ خَلقه. (الطبري).

٣٧- {وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}.
إن كنتم تعبدون الله، وتذلُّون له بالطاعة، وإنَّ مِن طاعتهِ أن تُخلصوا له العبادة، ولا تشركوا في طاعتكم إيّاه وعبادتكموهُ شيئاً سواه، فإن العبادةَ لا تصلحُ لغيره، ولا تنبغي لشيءٍ سواه. (الطبري).

٤٤- {قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى}.
{هُدًى}: يهديهم إلى الحقِّ وإلى طريقٍ مستقيم. (روح البيان).
{وَقْرٌ}: قالَ في معناها، في الآيةِ (٥) من السورة: الوَقر - بفتحِ الواو - ثقلُ السمع، وهو الصمم، وكأنَّ اللغةَ أخذتهُ من الوِقر - بكسرِ الواو - وهو الحِمل؛ لأنه يثقلُ الدَّابةَ عن التحرك، فأطلقوهُ على عدمِ تحركِ السمعِ عند قرعِ الصوتِ المسموع. اهـ.

وقالَ العلّامة إسماعيل حقي هناك: {وَقْرٌ} أي: صـــمم. قالَ في القاموس: الوقرُ ثقلٌ في الأذن، أو ذهابُ السـمعِ كلِّه، شـبَّهوا أسماعَهم بآذانٍ بها صـمم، من حيثُ إنها تمجُّ الحقَّ ولا تميلُ إلى استماعه. (روح البيان).

٤٦- **{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا}**.

مَن عملَ عملاً صـالحًا فإنَّ نفعَهُ يعودُ على نفسِـه، ومَن أسـاءَ العملَ فإنَّ سـوءَ عاقبتهِ يعودُ على نفسِهِ كذلك. (الواضح).

الجزء الخامس والعشرون

سورة الشورى

٥- {أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}.

ألا إنَّ اللهَ هو الغفورُ لـذنوبِ مؤمني عبـاده، الرحيمُ بهم أنْ يعـاقبَهم بعـد توبتِهم منهـا. (الطبري).

٦- {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ}.

آلهةً يتولَّونَها ويعبدونَها.. (الطبري).

٧- {فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ في سورةِ الإسراء (الآية ٩٧). قالَ هناك: السعير: لهبُ النار، وهو مشتقٌّ من سعَّرَ النارَ إذا هيَّجَ وقودها.

١٠- {ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي}.

يقولُ لنبيِّهِ صلى الله عليه وسلم: قلْ لهؤلاءِ المشركين بالله: هذا الذي هذه الصفاتُ صفاتهُ ربي، لا آلهتُكم التي تدعون من دونه، التي لا تقدرُ على شيء. (الطبري).

١١- {جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا}.

ذكرَ عند تفسيرِ الآيةِ (١٤٢) من سورةِ الأنعام، أنها الإبلُ والبقرُ والشاءُ والمعز.

١٣- {وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيب}.

أي: يوفِّقُ لدينهِ ويستخلصُ لعبادتهِ من يرجعُ إلى طاعتهِ ويُقبِلُ إلى عبادته. (فتح القدير).

١٤- {وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ}.
بين مَن آمنَ وكفر، يعني أنزلَ العذابَ بالمكذِّبين في الدنيا. (البغوي).

٢١- {وَلَوْلاَ كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ}.
لفُرِغَ من الحكمِ بينكم وبينهم، بتعجيلهِ العذابَ لهم في الدنيا.

٢٢- {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ}.
والذين آمنوا بالله وأطاعوهُ فيما أمرَ ونهَى في الدنيا. (الطبري).

٢٣- {ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}.
عبادَهُ الذين آمنوا به في الدنيا، وعملوا بطاعتهِ فيها. (الطبري).

٢٤- {وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}.
{ويُحِقُّ الحَقَّ}: ويثبتُ الحق. (روح البيان).
{إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}: ذكرَ أنه تقدَّمَ في سورةِ الأنفال (الآية ٤٣)، وهو في مناسبةِ غزوةِ بدر، لكنْ قالَ فيما يتعلقُ بذاتِ الصدور: معنى {بِذَاتِ الصُّدُورِ}: الأحوالِ المصاحبةِ لضمائرِ النفوس، فالصدورُ أُطلقتْ على ما حلَّ فيها من النوايا والمضمرات. اهـ.
وقالَ الإمامُ الطبري: إنَّ اللهَ ذو علمٍ بما في صدورِ خلقه، وما تنطوي عليه ضمائرهم، لا يخفَى عليه مِن أمورِهم شيء.

٢٦- {وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيد}.
{وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}: وعملوا بما أمرهم الله به، وانتهَوا عما نهاهم عنه. (الطبري).
{عَذَابٌ شَدِيد}: لما ذكرَ المؤمنين وما لهم مِن الثوابِ الجزيل، ذكرَ الكافرينَ وما لهم عندَهُ يومَ القيامةِ مِن العذابِ الشديدِ الموجعِ المؤلِم يومَ معادِهم وحسابِهم. (ابن كثير).

٢٧- {**وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ**}.

وسَّعَهُ وكثَّره. (الطبري).

٣٣- {**إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ**}.

{فَيَظْلَلْنَ}: فيَصِرن. (روح البيان).

{صَبَّارٍ شَكُور}: كثيرِ الصبرِ على البلوى، كثيرِ الشكرِ على النعماء. (فتح القدير).

٣٤- {**أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ**}.

ذكرَ أن الباءَ للسببية، وأنه في معنى قوله: {وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ} (الآية ٣٠ من السورة)، ومما قالَهُ هناك: أي: سببُ ما أصابكم من مصيبةٍ هو أعمالكم.

٤٠- {**فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ**}.

{وَأَصْلَحَ} ما بينه وبين من يعاديهِ بالعفوِ والإغضاءِ عمّا صدرَ منه. (روح المعاني).

٤٤- {**وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِّن بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ**}.

{وَلِيٍّ}: ناصرٍ يتولاه. (البغوي)

{الظَّالِمِينَ}: المشركين المكذّبين بالبعث.

{سَبِيل}: من طريق. (فتح القدير).

٤٥- {**أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ**}.

المشركين. (روح البيان).

٤٦- {وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَاء يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن سَبِيلٍ}.

{أَوْلِيَاء}: أعوان. (فتح القدير).

{وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ}: قالَ في نظيرها في الآيةِ (٤٤) من السورة: وأما من قدَّرَ الله عليه بالضلال. اهـ، {فَمَا لَهُ مِن سَبِيلٍ}: طريقٍ إلى الصواب، وإلى الوصولِ إلى الحقِّ في الدنيا، والجنةِ في العقبى، قد انسدَّ عليهم طريقُ الخير. (البغوي).

٤٨- {وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الإِنسَانَ كَفُورٌ}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ بسطهُ عند تفسيرِ الآيةِ (٣٠) من السورة {وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ}. ومن قولهِ هناك: أُطلِقَ كسبُ الأيدي على الأفعالِ والأقوالِ المنكرةِ على وجه المجازِ بعلاقةِ الإطلاق، أي: بما صدرَ منكم من أقوالِ الشركِ والأذى للنبيِّ صلى الله عليه وسلم، وفعلِ المنكراتِ الناشئةِ عن دينِ الشرك. والخطابُ للمشركين ابتداءً لأنهم المقصودُ من سياقِ الآياتِ كلِّها، وهم أَولَى بهذه الموعظة؛ لأنهم كانوا غيرَ مؤمنين بوعيدِ الآخرة. ويشملُ المؤمنين بطريقِ القياس، وبما دلَّ على شمولِ هذا الحكمِ لهم من الأخبارِ الصحيحة، ومن آياتٍ أخرى. والباءُ للسببية، أي: سببُ ما أصابكم من مصيبةٍ هو أعمالكم.

سورة الزخرف

٢٣- {قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ}.

منهاجِهم وطريقتِهم. (الطبري).

٢٧- {إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ}

خلَقني. (الطبري).

٣٤- {وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِؤُونَ}.

الاتكاء: الاعتماد. (روح البيان).

٣٥- {وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ}.

{مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}: يستمتعُ به أهلُ الدنيا في الدنيا.

{لِلْمُتَّقِين}: الذين اتقَوا الله فخافوا عقابه، فجدُّوا في طاعتهِ وحَذِروا معاصيه، خاصةً دونَ غيرهم من خلقِ الله. (الطبري).

٤٦- {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ}.

بحججنا. (الطبري). بمعجزاتنا. (الواضح).

٤٦- {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ}.

فقالَ لهم موسى: إني رسولُ ربِّ العالمين، كما قلتَ أنت لقومِكَ من قريش: إني رسولُ الله إليكم. (الطبري).

٤٨- {وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلاَّ هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا}.

معجزة. (روح البيان). يقولُ تعالى ذكره: وما نُري فرعونَ وملأهُ آية، يعني حجَّتَهُ لنا عليه بحقيقةِ ما يدعوهُ إليه رسولنا موسى. (الطبري).

٥٣- {أَوْ جَاء مَعَهُ الْمَلاَئِكَةُ مُقْتَرِنِين}.

أي: حالَ كونهم مقرونين بموسى، منضمّين إليه، يعينونهُ على أمره، وينصرونَهُ ويصدِّقونه، أي: يشهدون له بصدقه. قالَ الراغب: الاقترانُ كالازدواج، في كونهِ اجتماعَ شيئين أو أشياء، في معنى من المعاني. (روح المعاني).

٥٥- {فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ}.

انتقمنا منهم بعاجلِ العذابِ الذي عجَّلناه لهم، فأغرقناهُم جميعًا في البحر. (الطبري).

٥٧- {وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّون}.
يُعرِضون. (البغوي).

٦٢- {وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ}.
لا يصرفنَّكم. (البغوي).

٦٦- {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ}.
الساعةَ التي فيها تقومُ القيامة. (الطبري).

٦٧- {الأَخِلاَّء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِين}.
إلا المتحابِّين في الله عزَّ وجلّ، على طاعةِ الله عزَّ وجلّ. (البغوي).

٦٩- {الَّذِينَ آَمَنُوا بِآَيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ}.
القرآن. (تفسير الجلالين).

٧٤- {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ}.
أي: لا ينقطعُ عذابهم في جهنمَ كما ينقطعُ عذابُ عصاةِ المؤمنين، على تقديرِ دخولهم فيها. (روح البيان).

٨٥- {وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}.
{وَمَا بَيْنَهُمَا}: إما على الدوام، كالهواء، أو في بعضِ الأوقات، كالطيرِ والسحاب.
{وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ}: أي: الساعةُ التي فيها تقومُ القيامة، لا يعلمها إلا هو.
{وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}: الالتفاتُ للتهديد، أي: تردُّون للجزاء، فاهتمُّوا بالاستعدادِ للقائه. (روح البيان).

سورة الدخان

٢- {وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ}.

قالَ في نظيره، في الآيةِ الثانيةِ من سورةِ الزخرف: على أن القرآنَ جعلَهُ الله عربيًّا واضحَ الدلالة، فهو حقيقٌ بأن يُصدِّقوا به لو كانوا غيرَ مكابرين، ولكنهم بمكابرتهم كانوا كمن لا يعقلون.

٣- {إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ}.

فسَّرَهُ في الآيةِ الرابعة.

قالَ ابنُ كثير رحمَهُ الله: أي: مُعلِمينَ الناسَ ما ينفعُهم ويضرُّهم شرعًا، لتقومَ حجَّةُ اللهِ على عباده. (ابن كثير).

٧- {رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ}.

أي: الذي أنزلَ هذا القرآنَ هو ربُّ السماواتِ والأرضِ وخالقُهما ومالكُهما وما فيهما. (ابن كثير).

١٤- {ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ}.

أعرضوا عنه. (البغوي).

١٦- {يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ}.

أي: ننتقمُ منهم في ذلك اليوم. (النسفي).

٢٥- {كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ}.

كم تركَ فرعونُ وقومهُ مِن القبطِ بعدَ مهلكِهم وتغريقِ اللهِ إيّاهم مِن بساتينَ وأشجار، وهي الجنَّات، {وَعُيُونٍ}: يعني ومنابعَ ما كانَ ينفجرُ في جنانِهم. (الطبري).

٢٦- {وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ}.

جمعُ زَرْع، وهو ما استُنبِتَ بالبذر، تسميةً بالمصدر، مِن زرعَ اللهُ الحرثَ إذا أنبتَهُ وأنماه. قالَ في "كشف الأسرار": وفنونِ الأقواتِ وألوانِ الأطعمة، أي: كانوا أهلَ ريفٍ وخصب، خلافَ حالِ العرب. (روح البيان).

٢٨- {كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ}.

إيراثها: تمليكُها مخلفةً عليهم، أو تمكينُهم من التصرفِ فيها تمكينَ الوارثِ فيما يرثه. (روح البيان).

٣٣- {وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ}.

ظاهر... واضح. (فتح القدير).

٤٨- {ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ}.

ثم صبُّوا على رأسِ هذا الأثيمِ من عذابِ الحميم، يعني من الماءِ المسخَّن، الذي وصفنا صفته، وهو الماءُ الذي قالَ الله: {يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ} [سورة الحج: ٢٠]. (الطبري).

٥١- {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ}

إنَّ الذين اتَّقَوا اللهَ بأداءِ طاعته، واجتنابِ معاصيه... (الطبري).

٥٢- {فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ في الآية (٦٠) من سورةِ البقرة {فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا}، وإنما ذكرَهُ في الآيةِ (٤٥) من سورةِ الحِجر {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ}، قال: العيون: جمعُ عين، اسمٌ لثقبٍ أرضيٍّ يخرجُ منه الماءُ من الأرض.

سورة الجاثية

٥- {وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ}

{وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ}: وفي تفاوتِ اللَّيلِ والنَّهارِ طولاً وقصرًا، وتعاقبِهما المتتالي، هذا بظلامهِ وهذا بضيائه.

{وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ}: وفي تصريفِ الرِّياح، للمطرِ أو للِّقاح، للرَّحمةِ أو للعذاب، دافئةً وباردة، شرقًا وغربًا. (الواضح).

٦- {تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ}.

أي: محقِّين، أو حالَ كونِ الآياتِ ملتبسةً بالحقِّ والصدق، بعيدةً من الباطلِ والكذب. (روح البيان).

٩- {أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ}.

يذلُّهم ويذهبُ بعزِّهم. وُصِفَ العذابُ بالإهانةِ توفيةً لحقِّ استكبارهم واستهزائهم بآياتِ الله. (روح البيان).

١٠- {وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ}.

أي: ولا ينفعهم أيضًا ما عبدوهُ من دونِ الله من الأصنام. (روح البيان).

١٢- {اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ}.

{الْفُلْكُ}: السفن.

{وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ}: لتطلبوا رزقَكم مِن فضلِه، بالتِّجارةِ والصَّيدِ وغيرِه. (الواضح).

١٩- {**وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ**}.

{أَوْلِيَاءُ}: أنصار.

{الْمُتَّقِينَ}: من اتَّقاهُ بأداءِ فرائضه، واجتنابِ معاصيه، بكفايته، ودفاعِ من أرادهُ بسوء. (الطبري).

يعني يكفيهِ الله، ويدفعُ عنه السوء.

٢٣- {**وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلاَ تَذَكَّرُون**}.

{غِشَاوَةً}: ذكرَ أن معناهُ تقدَّمَ في سورةِ البقرة (الآية ٧)، وفيه مختصرًا: معنى الغشاوة: الغطاء. وليستِ الغشاوةُ على الأبصارِ هنا حقيقة، بل ذلك جارٍ على طريقةِ المجاز، بأن جعلَ أعينهم في عدمِ الانتفاعِ بما ترى من المعجزاتِ والدلائلِ الكونية، كأنها مغشًّى دونها.

{أَفَلاَ تَذَكَّرُون} أيها الناس، فتعلَموا أنَّ مَن فعلَ اللهُ به ما وصفنا فلن يهتديَ أبدًا، ولن يجدَ لنفسهِ وليًّا مُرشدًا؟ (الطبري).

٢٥- {**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**}.

{بَيِّنَاتٍ} واضحاتٍ جليَّات، تنفي الشكَّ عن قلبِ أهلِ التصديقِ بالله في ذلك. (الطبري).

{إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}: إنْ كانَ ما تقولونَهُ حقًّا. (ابن كثير).

٣٠- {**فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ**}.

فأمَّا الذين آمنوا بالله في الدنيا، فوحَّدوه، ولم يُشركوا به شيئًا، وعملوا بما أمرهم اللهُ به، وانتهَوا عمّا نهاهُم اللهُ عنه، فيُدخِلُهم في جنَّتهِ برحمته، وذلكَ هو الظفرُ بما كانوا يطلبونه، وإدراكُ ما كانوا يسعون في الدنيا له، المبينُ غايتُهم فيها أنه هو الفوز. (الطبري، باختصار).

٣٢- {**وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا**}.

{وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ}: وإذا قالَ لكم المؤمنون: إنَّ ما وعدَ اللهُ بهِ حقٌّ وصدق. (الواضح).

{لَا رَيْبَ}: لا شكَّ فيها، يعني في الساعة. (الطبري).

الجزء السادس والعشرون

سورة الأحقاف

٢- {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ}.

قال: تقدَّمَ القولُ في نظيرِهِ في أولِ الجاثية. وملخصُ قولهِ هناك: {الْكِتَابِ} هو المعهود، وهو ما نزلَ من القرآنِ إلى تلك الساعة. والمقصود: إثباتُ أن القرآنَ موحًى به من الله إلى رسولهِ صلى الله عليه وسلم. وإيثارُ وصفَي {الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} بالذكرِ دون غيرهما من الأسماءِ الحسنى، لإشعارِ وصفِ {الْعَزِيزِ} بأن ما نزلَ منه مناسبٌ لعزَّته، فهو كتابٌ عزيز، كما وصفَهُ تعالى بقوله: {وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ} [سورة فصلت: ٤١]، أي: هو غالبٌ لمعانديه، وذلك لأنه أعجزهم عن معارضته، ولإشعارِ وصفِ {الْحَكِيمِ} بأن ما نزلَ من عندهِ مناسبٌ لحكمته، فهو مشتملٌ على دلائلِ اليقينِ والحقيقة، ففي ذلك إيماءٌ إلى أن إعجازَهُ من جانبِ بلاغتهِ إذ غَلبت بلاغةَ بلغائهم، ومن جانبِ معانيهِ إذ أعجزتْ حكمتهُ حكمةَ الحكماء.

٨- {كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}.

ترغيبٌ لهم إلى التوبةِ والإنابة، أي: ومع هذا كلِّهِ إن رجعتُم وتبتُم، تابَ عليكم، وعفا عنكم، وغفرَ ورحم. (ابن كثير).

٩- {إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ}.

وما أنا لكم إلّا نذير، أُنذرُكم عقابَ اللهِ على كفرِكم به، {مُبِينٌ} يقول: قد أبانَ لكم إنذارَه، وأظهرَ لكم دعاءَهُ إلى ما فيه نصيحتُكم. يقول: فكذلكَ أنا. (الطبري).

١٠- {وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ}.

{وَٱسْتَكْبَرْتُمْ} أنتم عن اتباعه، وقالَ مسروق: فآمنَ هذا الشاهدُ بنبيِّهِ وكتابه، وكفرتم أنتم بنبيِّكم وكتابِكم. (ابن كثير).

١١- {وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ}.
كذبٌ قديم، كما قالوا: أساطيرُ الأوَّلين. (فتح القدير).

١٢- {وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ}.
وهو بُشرَى للذين أطاعوا اللهَ فأحسَنوا في إيمانِهم وطاعتِهم إيّاهُ في الدنيا، فحَسُنَ الجزاءُ مِن اللهِ لهم في الآخرةِ على طاعتِهم إيّاه. (الطبري).

١٤- {أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا}.
ماكثينَ فيها أبدًا. (الطبري).

١٦- {وَنَتَجاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ}.
فنغفرُ لهم الكثيرَ من الزلل. (ابن كثير)، فلا نعاقبهم عليها. (فتح القدير).

١٧- {إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ}.
{إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ}: إنَّ وعدَ اللهِ الذي وعدَ خَلقَهُ أنه باعثُهم من قبورِهم، ومُخرِجُهم منها إلى موقفِ الحسابِ لمجازاتِهم بأعمالِهم، حقٌّ لا شكَّ فيه. (الطبري).

١٨- {أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ}.
... وجبَ عليهم عذابُ الله، وحلَّتْ بهم عقوبتهُ وسخطه، فيمن حلَّ به عذابُ الله، على مثلِ الذي حلَّ بهؤلاءِ من الأممِ الذين مضَوا قبلَهم مِن الجنِّ والإنس، الذين كذَّبوا رسلَ الله، وعتَوا عن أمرِ ربِّهم، إنهم كانوا المغبونينَ ببيعِهم الهُدَى بالضلال، والنعيمَ بالعقاب. (الطبري).

٢٠- {وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ}.

ذكرَ أن العرضَ تقدَّمَ في الآيةِ (٤٦) من سورة غافر {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا}. وقد أطالَ هناك رحمَهُ الله، وقالَ في آخره: معنى عرضِهم على النارِ أن أرواحَهم تُشاهِدُ المواضعَ التي أُعدَّتْ لها في جهنم.

٢١- {أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ}.

لا تُشركوا مع اللهِ شيئًا في عبادتِكم إيَّاه، ولكنْ أخلِصوا له العبادة، وأفرِدوا له الألوهة، أنه لا إله غيره. (الطبري).

٢٤- {بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ}.

أي: قالَ هود: ليسَ الأمرُ كذلك، بل هو {مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ} من العذاب. (روح البيان)، حيثُ قالوا: {فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا}. (فتح القدير).

٢٥- {كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ}.

الكافرين بالله. (الطبري).

٣٤- {وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ}.

قالَ عند تفسيرِ الآيةِ (٤٦) من سورة غافر {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا}: معنى عرضِهم على النارِ أن أرواحَهم تُشاهِدُ المواضعَ التي أُعدَّتْ لها في جهنم.

وقالَ الشوكاني في لفظِ {يُعْرَضُ} في الآيةِ (٢٠) من هذه السورةِ نفسها: {وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ} ... فينظرون إلى النارِ ويُقرَّبون منها، وقيل: معنى يُعرَضون: يعذَّبون، من قولهم: عرَضَهُ على السيف، وقيل: في الكلامِ قلب، والمعنى: تُعرَضُ النارُ عليهم.

سورة محمد

٨- {وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ}.

ذكرَ أنه فسَّرَهُ في الآيةِ الأولَى من السورة، بقوله: الإضلال: الإبطالُ والإضاعة، وهو يرجعُ إلى الضلال. وأصله: الخطأُ للطريقِ المسلوكِ للوصولِ إلى مكانٍ يُراد، وهو يستلزمُ المعانيَ الأُخَر.

١٠- {**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ**}.

ذكرَ أن نظيرَهُ تقدَّمَ في سورةِ الرومِ وغافر، قالَ عند تفسيرِ الآيةِ (٨٢) من السورةِ الأخيرة: السيرُ المستفهَمُ عنه بالإنكارِ على تركه، هو سيرٌ تحصلُ فيه آياتٌ ودلائلُ على وجودِ الله ووحدانيته.

وفي الآيةِ (٩) من سورةِ الرومِ أحالَ إلى ما فسَّرَهُ في الآيةِ (١١) من سورةِ الأنعام، وهناكَ ذكرَ أن النظرَ في عاقبةِ المكذِّبين هو المقصدُ من السير، فهو ممّا يُرتقَى إليه بعد الأمرِ بالسير، ولأن هذا النظرَ محتاجٌ إلى تأمُّل وترسُّمٍ فهو أهمُّ من السير...

١٢- {**إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**}.
إنَّ اللهَ يُكرِمُ المؤمنينَ الصَّالحين يومَ القيامة، ويُثيبُهم على أعمالِهم خيرَ الجزاء، فيُدخِلُهم جنَّاتٍ عاليات، تجري مِن تحتِها الأنهار، لتزيدَ مِن سعادتِهم وبهجتِهم. (الواضح).

١٥- {**مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آَسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ**}.
{وُعِدَ الْمُتَّقُونَ}: وهم الذين اتَّقَوا في الدنيا عقابَهُ بأداءِ فرائضه، واجتنابِ معاصيه.
{خَالِدٌ فِي النَّارِ}: أمَّن هو في هذه الجنةِ التي صفتُها ما وصفنا، كمن هو خالدٌ في النار، (الطبري)، كمن هو خالدٌ في النار، التي لا يُطفَأُ لهيبُها، ولا يُفَكُّ أسيرُها، ولا يؤنَسُ غريبُها. (روح البيان).

١٦- {**وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ**}.

واتَّبعوا ما دعتهم إليه أنفسُهم، فهم لا يرجعونَ ممَّا هم عليه إلى حقيقةٍ ولا برهان... (الطبري).

١٨- {**فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاء أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءتْهُمْ ذِكْرَاهُم**}.

{السَّاعَةَ}: الساعةَ التي وعدَ اللهُ خَلقَهُ بعثَهم فيها مِن قبورِهم أحياء. (الطبري).

{فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءتْهُمْ ذِكْرَاهُم}: ذكرَ أن تركيبَها مثلَ تركيبِ قولهِ تعالى: {أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى} [سورة الدخان: ١٣]، قالَ هناك: الاستفهامُ مستعملٌ في الإنكارِ والإحالة، أي: كيف يتذكرون وهم في شكٍّ يلعبون، وقد جاءهم رسولٌ مبين، فتولَّوا عنه وطعنوا فيه؟

٢٢- {**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُم**}.

الرَّحِم: رَحِمُ المرأة، وهو منبتُ الولدِ ووعاؤهُ في البطن، ثم سمِّيتِ القرابةُ والوصلةُ من جهةِ الولادِ رَحِمًا بطريقِ الاستعارة، لكونهم خارجين من رحمٍ واحد.

ثم أوردَ قولَ أبي حيّان: الأظهرُ أن المعنى: إنْ أعرضتُم أيها المنافقون عن امتثالِ أمرِ الله في القتال، أن تفسدوا في الأرض، بعدمِ معونةِ أهلِ الإسلامِ على أعدائهم، وتقطعوا أرحامكم؛ لأن مِن أرحامكم كثيرًا من المسلمين، فإذا لم تُعينوهم قطعتُم أرحامكم. (روح البيان).

٢٣- {**أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ**}.

أبعدَهمُ اللهُ مِن رحمتِه. (الواضح).

٣٢- {**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**}.

وصدُّوا الناسَ عن دينهِ الذي ابتَعثَ به رسله. (الطبري).

٣٤- {**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**}.

وصـدُّوا مَن أرادَ الإيمانَ باللهِ وبرسـولهِ عن ذلك، ففتنوهم عنه، وحالوا بينهم وبين ما أرادوا مِن ذلك. (الطبري).

سورة الفتح

٥- {لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ}.

جنَّاتٍ تجري مِن تحتِها الأنهار، ماكثينَ فيها إلى غيرِ نهاية، وليكفِّرَ عنهم سـيِّءَ أعمالِهم، بالحسـناتِ التي يعملونَها، شـكرًا منهم لربِّهم على ما قضَـى لهم، وأنعمَ عليهم به، وكانَ ما وعدَهم اللهُ بهِ مِن هذهِ العِدَة. (منتخب من الطبري).

٦- {عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا}.

أحاطَ بهم السُّـوءُ وأرداهُم، وسَـخِطَ اللهُ عليهم وأبعدَهم مِن رحمتِه، وهيَّأَ لهم ما يَسـوؤهم مِن العذابِ الشَّديدِ في جهنَّم، وبئسَ المصيرُ مصيرُهم. (الواضح في التفسير).

٧- {وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}.

ذكرَ أنه نظيرُ ما تقدَّمَ في الآيةِ (٤) من السـورة، ومن قولهِ هناك: ... فالله من يملكُ جميعَ وسائلِ النصر، وله القوةُ القاهرةُ في السماواتِ والأرض... وأُطلِقَ على أسبابِ النصرِ الجنود، تشبيهاً لأسبابِ النصرِ بالجنودِ التي تقاتلُ وتنتصر.. ثم عدَّدَ أنواعَ جندِ الله، من مثلِ المؤمنين، والملائكة، والريح، والمطر...

١٠- {وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا}.

وهو الجنة. (البغوي، فتح القدير).

١٢- {وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ في الآيةِ (٦) من السورة، قالَ هناك: المفتوحُ والمضمومُ مترادفان في أصلِ اللغة، ومعناهما: المكروه، ضدُّ السرور، فهما لغتان، مثل: الكَره والكُره، الضَّعف والضُّعف، والضَّر والضُّر، والبَأس والبُؤس.

١٤- {**وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ**}.

{وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}: ولله سلطانُ السماواتِ والأرض. (الطبري).

{لِمَنْ يَشَاءُ}: ذكرَ أن إجمالَ المشيئةِ وأسبابها بُيِّنتْ غيرَ مرة، من ذلك قوله: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ} [سورة النساء: ٤٨]. وقد أطالَ هناك رحمَهُ الله، وأوردَ أقوالًا، لكنْ قالَ آخرًا: اتفقَ المسلمون كلُّهم على أن التوبةَ من الكفر، أي الإيمانَ، يوجبُ مغفرته، سواءٌ كان كفرَ إشراك، أم كفراً بالإسلام، لا شكَّ في ذلك، إمّا بوعدِ الله عند أهلِ السنَّة، أو بالوجوبِ العقليّ عند المعتزلة، وأن الموتَ على الكفرِ مطلقاً لا يُغفَرُ بلا شكّ، إمّا بوعيدِ الله، أو بالوجوبِ العقليّ، وأن المذنبَ إذا تابَ يُغفَرُ ذنبهُ قطعاً، إمّا بوعدِ الله، أو بالوجوبِ العقليّ. واختُلِفَ في المذنبِ إذا ماتَ على ذنبهِ ولم يتبْ، أو لم يكنْ له من الحسناتِ ما يغطّي على ذنوبه، فقالَ أهلُ السنَّة: يعاقَبُ ولا يخلَّدُ في العذابِ بنصِّ الشريعة، لا بالوجوب، وهو معنى المشيئة، فقد شاءَ الله ذلك وعرَّفَنا مشيئتَهُ بأدلةِ الكتابِ والسنَّة...

١٦- {**قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**}

{يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا}: يُعطِكمُ اللهُ على إجابتِكم إيَّاهُ إلى حربِهم الجنَّة. (الطبري).

{تَتَوَلَّوْا}: تُعرِضوا. (البغوي).

{يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا}: يُعذِّبْكمُ اللهُ عذابًا وجيعًا، وذلكَ عذابُ النار، على عصيانِكم إيَّاه، وتركِكم جهادَهم وقتالَهم مع المؤمنين. (الطبري).

١٧- {لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا}.

لا إثمَ على الأعمَى، ولا على الأعرج، ولا على المريض، في التخلُّفِ عن الجهاد، لِما بهم مِن العذر، ومَن يُطِعِ اللهَ ورسولَهُ فيما أُمِرَ بهِ ونُهيَ عنه، يُدخِلْهُ اللهُ جنَّاتٍ عاليات، تجري مِن تحتِها الأنهار، ومَن يُعرِضْ عن الطَّاعة، ويتخلَّفْ عن الجهاد، يُعذِّبْهُ في الدُّنيا بالمذلَّةِ والصَّغار، وفي الآخرةِ بالعقوبةِ والنَّار. (الواضح).

٢٤- {وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ}.

{كَفَّ}: ذكرَ أنه تقدَّمَ معنى (كفَّ) في الآيةِ (٢٠) من السورة، قالَ هناك: الكفُّ: منعُ الفاعلِ من فعلٍ أرادَهُ أو شرعَ فيه، وهو مشتقٌّ من اسمِ الكفّ، التي هي اليد؛ لأن أصلَ المنعِ أن يكونَ دفعاً باليد، ويقال: كفَّ يدَهُ عن كذا، إذا منعَهُ من تناولهِ بيده.

٢٩- {يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا}.

{فَضْلاً}: ثوابًا. (البغوي). يلتمسون بركوعهم وسجودهم وشدَّتهم على الكفار، ورحمةِ بعضِهم بعضاً، فضلاً من الله، وذلك رحمتهُ إيّاهم، بأن يتفضَّلَ عليهم فيُدخلَهم جنَّته.

{الَّذِينَ آمَنُوا}: وعدَ الله الذين صدَّقوا اللهَ ورسولَه، {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}، يقول: وعملوا بما أمرَهم الله به من فرائضهِ التي أوجبها عليهم. (الطبري).

سورة الحجرات

٧- {وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ}.

الكفر: تغطيةُ نعمِ الله بالجحود، والفسوق: الخروجُ عن القصدِ – أي: العدلِ – بظلمِ نفسه، والعصيان: الامتناعُ من الانقياد، وهو شاملٌ لجميعِ الذنوب، والفسوقُ مختصٌّ بالكبائر. (روح البيان).

٨- {فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}.

أي: عليمٌ بمن يستحقُّ الهدايةَ ممَّن يستحقُّ الغواية، حكيمٌ في أقوالِه وأفعاله، وشرعِه وقدره. (ابن كثير).

٩- {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}.

إنَّ اللهَ يحبُّ العادلين، ويَجزيهم الثَّوابَ الجزيل. (الواضح).

١١- {بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}

فأولئكَ هم الذينَ ظلموا أنفسَهم، فأكسبوها عقابَ اللهِ بركوبِهم ما نهاهُم عنه. (الطبري).

سورة ق

٩- {وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا}.

أي: نزَّلنا من السحابِ ماءً. (فتح القدير).

٢٠- {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ}.

ذكرَ أن النفخَ في الصورِ تقدَّمَ في قوله: {وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ} [سورة الأنعام: ٧٣]، وفيه أن الصورَ هو البوق، وأن يومَ النَّفخِ في الصُّورِ هو {وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ} (في الآيةِ نفسها).

٢٧- {قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ}.

ذكرَ أنه نفسهُ الواردُ في الآيةِ (٢٣) من السورة: {وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيد}. وقد أوردَ هناك ثلاثةَ أقوالٍ للمفسرين في (القرين)، وأن على الاختلافِ في المرادِ به يختلفُ تفسيرُ لآية، وهي: الملَك، والشيطان، والإنسان...

٣١- {وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ}.

للذينَ اتَّقَوا ربَّهم فخافوا عقوبتَهُ بأداءِ فرائضهِ واجتنابِ معاصيه. (الطبري).

٣٣- {مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَن بِالْغَيْبِ وَجَاء بِقَلْبٍ مُّنِيب}.

المنيب: الراجعُ إلى الخير، المائلُ إليه. (ابن عطية).

٣٦- {وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ}.

القرن: القومُ المقترنون. (روح البيان). أي: من أمة. (فتح القدير).

٣٨- {وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ}.

وما بينهما مِن الخلائق. (الطبري).

٤٥- {فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيد}.

الوعيدُ الذي أوعدتهُ من عصـــاني وخالفَ أمري. (الطبري). والوعيد: التخويفُ بالعذاب، ويستعملُ في نفسِ العذاب. (روح البيان).

سورة الذاريات

١٢- {يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ}.

يعني يومَ القيامة. (البغوي).

١٥- {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ}.

إن الذين اتَّقَوا اللهَ بطاعته، واجتنابِ معاصـيهِ في الدنيا، في بسـاتينَ وعيونِ ماءٍ في الآخرة. (الطبري).

٢٠- {وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ}.

لأهلِ اليقينِ بحقيقةِ ما عاينوا ورأوا إذا ساروا فيها. (الطبري).

٢٥- {إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنكَرُون}.

ذكرَ أن نظيرَهُ تقدَّمَ في سـورةِ هود (الآية ٦٩)، ومن قولهِ هناك (ملخصًـا): التحية: السـلام، و{سَلَامًا} تقديره: سلَّمنا سلاماً. و{سَلَامٌ} تقديره: أمري سلام، أي: لكم. ورفعُ المصدرِ أبلغُ من نصبه، ويكونُ ردُّ السّلامِ من إبراهيمَ عليه السـلام، بعبارةٍ أحسـنَ من عبارةِ الرسـل، زيادةً في الإكرام.

٢٨- {وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ}.

الغلام: الطارُّ الشـارب، والكهل: ضـدُّه. أو من حين يولَدُ الى أن يشـبَّ، كما في القاموس. (روح البيان). {عَلِيمٍ}: كثيرِ العلم، عند أن يبلغَ مبالغَ الرجال. (فتح القدير).

الجزء السابع والعشرون

٣٧- {وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الأَلِيم}.
علامة، ودلالةً تدلُّ على ما أصابهم من العذاب. (فتح القدير).

٣٩- {فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ}.
أي: لا يخلو أمرُكَ فيما جئتَني به مِن أنْ تكونَ ساحرًا، أو مجنونًا. (ابن كثير).

٤٠- {فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيم}.
فانتقَمنا منه، وطرَحناهُ معَ جنودهِ في البحر. (الواضح).

٤٦- {وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ}
إنهم كانوا مخالفينَ أمرَ الله، خارجينَ عن طاعته. (الطبري).

٥١- {إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ}.
قد أبانَ لكم النذارة. (الطبري).

٥٣- {أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُون}.
جمعهم الطغيان، وهو مجاوزةُ الحدِّ في الكفر. (فتح القدير).

سورة الطور

١٧- {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ}.
في بساتينَ ونعيمٍ فيها، وذلكَ في الآخرة. (الطبري).

٢٠- {وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ}

جمعُ عَيْناء، وهي العظيمةُ العَيْن، في حُسنٍ وسَعة. (الطبري).

٣١- {قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ}.

ذكرَ عند تفسيرِ الآيةِ تسبقها، أن التربصَ هو الانتظار.

٣٢- {أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ}.

مجاوزون الحدودَ في المكابرةِ والعنادِ مع ظهورِ الحقّ، لا يحومون حولَ الرشدِ والسداد، ولذلك يقولون ما يقولون من الأكاذيبِ الخارجةِ عن دائرةِ العقولِ والظنون. (روح البيان).

٤٦- {يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا}.

ذكرَ أنه بمعنى المشارِ إليه بقوله: {أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا} (الآية ٤٢ من السورة)، وهناك قوله: الكيدُ والمكرُ متقاربان، وكلاهما إظهارُ إخفاءِ الضرّ بوجوهِ الإخفاء، تغريراً بالمقصودِ له الضرُّ.

سورة النجم

٣٢- {هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى}.

خافَ عقوبةَ اللهِ فاجتنبَ معاصيه. (الطبري).

٣٣- {أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى}.

أدبرَ عن الإيمان. (البغوي). أعرض عن اتباعِ الحقِّ والثباتِ عليه. (روح البيان).

٥١- {وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى}.

أي: أهلكَ ثموداً كما أهلكَ عاداً، فما أبقَى أحداً من الفريقين. وثمودُ هم قومُ صالح، أُهلِكوا بالصيحة. (فتح القدير).

٥٢- {وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى}.

{وَقَوْمَ نُوحٍ} أي: وأهلكَ قومَ نوح.

{أَظْلَمَ وَأَطْغَى} أي: أظلمَ من عادٍ وثمود، وأطغَى منهم، أو أظلمَ وأطغَى من جميعِ الفرقِ الكفرية، أو أظلمَ وأطغَى من مشركي العرب، وإنما كانوا كذلك لأنهم عتَوا على الله بالمعاصي، مع طولِ مدةِ دعوةِ نوحٍ لهم. (فتح القدير)، حيثُ كانوا يؤذونه، وينفرون الناسَ عنه، وكانوا يحذِّرون صبيانهم أن يسمعوا منه. وكانوا يضربونَهُ عليه السلامُ حتى لا يكونَ به حراك، وما أثَّرتْ فيهم دعوتُهُ قريبًا من ألفِ سنة، وما آمنَ معه إلا قليل. (روح البيان).

سورة القمر

١٧- {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ}.

قالَ عند تفسيرِ الكلمةِ في الآيةِ (١٥) من السورة: أصلهُ مُذتَكر، مفتعلٌ من الذُّكر، بضمِّ الذال، وهو التفكرُ في الدليل، فقلبتْ تاءُ الافتعالِ دالاً لتقاربِ مخرجيهما، وأُدغِمَ الذالُ في الدالِ لذلك.

٢١- {فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ}.

قالَ في مثلها، في الآيةِ (١٦) من السورة: الاستفهامُ مستعملٌ في التعجيبِ من شدَّةِ هذا العذابِ الموصوف. والجملةُ في معنى التذييل، وهو تعريضٌ بتهديدِ المشركين أن يصيبَهم عذابٌ جزاءَ تكذيبهم الرسولَ صلى الله عليه وسلم وإعراضِهم وأذاهم كما أصابَ قومَ نوح. وحُذِفَ ياءُ المتكلمِ من {نُذُرِ} وأصلهُ نُذري. وحذفُها في الكلامِ في الوقفِ فصيح، وكثرَ في القرآنِ عند الفواصل. والنذرُ جمعُ نذير، الذي هو اسمُ مصدرِ أَنذر، كالنذارة، وتقدَّمَ آنفاً في هذه السورة [الآية ٥]، وإنما جُمعتْ لتكررِ النذارةِ من الرسولِ لقومهِ طلباً لإيمانهم.

٢٢- {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ}.

فسَّــرَها في الآيةِ (١٧) من الســورةِ نفسِــها، منه قوله: لما كانتْ هذه النذارةُ بُلِّغتْ بالقرآن، والمشركون معرضون عن استماعه، حارمين أنفسهم من فوائده، ذُيِّلَ خبرُها بتنويهِ شأنِ القرآنِ بأنه من عند الله، وأن الله يسَّــرَهُ وســهَّلَهُ لتذكُّرِ الخلقِ بما يحتاجونهُ من التذكير، مما هو هدًى وإرشاد.

٢٦- {**سَيَعْلَمُونَ غَداً مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ**}.

ذكرَ قولَهم عند تفسيرِ الآيةِ السابقة: كذّابٌ فيما ادَّعاه، بطرٌ متكبِّر.

٣٠- {**فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ**}.

قالَ في مثلها، في الآيةِ (١٦) من السورة: الاستفهامُ مستعملٌ في التعجيبِ من شدَّةِ هذا العذابِ الموصوف. والجملةُ في معنى التذييل، وهو تعريضٌ بتهديدِ المشركين أن يصيبَهم عذابٌ جزاءَ تكذيبهم الرسولَ صلى الله عليه وسلم وإعراضِهم وأذاهم كما أصابَ قومَ نوح. وحُذِفَ ياءُ المتكلمِ من {نُذُرِ} وأصلهُ نُذري. وحذفُها في الكلامِ في الوقفِ فصيح، وكثرَ في القرآنِ عند الفواصل. والنذرُ جمعُ نذير، الذي هو اسمُ مصدرِ أَنذر، كالنذارة، وتقدَّمَ آنفاً في هذه السورة [الآية ٥]، وإنما جُمعتْ لتكررِ النذارةِ من الرسولِ لقومهِ طلباً لإيمانهم.

٣٢- {**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**}.

فسَّــرَها في الآيةِ (١٧) من الســورةِ نفسِــها، منه قوله: لما كانتْ هذه النذارةُ بُلِّغتْ بالقرآن، والمشركون معرضون عن استماعه، حارمين أنفسهم من فوائده، ذُيِّلَ خبرها بتنويهِ شأنِ القرآنِ بأنه من عند الله، وأن الله يسَّــرَهُ وســهَّلَهُ لتذكُّرِ الخلقِ بما يحتاجونهُ من التذكير، مما هو هدًى وإرشاد.

٣٣- {**كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ**}.

كذَّبتْ قومُ لوطٍ بآياتِ اللهِ التي أنذرَهم وذكَّرهم بها. (الطبري).

٣٦- {وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ}.

بالإنذارِ والوعيد. (ينظر الواضح).

٣٩- {فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ}.

فذوقوا معشرَ قومَ لوطٍ عذابي الذي أحللتهُ بكم، بكفركم بالله وتكذيبِكم رسوله، وإنذاري بكم الأممَ سواكم، بما أنزلتهُ بكم من العقاب. (الطبري).

٤٠- {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ}.

فسَّرَها في الآيةِ (١٧) من السورةِ نفسِها، منه قوله: لما كانتْ هذه النذارةُ بُلِّغتْ بالقرآن، والمشركون معرضون عن استماعه، حارمين أنفسهم من فوائده، ذُيِّلَ خبرها بتنويهِ شأنِ القرآنِ بأنه من عند الله، وأن الله يسَّرَهُ وسهَّلَهُ لتذكُّرِ الخلقِ بما يحتاجونهُ من التذكير، مما هو هدًى وإرشاد.

٥١- {وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ}.

قالَ عند تفسيرِ الكلمةِ في الآيةِ (١٥) من السورة: أصلهُ مُذتَكر، مفتعلٌ من الذُّكر، بضمِّ الذال، وهو التفكرُ في الدليل، فقلبتْ تاءُ الافتعالِ دالاً لتقاربِ مخرجيهما، وأُدغِمَ الذالُ في الدالِ لذلك.

٥٤- {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ}.

الذين اتقَوا عقابَ الله، بطاعته، وأداءِ فرائضه، واجتنابِ معاصيه. (الطبري).

سورة الرحمن

١٨- {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}.

ذكرَ في الآيةِ (١٣) مِن هذه السورة، أن المخاطَبَ بالقولِ المسلمون والكافرون، أي أن نعمَ الله على الناسِ لا يجحدها كافر، بَلْهَ المؤمن، وكلُّ فريقٍ يتوجَّهُ إليه الاستفهامُ بالمعنى الذي يناسبُ حاله، والمقصودُ الأصلي: التعريضُ بالمشركين، وتوبيخُهم على أن أشركوا في العبادةِ مع المنعِم غيرَ المنعِم، والشهادةُ عليهم بتوحيدِ المؤمنين.

وقالَ في معنى الآيةِ أخيرًا: التكذيبُ مستعملٌ في معنى الجحدِ والإنكارِ مجازاً لتشنيعِ هذا الجحد، وتكذيبُ الآلاءِ كنايةٌ عن الإشراكِ بالله في الإلهية، والمعنى: فبأيّ نعمةٍ من نعمِ الله عليكم تنكرون أنها نعمةٌ عليكم فأشركتم فيها غيره، بَلْه إنكارَ جميعِ نعمه، إذ تعبدون غيرهُ دواماً. اهـ.

وأنقلُ هنا مِن الطبريّ رحمَهُ اللهُ كلَّما فسَّرها، ومِن "الواضح في التفسير" ما لم يفسِّره، أو ما لم يكنْ واضحًا عنده.

وكانَ تفسيرُ الطبريّ للآيةِ بقوله: فبأيّ نِعَمِ ربّكما معشرَ الجنّ والإنسِ مِن هذه النِّعمِ التي أنعمَ بها عليكم، مِن تسخيرِهِ الشمسَ لكم في هذينِ المشرقينِ والمغربين، تجري لكما دائبةً بمرافقِكما، ومصالحِ دنياكما ومعايشِكما، تكذِّبان؟

٢١- {فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}.

فبأيّ نعمِ اللهِ ربّكما معشرَ الجنّ والإنسِ تكذِّبان، مِن هذهِ النعمِ التي أنعمَ عليكم، مِن مَرْجِهِ البحرين، حتى جعلَ لكم بذلكَ حليةً تلبسونَها كذلك؟ (الطبري).

٢٣- {فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}.

فبأيّ نِعَمِ ربّكما معشرَ الثقلينِ التي أنعمَ بها عليكم، فيما أخرجَ لكم مِن نافعِ هذينِ البحرينِ تكذِّبان؟ (الطبري).

٢٥- {فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}.

فبأيّ نعمِ ربّكما معشرَ الجنّ والإنس، التي أنعمَها عليكم، بإجرائهِ الجواريَ المنشَآتِ في البحرِ جاريةً بمنافعِكم، تكذِّبان؟ (الطبري).

٢٨- {فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}.

فسَّرَ جانبًا منه مؤلفُ الأصل، هنا وفي الآيةِ السابقة.

وقالَ الإمامُ الطبري: فبأيّ نِعَم ربِّكما معشرَ الثقلين من هذه النعمِ تكذِّبان.

٣٠- {فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}.

فبأيِّ نِعَمِ ربِّكما معشرَ الجنِّ والإنس، التي أنعمَ عليكم، مِن صرفِهِ إياكم في مصالحِكم، وما هو أعلمُ به منكم مِن تقليبهِ إيّاكم فيما هو أنفعُ لكم، تكذِّبان؟ (الطبري).

٣٢- {فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}.

فبأيِّ نعمِ ربِّكما معشرَ الثقلين، التي أنعمَها عليكم، مِن ثوابهِ أهلَ طاعته، وعقابهِ أهلَ معصيته، تكذِّبان؟ (الطبري).

٣٤- {فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}.

فبأيِّ نِعَمِ اللهِ تُكذِّبانِ يا معشرَ الجِنِّ والإنس، وأنتُما تعلَمانِ قدرةَ اللهِ وعظمتَهُ مِن عظمةِ خَلقهِ وإحكامِه، وما فيهِ مِن نواميسَ وموازينَ وتناسُق؟ فأطيعاه، فلا مَلجأ لكما منهُ إلاّ إليه. (الواضح).

٣٦- {فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}.

فبأيِّ نِعَمِ اللهِ تُكذِّبانِ يا معشرَ الجِنِّ والإنس، وأنتُما تحتَ قهرهِ وسلطانِه، ولا خلاصَ لكما مِن أمرِه، ولا بدَّ لكما مِن الموت، ثمَّ الحسابِ والجزاء، ولا يبقَى مظلومٌ إلاَّ ويأخذُ حقَّه، ولا مؤمنٌ إلاَّ ويُثاب، ولا كافرٌ إلاّ ويعاقَب؛ تحقيقًا للحقّ، وحُكمًا بالعدل؟ (الواضح).

٣٨- {فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}.

فأيَّ نِعَمِ اللهِ تَجحدانِ أيُّها الثَّقلان، وأمرهُ كائنٌ لا بدّ، وفي القيامةِ أحوالٌ وأهوال، وقد أنذرَكما اللهُ منها؟ (الواضح).

٤٠- {فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}.

فبأيِّ نعمِ ربِّكما معشـــرَ الثقلين، التي أنعمَ عليكم مِن عدلهِ فيكم، أنهُ لم يعاقِبْ منكم إلاّ مجرمًا، [تكذِّبان]؟ (الطبري).

٤٢- {فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}.

فبأيِّ نعمِ ربِّكما معشـــرَ الجنِّ والإنسِ التي أنعمَ عليكم بها، مِن تعريفهِ ملائكتَهُ أهلَ الإجرامِ مِن أهلِ الطاعةِ منكم، حتى خصُّـــوا بالإذلالِ والإهانةِ المجرمينَ دونَ غيرهم، [تكذِّبان]؟. (الطبري).

٤٣- {هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُون}.

المشركون. (البغوي).

٤٥- {فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}.

فبأيِّ نِعَمِ ربِّكما معشرَ الجنِّ والإنسِ التي أنعمَها عليكم، بعقوبتهِ أهلَ الكفرِ به، وتكريمِهِ أهلَ الإيمانِ به، تكذِّبان؟ (الطبري).

٤٧- {فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}.

فبأيِّ نعمِ ربِّكما أيها الثقلانِ التي أنعمَ عليكم، بإثابتهِ المحســنَ منكم ما وصــفَ جلَّ ثناؤهُ في هذهِ الآياتِ تكذِّبان؟ (الطبري).

٤٩- {فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}.

فبأيِّ نعمِ ربِّكما معشـــرَ الثقلينِ التي أنعمَ عليكما، بإثابتهِ هذا الثوابَ أهلَ طاعتهِ تكذِّبان؟ (الطبري).

٥٠- {فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ}.

قالَ الحســن: تجريان بالماءِ الزلال، إحداهما التســنيم، والأخرى الســلســبيل. (البغوي، روح البيان).

٥١- {فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}.

فبأيِّ نعمةٍ مِن نِعَمِ اللهِ تجحدانِ أيُّها الإنسُ والجانّ، وقد أكرمَ مؤمِنَكما بما يُبهِجُ نفوسَـــهما ويَزيدُ مِن سعادتِهما، مِن بساتينَ وعيونٍ متفجِّرةٍ، وحُورٍ عِين، وفواكهَ ممَّا يشتَهون...جزاءً لهما وثوابًا مِن عندِ اللهِ على إيمانِهما وطاعتِهما في الدُّنيا؟ (الواضح).

٥٣- {فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}.

فبأيِّ آلاءِ ربِّكما التي أنعمَ بها على أهلِ طاعتهِ مِن ذلكَ تكذِّبان؟ (الطبري).

٥٤- {وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ}.

قريب. (البغوي).

٥٥- {فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}.

فبأيِّ آلاءِ ربِّكما معشـــرَ الثقلينِ التي أنعمَ عليكما، مَن أثابَ أهلَ طاعتهِ منكم هذا الثواب، وأكرمَهم هذهِ الكرامة، تكذِّبان؟ (الطبري).

٥٩- {فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}.

فبأيِّ نعمِ ربِّكما التي أنعمَ عليكم معشـــرَ الثقلين، من إثابتهِ أهلَ طاعتهِ منكم بما وصـــفَ في هذه الآياتِ تكذِّبان؟ (الطبري).

٦١- {فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}.

فبأيِّ نعمِ ربِّكما معشرَ الثقلينِ التي أنعمَ عليكم، مِن إثابتهِ المحسنَ منكم بإحسانهِ تكذِّبان؟ (الطبري).

٦٣- {فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}.

فبأيِّ نِعَمِ اللهِ الظَّاهرةِ والباطنةِ تجحدانِ أيُّها الإنسُ والجانّ، وقد علمَ ضَعْفَ بعضِكما وقلَّةَ همَّتِهما، فلم يَحرِمْهما فضلَهُ في الآخرة، ما داما كانا موحِّدينَ في الدُّنيا، فأنعمَ عليهما بالجنَّةِ كذلك، ولكنْ دونَ درجةِ مَن كانوا أعلَى همَّةً منهما في الطَّاعةِ والإحسان، والدَّعوةِ والجهاد؟ (الواضح).

٦٥- {فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}.

فبأيِّ نِعَمِ ربِّكما التي أنعمَ عليكم، بإثابتهِ أهلَ الإحسانِ ما وصفَ في هاتينِ الجنَّتينِ تكذِّبان؟ (الطبري).

٦٧- {فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}.

فبأيِّ نِعمَةٍ مِن نِعَمِ اللهِ تجحدانِ يا معشرَ الجِنِّ والإنس، وقد أعدَّ لكما في الآخرةِ - إنْ أحسنتُما واتَّقيتُما - خيرَ ما ترجُوان، وأحسنَ ما تأمُلان، في جنَّاتٍ عالية، بها عيونٌ تزخَرُ بالماءِ الزُّلال، فتملأُ العينَ جمالاً، والنَّفسَ أُنسًا وبهجة، دوامًا؟ (الواضح).

٦٨- {فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّان}.

النخلُ والرمّانُ وإن كانا من الفاكهة، لكنهما خُصِّصا بالذكرِ لمزيد حُسنهما، وكثرةِ نفعهما بالنسبةِ إلى سائرِ الفواكه، كما حكاهُ الزجّاجُ والأزهريُّ وغيرهما... (فتح القدير).

٦٩- {فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}.

فبأيِّ نِعَمِ ربِّكما التي أنعمَها عليكم بهذه الكرامةِ التي أكرمَ بها محسنَكم تكذِّبان؟ (الطبري).

٧٣- {فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}.

فبأيِّ نِعَمِ ربِّكما التي أنعمَ عليكما مِن الكرامة بإثابةِ محسنِكم هذه الكرامةَ تكذِّبان؟ (الطبري).

٧٤- {لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ آنفًا (الآية ٥٦ من السورة)، ومن قولِهِ هناك: الطمْث: مسيسُ الأنثى البِكر، أي من أبكار. وعُبِّرَ عن البكارةِ بـ {لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ} إطناباً في التحسين. وهؤلاء هنَّ نساءُ الجنة، لا أزواجُ المؤمنين اللائي كُنَّ لهم في الدنيا؛ لأنهنَّ قد يكنَّ طمثهم [هكذا] أزواج، فإن الزوجةَ في الجنةِ تكونُ لآخرِ من تزوَّجها في الدنيا. ولما ذكر {إِنْسٌ} نشأَ توهُّمُ أن يمَسَّهنَّ جِنّ، فدُفِعَ ذلك التوهُّمُ بهذا الاحتراس.

٧٥- {فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}.

فبأيِّ نعمةٍ مِن نِعَمِ اللهِ تَجحدانِ يا معشرَ الإنسِ والجانّ، وقد جعلَ لمن كانَ لهُ نصيبٌ في الجنَّةِ منكما ما يَودَّانَ في النِّساءِ ويَرغبانِ فيهنّ، وأهنأَ وألذّ؟ (الواضح).

٧٧- {فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}.

فبأيِّ نِعَمِ ربِّكما التي أنعمَ عليكم، مِن إكرامِهِ أهلَ الطاعةِ منكم هذهِ الكرامةَ تكذِّبان؟ (الطبري).

سورة الواقعة

١٢- {فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ}

في بساتينِ النعيمِ الدائم. (الطبري).

٢٢- {وَحُورٌ عِينٌ}.

قال: النساءُ ذاتُ الحَوَر، وتقدَّمَ في سورةِ الرحمن (الآية ٧٢). قالَ في معناهُ هناك: شدَّةُ بياضِ أبيضِ العين، وشدَّةُ سوادِ أسودها، وهو من محاسنِ النساء.

٢٧- {وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ}.

أشارَ إلى دلالةِ معناهُ مع لفظِ (الميمنة) الواردِ في الآيةِ (١٢) من السورة، وقد قالَ هناك: هم الذين يُجعَلون في الجهةِ اليمنى في الجنةِ أو في المحشر. واليمينُ جهةُ عنايةٍ وكرامةٍ في العرف، واشتُقَّتْ من اليُمْن، أي: البركة.

٣٢- {وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ}.

أي: بحسبِ الأنواعِ والأجناس، على ما يقتضيهِ المقام. (روح المعاني).

وذكرَ مؤلفُ الأصلِ أن (الفاكهة) تقدَّمت آنفًا (في الآيةِ ٢٠) من السورة، قالَ هناك: الفاكهة: الثمارُ والنقول، كاللوزِ والفستق.

٣٨- {لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ}.

هم أصحابُ (الميمنة)، كما أشارَ إلى ذلك في الآيةِ (٢٧) من السورة. قالَ في الآيةِ (١٢) من السورة: هم الذين يُجعَلون في الجهةِ اليمنى في الجنةِ أو في المحشر. واليمينُ جهةُ عنايةٍ وكرامةٍ في العرف، واشتُقَّتْ من اليُمْن، أي: البركة.

٣٩- {ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ}.

قالَ في الآيةِ (١٣) مِن السورة: الثلَّة: اسمٌ للجماعةِ من الناسِ مطلقاً، قليلاً كانوا أو كثيراً.

وقال: معنى {الْأَوَّلِينَ}: قومٌ متقدِّمون على غيرهم في الزمان؛ لأن الأولَ هو الذي تقدَّمَ في صفةٍ ما، كالوجودِ أو الأحوالِ على غيرِ الذي هو الآخِرُ أو الثاني، فالأوَّليةُ أمرٌ نسبيّ، يبيّنهُ سياقُ الكلامِ حيثما وقع. فالظاهرُ أن {الْأَوَّلِينَ} هنا مرادٌ بهم الأممُ السابقةُ قبلَ الإسلام.

٤٠- {وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ}.

قالَ في الآيةِ (١٣) مِن السورة: الثلَّة: اسمٌ للجماعةِ من الناسِ مطلقاً، قليلاً كانوا أو كثيراً. وقالَ في الآيةِ (١٤) مِن السورة: لا جرمَ أن المرادَ بالآخِرين الأمةُ الأخيرة، وهم المسلمون.

٤١- {وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ}.

أصحابُ الشِّمالِ الذين يؤخَذُ بهم ذاتَ الشمالِ مِن موقفِ الحسابِ إلى النار، {مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ}: ماذا لهم، وماذا أُعِدَّ لهم؟ (الطبري).

٤٨- {أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ}.

أوَ آباؤنا الأوَّلونَ الذينَ كانوا قبلنا، وهم الأوّلون؟ (الطبري).

٦٧- {بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُون}.

مجدودون [يعني لا حظَّ لنا] ممنوعون، أي: حُرِمنا ما كنّا نطلبهُ من الريعِ في الزرع. (البغوي).

٧٠- {لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا}.

مِلحاً، وهو الأُجاج، والأُجاجُ من الماءِ ما اشتدَّتْ ملوحته. (الطبري).

٧٢- {أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ}.

أأنتم أحدثتُم شجرتها واخترعتُم أصلَها {أَمْ نَحْنُ المُنْشِئُونَ}؟ يقول: أم نحن اخترعنا ذلكَ وأحدَثناه؟ (الطبري).

٨٥- {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُون}.

أي: لا تدركون ذلك؛ لجهلكم بأن الله أقربُ إلى عبدهِ من حبلِ الوريد، أو لا تبصرون ملائكةَ الموت، الذين يحضرون الميتَ ويتولَّون قبضه. (فتح القدير).

٨٧- {تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}.

{إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} في تعطيلكم، وكفركم بالمحيي المميت، المبدىءِ المعيد، إذ كانوا فيما ذهبوا إليه من أن القرآنَ سحرٌ وافتراء، وأن ما نزلَ من المطرِ هو بنَوءِ كذا، تعطيلٌ للصانعِ وتعجيزٌ له. (البحر المحيط).

٨٩- {فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ}

وجنَّةٌ عاليةٌ يَنعَمُ فيها ويَخلُد. (الواضح).

٩٠- {وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ}.

وأمّا إنْ كانَ الميّتُ مِن أصحابِ اليمين، الذين يُؤخَذُ بهم إلى الجنَّةِ مِن ذاتِ أيمانِهم. (الطبري).

٩٣- {فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ}.

وهو المذابُ الذي يُصهَرُ به ما في بطونهم والجلود. (ابن كثير).

سورة الحديد

٣- {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}.

ذكرَ أن نظيرَهُ تقدَّمَ في أوائلِ سورةِ البقرة (الآية ٢٩). قالَ هناك: نتيجةٌ لما ذكرَهُ من دلائلِ القدرة، التي لا تصدرُ إلا من عليم، فلذلك قالَ المتكلمون: إن القدرةَ يجري تعلُّقها على وفقِ الإرادة، والإرادةَ على وفقِ العلم. وفيه تعريضٌ بالإنكارِ على كفرهم، والتعجيبِ منه، فإن العليمَ بكلِّ شيءٍ يقبحُ الكفرُ به. وهذه الآيةُ دليلٌ على عمومِ العلم...

٤- {هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِير}.

{هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}: ذكرَ أن قريبًا من هذه الآيةِ وردَ في سورةِ الأعراف، ويعني الآيةَ (٥٤) منها {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}، ومختصرُ تفسيرِهِ لها: الصِّلةُ {الَّذِي} مؤذنةٌ بالإيماءِ إلى وجهِ بناءِ الخبرِ المتقدِّم، وهو {إِنَّ رَبَّكُمُ}؛ لأن خلقَ السّماواتِ والأرضَ يكفيهم دليلاً على انفرادهِ سبحانهُ بالإلهية. وقوله: {فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} تعليمٌ بعظيمِ قدرته، ويحصلُ منه للمشركين زيادةُ شعورٍ بضلالهم في تشريكِ غيرِهِ في الإلهية. وقد اقتضتْ حكمةُ الله تعالى أن يكونَ خلقُ السّماواتِ والأرضِ مدرجاً، وأن لا يكونَ دفعة... وأيًّا ما كان، فالأيامُ مرادٌ بها مقادير، لا الأيامُ التي واحدها يوم، الذي هو من طلوعِ الشمسِ إلى غروبها، إذ لم تكنْ شمسٌ في بعضِ تلك المدة. والتعمُّقُ في البحثِ في هذا خروجٌ عن غرضِ القرآن.

والاستواءُ له معانٍ متفرّعةٌ عن حقيقته، أشهرها: القصدُ والاعتلاء، وقد التُزِمَ هذا اللَّفظُ في القرآنِ مسنداً إلى ضميرِ الجلالةِ عند الإخبارِ عن أحوالٍ سماوية، كما في هذه الآية. ونظائرُها سبعُ آيات من القرآن... اهـ.

{يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا}: ذكرَ أن نظيرَهُ تقدَّمَ في سورةِ سبأ (الآية ٢)، ومن قولهِ هناك: الولوج: الدخولُ والسلوك، مثلُ ولوجِ ماءِ المطرِ في أعماقِ الأرض، وولوجُ الزريعة [أي: المزروعات]. والذي يخرجُ من الأرض: النباتُ والمعادنُ والدوابُّ المستكنَّةُ في بيوتها ومغاراتها، وشملَ ذلك من يُقبَرون في الأرضِ وأحوالَهم. والذي ينزلُ من السماء: المطرُ والثلجُ والرياح، والذي يعرجُ فيها: ما يتصاعدُ في طبقاتِ الجوّ، من الرطوباتِ البحرية، ومن العواصفِ الترابية، ومن العناصرِ التي تتبخَّرُ في الطبقاتِ الجويةِ فوق الأرض، وما يسبحُ في الفضاء، وما يطيرُ في الهواء، وعروجُ الأرواحِ عند مفارقةِ الأجساد.

{وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ} فسَّرَهُ المؤلف.

{وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِير}: عبارةٌ عن إحاطتهِ بأعمالهم. (روح المعاني).

٦- {**يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ**}.

الإيلاج: الإدخال. (روح البيان).

٩- {**هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**}.

{هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ} أي: حججاً واضحات، ودلائلَ باهرات، وبراهينَ قاطعات، {لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} أي: من ظلماتِ الجهلِ والكفرِ والآراءِ المتضادَّة، إلى نورِ الهدى واليقينِ والإيمان. (ابن كثير).

١٢- {**بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**}.

جنّاتٌ تجري مِن تحتِها الأنهار، فأبشِروا بها.

وقوله: {خَالِدِينَ فِيهَا} يقول: ماكثين في الجنّات، لا ينتقلون عنها ولا يتحوَّلون.

وقوله: {ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} يقول: خلودُهم في الجنّات التي وصفها، هو النجحُ العظيمُ الذي كانوا يطلبونَهُ بعدَ النجاةِ مِن عقابِ الله، ودخولِ الجنَّةِ خالدين فيها. (الطبري).

١٣- {**فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ**}.

وهو حائطٌ بين الجنةِ والنار. (البغوي).

١٨- {**إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ**}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ في قولهِ تعالى: {فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيم} (الآية ١١ من السورة)، ومختصرُ قولهِ هناك: المعنى التحريضُ على الإقراض، وتحصيلُ المضاعفة؛ لأن الإقراضَ سببُ المضاعفة،

فالعملُ لحصــولِ الإقراضِ كأنه عملٌ لحصــولِ المضــاعفة... ومعنى {وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ}، أن له أنفسَ جنسِ الأجور؛ لأن الكريمَ في كلِّ شيءٍ هو النفيس...

١٩- {لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ}.

ونورٌ عظيمٌ يســعَى بين أيديهم، وهم في ذلك يتفاوتون بحســبِ ما كانوا في الدارِ الدنيا من الأعمال. (ابن كثير).

٢٠- {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُور}.

أي: كالمتاعِ الذي يتَّخذُ من نحوِ الزجاجِ والخزف، مما يسرعُ فناؤه، يميلُ إليه الطبعُ أولَ ما رآه، فإذا أخذَهُ وأرادَ أن ينتفعَ به ينكسرُ ويفنَى. (روح البيان).

٢١- {ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}.

... تفضَّــلَ به على المؤمنين، واللهُ يؤتي فضــلَهُ مَن يشــاءُ مَن خَلقه، وهو ذو الفضــلِ العظيمِ عليهم، بما بســطَ لهم مِن الرزقِ في الدنيا، ووهبَ لهم مِن النِّعم، وعرَّفَهم موضــعَ الشــكر. ثم جزاهم في الآخرةِ على الطاعةِ ما وصفَ أنه أعدَّهُ لهم. (الطبري، باختصار).

٢٣- {وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ}.

{مُخْتَالٍ}: متكبّرٍ بما أُوتيَ من الدنيا، {فَخُورٍ}: يفخرُ به على الناس. (البغوي).

٢٤- {وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ}.

يُعرِضْ عن الإنفاق. (روح البيان).

٢٦- {فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ}

فمن ذرّيتِهما مهتدٍ إلى الحقِّ مستبصِر. (الطبري).

٢٨- {**وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**}.

واللهُ غفورٌ لذنوبِ عبادهِ التَّائبين، رحيمٌ بالمؤمنين. (الواضح).

الجزء الثامن والعشرون

سورة المجادلة

٤- {وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ}.

يعني ما وُصِفَ من الكفّاراتِ في الظهار. (البغوي)، التي لا يجوزُ تعدّيها، وشرائعهُ الموضوعةُ لعبادهِ التي لا يصحُّ تجاوزها إلى ما يخالفها، جمعُ حَدّ، وهو في اللغةِ المنع، والحاجزُ بين الشيئين الذي يمنعُ اختلاطَ أحدهما بالآخر، وحدُّ الزنى وحدُّ الخمرِ سمّيَ بذلك لكونهِ مانعًا لمتعاطيهِ عن المعاودةِ لمثله. (روح البيان).

٨- {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ}.

قالَ عند تفسيرهِ الآيةَ السابقة: النجوى اسمُ مصدرٍ ناجاهُ إذا سارَّه.

٩- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ}.

{تَنَاجَيْتُمْ}: قالَ عند تفسيرهِ الآيةَ (٧) من السورة: النجوى اسمُ مصدرٍ ناجاهُ إذا سارَّه.

{بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ}: ذكرَ أنه تقدَّم، ويعني تفسيرَ الآيةِ السابقةَ لها، قال: الإثم: المعصية، وهو ما يشتملُ عليه تناجيهم من كلامِ الكفرِ وذمّ المسلمين. و {وَالْعُدْوَانِ} بضمّ العين: الظلم، وهو ما يدبّرونَهُ من الكيدِ للمسلمين. {وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ}: مخالفةِ ما يأمرهم به، ومن جملةِ ذلك أنه نهاهم عن النجوى وهم يعودون لها.

١٠- {إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}.

{النَّجْوَى}: قالَ عند تفسيرهِ الآيةَ (٧) من السورة: النجوى اسمُ مصدرٍ ناجاهُ إذا سارَّه.

{فَلْيَتَوَكَّلِ}: قالَ عند تفسيرِهِ الآيةَ (١٥٩) من سورةِ آلِ عمران: التوكُّلُ حقيقتهُ الاعتماد، وهو هنا مجازٌ في الشروعِ في الفعلِ مع رجاءِ السدادِ فيه من الله، وهو شأنُ أهلِ الإيمان، فالتوكُّلُ انفعالٌ قلبيٌّ عقليّ، يتوجَّهُ به الفاعلُ إلى الله، راجياً الإعانة، ومستعيذاً من الخيبةِ والعوائق، وربَّما رافقَهُ قولٌ لسانيّ، وهو الدعاءُ بذلك.

١٢- {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً**}.

{نَاجَيْتُمُ} أي: يسارُّهُ فيما بينه وبينه. (ابن كثير).

١٣- {**أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**}.

{نَجْوَاكُمْ}: قالَ عند تفسيرِهِ الآيةَ (٧) من السورة: النجوى اسمُ مصدرِ ناجاهُ إذا سارَّه.

{وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ}: وأطيعوا اللهَ ورسولَه، فيما أمركم به، وفيما نهاكم عنه. (الطبري).

١٦- {**اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ**}.

{فَصَدُّوا}: مَنعوا.

{مُهِينٌ}: مُخزٍ. (روح البيان).

١٧- {**أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**}.

ماكثونَ إلى غيرِ نهاية. (الطبري).

٢٠- {**إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ**}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ الكلامُ على {الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} في أوائلِ هذه السورة، ويعني الآيةَ الخامسةَ منها: {إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ}. قال: المحادَّة: المشاقَّةُ والمعاداة... وقيل: اشتقَّتِ المشاقَّةُ من الشقَّة؛ لأن كلًّا من المتخالفين كأنه في

شقةٍ غيرِ شقةِ الآخر. والمرادُ بهم الذين يُحَادُّون رسولَ الله صلى الله عليه وسلم المرسَلَ بدينِ الله، فمحادَّتهُ محادَّةٌ لله.

٢١- {إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ}.

إن الله جلَّ ثناؤهُ ذو قوةٍ وقدرةٍ على كلِّ من حادَّهُ ورسولَهُ أن يُهلكه، ذو عزَّة، فلا يقدرُ أحدٌ أن ينتصرَ منه إذا هو أهلكَ وليَّه، أو عاقبه، أو أصابَهُ في نفسهِ بسوء. (الطبري).

٢٢- {لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُون}.

{حَادَّ}: قالَ في الآيةِ الخامسةِ من السورة: المحادَّة: المشاقَّةُ والمعاداة... وقيل: اشتقَّت المشاقَّةُ من الشقَّة؛ لأن كلًّا من المتخالفين كأنه في شقةٍ غيرِ شقةِ الآخر. والمرادُ بهم الذين يُحَادُّون رسولَ الله صلى الله عليه وسلم المرسَلَ بدينِ الله، فمحادَّتهُ محادَّةٌ لله.

{جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا}: ذكرَ في الآيةِ (٢٥) من سورةِ البقرة، أن الجنةَ هي المكانُ الذي تكاثرتْ أشجاره، والتفَّ بعضُها ببعضٍ حتى كثرَ ظلُّها، وذلك من وسائلِ التنعمِ والترفهِ عند البشرِ قاطبة. والجريُ يطلقُ مجازًا على سيلِ الماءِ سيلًا متكررًا متعاقبًا، وأحسنُ الماءِ ما كان جاريًا غيرَ قارّ... {وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}: احتراسٌ مِن تَوهُّمِ الانقطاعِ بما تعوَّدوا من انقطاعِ اللذَّاتِ في الدنيا؛ لأن جميعَ اللذَّاتِ في الدنيا معرَّضةٌ للزوال، وذلك ينغِّصُها عند المنعَمِ عليه.

{أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُون}: الناجون من المكروه، والفائزون بالمحبوب، دونَ غيرهم المقابلين لهم من حزبِ الشيطان، المخصوصين بالخذلانِ والخسران. وهو بيانٌ لاختصاصهم بالفوزِ بسعادةِ النشأتين، وخيرِ الدارين. (روح البيان).

سورة الحشر

٦- {وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.

أي هو قديرٌ لا يغالَبُ ولا يمانَع، بل هو القاهرُ لكلِّ شيء. (ابن كثير).

٧- {مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ}.

أوردُ التفسيرَ من أولِهِ ليكونَ واضحًا: وما أعادَهُ اللهُ على رسولِهِ مِن جميعِ البلدانِ التي تُفتَحُ هكذا، مِن دونِ قتالٍ يُذكَر، فحُكمهُ حكمُ أموالِ بني النَّضير: يقسَّمُ خمسةَ أخماس: خُمسٌ للهِ ورسولِه، فيَصرِفُهُ كما يشاءُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلام، وخُمسٌ لذوي قرابتِهِ صلى الله عليه وسلم، والمراد: بنو هاشمٍ وبنو عبدِالمطَّلِب، وخُمسٌ لليتامَى الذين فَقدوا آباءَهم وهم مازالوا صغارًا، وخُمسٌ للمساكينِ والمحتاجين، وخُمسٌ لابنِ السَّبيلِ المنقطعِ في سفرِهِ مِن المسلمين... (الواضح).

٨- {يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ}.

أي: يطلبون منه أن يتفضَّلَ عليهم بالرزقِ في الدنيا، وبالرضوانِ في الآخرة. (فتح القدير)، وينصرونَ دينَ اللهِ الذي بعثَ به رسولَهُ محمَّدًا صلى الله عليه وسلم. (الطبري).

٩- {وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}.

{يُوقَ}: الوقاية: حفظُ الشيءِ مما يؤذيه. (روح البيان). منعَ نفسَهُ مِن البخلِ والحرصِ على المال... (الواضح).

{الْمُفْلِحُونَ}: الفلاح: الفوزُ والظفرُ بكلِّ مطلوب. (فتح القدير).

١٠- {رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}.

إنكَ ذو رأفةٍ بخلقِك، وذو رحمةٍ بمن تابَ واستغفرَ مِن ذنوبه. (الطبري).

١٤- {بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ}.

إن قيل: إن البأسَ شـــدَّةُ الحرب، فما الحاجةُ إلى الحكمِ عليه بشـــديد؟ أجيبَ بأنه أريدَ من البأسِ هنا مطلقُ الحرب، فأُخبِرَ بشـــدَّتهِ لتصـــريحِ الشـــدَّة، أو أُريدَ المبالغةُ في إثباتِ الشـــدَّةِ لبأسهم، مبالغةً في شدَّةِ بأسِ المؤمنين لغلبتهِ على بأسهم، بتأييدِ الله ونصرتهِ لهم عليهم. (روح البيان).

١٦- {كَمَثَلِ الشَّـيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَـانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِين}.

{قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ} أي: بعيدٌ عن عملِكَ وأمَلِك، غيرُ راضٍ بكفرِكَ وشـــركك. (روح البيان).

{إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِين}: رياءٌ من قوله، وليســـت على ذلك عقيدتُه، ولا يَعرفُ اللهَ حقَّ معرفته، ولا يحجزهُ خوفهُ عن سوءٍ يوقِعُ فيه ابنَ آدمَ مِن أولٍ إلى آخِر. (ابن عطية).

٢٢- {هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيم}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ الكلامُ على {الرَّحْمَنُ الرَّحِيم} في سـورةِ الفاتحة، ويعني البسـملة، قال: وصـفانِ مشتقانِ من رَحِم... واسمُ الرحمةِ موضوعٌ في اللغةِ العربيةِ لرقةِ الخاطرِ وانعطافه...

ومما قالَ أيضًـــا: وبعدَ كونِ كلٍّ من صـــفتَي الرحمنِ الرحيمِ دالةً على المبالغةِ في اتصـــافهِ تعالى بالرحمة، فقد قالَ الجمهور: إن الرحمنَ أبلغُ من الرحيم، بناءً على أن زيادةَ المبنى تؤذنُ بزيادةِ المعنى، وإلى ذلك مالَ جمهورُ المحققين...

٢٣- {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ}.

هو المعبودُ الذي لا تصلحُ العبادةُ إلّا له. (الطبري).

٢٤- {لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}

{الْحُسْنَى}: تفسيرهُ في قولهِ تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} (الآيةِ ١٨٠ من سورةِ الأعراف)، قال: (الحُسنى) مؤنثُ الأحسن، وهو المتصفُ بالحُسنِ الكاملِ في ذاته، المقبولِ لدى العقولِ السليمة، المجردةِ عن الهوى. وليس المرادُ بالحُسنِ الملاءمةَ لجميعِ الناس، لأن الملاءمةَ وصفُ إضافةٍ نسبي، فقد يلائمُ زيداً ما لا يلائمُ عمراً، فلذلك فالحسنُ صفةٌ ذاتيةٌ للشيءِ الحسن. ووصفُ الأسماءِ بـ {الْحُسْنَى} لأنها دالةٌ على ثبوتِ صفاتِ كمالٍ حقيقي... اهـ.

{وَهُوَ العَزِيزُ}، يقول: وهو الشديدُ الانتقامِ مِن أعدائه، {الحَكِيمُ} في تدبيرِهِ خَلقه، وصرفِهم فيما فيه صلاحُهم. (الطبري).

سورة الممتحنة

١- {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ}.

{أَوْلِيَاء}: أنصارًا. (الطبري).

{بِالْمَوَدَّةِ}: الودّ: محبةُ الشيءِ وتمنّي كونه، ويستعملُ في كلِّ واحدٍ من المعنيين، أي: توصلون محبتكم بالمكاتبةِ ونحوها من الأسبابِ التي تدلُّ على المودَّة. (روح البيان).

٣- {وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}.

واللهُ بأعمالِكم - أيها الناسُ - ذو علمٍ وبصَر، لا يخفَى عليه منها شيء، هو بجميعِها محيط، وهو مجازيكم بها، إنْ خيرًا فخير، وإنْ شرًّا فشرّ، فاتَّقوا اللهَ في أنفسِكم واحذروه. (الطبري).

٤- {وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِير}.

{حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ}: حتى تصدِّقوا بالله وحده، فتوحِّدوه، وتُفردوهُ بالعبادة.

{وَإِلَيْكَ الْمَصِـــير}: وإليكَ مصـــيرُنا ومرجعُنا يومَ تبعثُنا مِن قبورِنا، وتحشـــرُنا في القيامةِ إلى موقفِ العَرْض. (الطبري).

٦- **{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ}**.

يقولُ تعالى ذكرهُ للمؤمنينَ به مِن أصحابِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم: قد كانَ لكم أيها المؤمنونَ قدوةٌ حسـنةٌ في إبراهيمَ خليلِ الرحمن، تقتدونَ به، والذينَ معهُ مِن أنبياءِ الله صـلواتُ الله عليهم والرسل... (الطبري).

٩- **{إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}**

{الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ}: الذينَ قاتلوكم لإسلامِكم. (الواضح)، {وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ}: كمشـركي مكة، فإن بعضـهم سـعَوا في إخراجِ المؤمنين، وبعضَـهم أعانوا المخرِجين. (روح المعاني).

{وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ}: ومَن يعاونْهُم ويتَّخِذْهُم أصدقاء. (الواضح).

١٠- **{وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ}**.

يقال: جنحتِ السـفينةُ أي: مالتْ إلى أحدِ جانبيها، وسمِّيَ الإثمُ المائلُ بالإنسـانِ عن الحقِّ جُناحًا، ثم سمِّيَ كلُّ إثمٍ جُناحًا. (مفردات الراغب).

١٢- **{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْـرِكْنَ بِاللَّهِ شَـيْئًا وَلَا يَسْـرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}**.

{يُبَايِعْنَكَ}: سميتِ البيعةَ لأن المبايعَ يبيعُ نفسَـهُ بالجنة. المبايعةُ مفاعلةٌ من البيع، ومن عادةِ الناسِ حين المبايعةِ أن يضـعَ أحدُ المتبايعين يدَهُ على يدِ الآخرِ لتكونَ معاملتهم محكمةً مثبتة، فسـميتِ المعاهدةُ بين المعاهدين مبايعةً تشـبيهًا لها بها في الإحكامِ والإبرام، فمبايعةُ الأمةِ

رســـولَهم التزامُ طاعته، وبذلُ الوســـعِ في امتثالِ أوامرِه وأحكامه، والمعاونةُ له، ومبايعتهُ إياهم الوعدُ بالثواب، وتدبيرُ أمورهم، والقيامُ بمصـــالحهم في الغلبةِ على أعدائهم الظاهرةِ والباطنة، والشـــفاعةُ لهم يومَ الحســـابِ إن كانوا ثابتين على تلك المعاهدة، قائمين بما هو مقتضَـــى المواعدة. كما يقال: بايعَ الرجلُ السلطانَ إذا أوجبَ على نفسهِ الإطاعةَ له، وبايعَ السلطانُ الرعيةَ إذا قبلَ القيامَ بمصـــالحهم، وأوجبَ على نفســـهِ حفظَ نفوسِـــهم وأموالهم من أيدي الظالمين. (روح البيان).

{إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}: إنَّ اللهَ ذو ســـترٍ على ذنوبِ مَن تابَ إليه مِن ذنوبهِ أنْ يعذِّبَهُ عليها بعدَ توبتهِ منها. (الطبري).

١٣- {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ}.

التولِّي هنا بمعنى الموالاةِ والموادَّة. (روح البيان).

سورة الصف

١- {سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}.

قالَ في نظيرها، في الآيةِ الأولى من سورةِ الحديد، ما مختصره: تعريضٌ بالمشركين الذين أهملوا أهمَّ التسبيح، وهو تسبيحهُ عن الشريكِ والندّ. واللامُ في قوله: {لِلَّهِ} لامُ التبيين، وفائدتها زيادةُ بيانِ ارتباطِ المعمولِ بعامله. و{مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} يعمُّ الموجوداتِ كلَّها.

٥- {وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}.

الخارجين عن الطاعةِ ومنهاجِ الحقّ، المصرّين على الغواية. (روح البيان).

٧- {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ}.

الفرقُ بين الكذبِ والافتراء، أن الافتراءَ افتعالُ الكذبِ من قولِ نفســـه، والكذبَ قد يكونُ على وجهِ التقليدِ للغيرِ فيه. (روح البيان).

٩- {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ}.

{بِالْهُدَى}: يعني ببيانِ فرائضِ الله على خلقه، وجميعِ اللازمِ لهم، و بـــــ {دِينِ الْحَقِّ} وهو الإسلام. (الطبري). فالهدَى هو ما جاءَ به من الإخباراتِ الصادقةِ والإيمانِ الصحيحِ والعلمِ النافع، {وَدِينِ الْحَقِّ}: هي الأعمالُ الصـــالحةُ الصـــحيحةُ النافعةُ في الدنيا والآخرة. (ابن كثير).

١٢- {يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَـــاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}.

{جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ}: بساتينَ تجري من تحتِ أشجارها الأنهار.

{جَنَّاتِ عَدْنٍ}: بساتينَ إقامة.

{ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}: ذلك النجاءُ العظيمُ من نكالِ الآخرةِ وأهوالها. (الطبري).

١٢- {فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ}.

فرقة. (البغوي). جماعة. (روح البيان).

سورة الجمعة

٢- {وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}.

يَبِينُ لمن تأمَّلَهُ أنهُ ضلالٌ وجَوْرٌ عن الحقِّ وطريقِ الرشد. (الطبري).

٤- {وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}.

الله ذو الفضلِ على عباده، المحسنِ منهم والمسيء، والذينَ بُعِثَ فيهم الرسولُ منهم وغيرِهم، العظيمُ الذي يقلُّ فضلُ كلِّ ذي فضلٍ عنده. (الطبري).

٥- {كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ}.

{أَسْفَارًا}: أي كتباً من العلم، واحدُها سِفْر، قالَ الفراء: هي الكتبُ العظام. (البغوي).

{بِآيَاتِ اللَّهِ}: يعني بأدلتهِ وحججه. (الطبري).

٦- {إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ}.

جمعُ وليّ، بمعنى الحبيب. (روح البيان).

٨- {ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ}.

عالِمِ غَيبِ السماواتِ والأرض، والشهادة، يعني وما شُهِدَ فظَهَرَ لرأي العين، ولم يَغِبْ عن أبصارِ الناظرين... (الطبري).

٩- {ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُون}.

{إِن كُنتُمْ تَعْلَمُون} مصالحَ أنفسِكم. (البغوي).

١٠- {وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُون}.

{وَابْتَغُوا}: اطلبوا.

{تُفْلِحُون}: كي تفوزوا بخيرِ الدارين. (البغوي).

سورة المنافقون

٣- {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ}.

أي خُتِمَ عليها بسببِ كفرهم. (فتح القدير). وذكرَ مؤلفُ الأصلِ أيضًا، عند تفسيرِ الآيةِ (٨٧) من سورةِ التوبة، أن الطبعَ مرادفُ الخَتْم.

٥- {وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ}.

يُعرِضون عمّا دُعُوا إليه. (البغوي).

٦- {إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}.

إنَّ اللهَ لا يوفِّقُ للإيمانِ القومَ الكاذبينَ عليه، الكافرينَ به، الخارجينَ عن طاعته. (الطبري).

سورة التغابن

٧- {قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ}.

قلْ لهم يا محمد: بلى وربِّي لتُبعَثُنَّ من قبوركم. (الطبري).

٩- {وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}.

ومَن يصدِّقْ باللهِ ويعملْ بطاعته، وينتهِ إلى أمرِه ونهيه، يمحُ عنهُ ذنوبَه، ويُدخلْهُ بساتينَ تجري مِن تحتِ أشجارِها الأنهار، لابثينَ فيها أبدًا، لا يموتون، ولا يخرجونَ منها، ذلكَ النجاءُ العظيم. (الطبري، باختصار).

١٠- {وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}.

والذينَ كفروا بالله، وكذَّبوا بالمعجزاتِ التي أيَّدَ بها رسلَه، أولئكَ أهلُ النَّار، ماكثينَ فيها أبدًا، لا مَحيدَ لهم عنها، وبئسَ مآلُهمُ الذي استقرُّوا فيه. (الواضح).

١٣- {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}.

{لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ}: أي: وحِّدوا الإلهيةَ له، وأخلِصوها لديه. (ابن كثير).

{فَلْيَتَوَكَّلِ}: قالَ مؤلفُ الأصلِ عند تفسيرِه الآيةَ (١٥٩) من سورةِ آلِ عمران: التوكُّلُ حقيقتهُ الاعتماد، وهو هنا مجازٌ في الشروعِ في الفعلِ مع رجاءِ السدادِ فيه من الله، وهو شأنُ

أهلِ الإيمان، فالتوكُّلُ انفعالٌ قلبيٌّ عقليّ، يتوجَّهُ به الفاعلُ إلى الله، راجياً الإعانة، ومستعيذاً من الخيبةِ والعوائق، وربَّما رافقَهُ قولٌ لسانيّ، وهو الدعاءُ بذلك.

١٦- {وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ نظيرهُ في سورةِ الحشر، وهو في الآيةِ التاسعةِ منها، ومن قولهِ هناك: الشحُّ - بضمِّ الشينِ وكسرها - غريزةٌ في النفسِ بمنعِ ما هو لها، وهو قريبٌ من معنى البخل. وقالَ الطيبي: الفرقُ بين الشحِّ والبخلِ عسيرٌ جدًّا، وقد أشارَ في (الكشّاف) إلى الفرقِ بينهما بما يقتضي أن البخلَ أثرُ الشحّ، وهو أن يمنعَ أحدٌ ما يُرادُ منه بذله...

١٧- {إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا}.

أي: مقرونًا بالإخلاصِ وطيبِ النفس. (روح البيان).

سورة الطلاق

٢- {وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ}.

{ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ}: (ذو) بمعنى الصاحب، أي: أشهِدوا اثنين، {مِنْكُمْ} أي: من المسلمين، كما قالَ الحسن، أو من أحراركم، كما قالَهُ قتادة، يكونان عادلَين لا ظالمين، ولا فاسقين. والعدالةُ هي الاجتنابُ عن الكبائرِ كلِّها، وعدمُ الإصرارِ على الصغائر، وغلبةُ الحسناتِ على السيئات. والإلمامُ من غيرِ إصرارٍ لا يَقدحُ في العدالة، إذ لا يوجدُ من البشرِ من هو معصومٌ سوى الأنبياءِ عليهمُ السلام. (روح البيان).

{مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ}: نعظُ به مَن كانَ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخر، فيصدِّقُ به. وعنَى بقوله: {مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ} مَن كانت صفتهُ الإيمانَ بالله. (الطبري).

٣- {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ}.

قالَ عند تفسيرِهِ الآيةَ (١٥٩) من سورةِ آلِ عمران: التوكُّلُ حقيقتهُ الاعتماد، وهو هنا مجازٌ في الشروعِ في الفعلِ مع رجاءِ السدادِ فيه من الله، وهو شأنُ أهلِ الإيمان، فالتوكُّلُ انفعالٌ قلبيٌّ عقليّ، يتوجَّهُ به الفاعلُ إلى الله، راجياً الإعانة، ومستعيذاً من الخيبةِ والعوائق، وربَّما رافقَهُ قولٌ لسانيّ، وهو الدعاءُ بذلك.

٤- {**وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ**}.

أي: ما رأينَ الدمَ لصغرهنّ. (روح البيان). الصَّغيراتُ اللَّاتي لم يَبلُغْنَ سنَّ الحيض. (الواضح).

١١- {**رَّسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا**}.

{يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ}: يتلو عليكم آياتِ الله التي أنزلها عليه {مُبَيِّنات} يقول: مبيِّنات لمن سمعها وتدبَّرها أنها من عند الله.

{صَالِحًا}: ويعملْ بطاعته.

{يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا}: يُدخلْهُ بساتينَ تجري مِن تحتِ أشجارِها الأنهار، {خالِدِينَ فِيها أَبَداً} يقول: ماكثينَ مقيمينَ فيها أبدًا، لا يموتون، ولا يخرجونَ منها أبدًا. (الطبري).

سورة التحريم

١- {**وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**}.

{غَفُورٌ}: مبالغٌ في الغفران، قد غفرَ لكَ وسترَ ما فعلتَ من التحريمِ وقصدتَ الرضى...

{رَحِيمٌ}: قد رحمكَ ولم يؤاخذْكَ به، وإنما عاتبكَ محافظةً على عصمتك. (روح البيان).

٤- {**وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ**}.

من صلحَ من المؤمنين: أتباعهُ وأعوانه ... قالَ ابنُ عباس رضيَ الله عنهما: أرادَ بصالحِ المؤمنين أبا بكر وعمرَ رضيَ الله عنهما. (روح البيان).

٨- {**وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لاَ يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير**}.

{وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ}: ... وأن يدخلَكم بساتينَ تجري من تحتِ أشجارها الأنهار.

{إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير}: إنك على إتمامِ نورنا لنا، وغفرانِ ذنوبنا، وغيرِ ذلك من الأشياءِ ذو قدرة.

٩- {**وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**}.

{وبئسَ الموضعُ الذي يصيرونَ إليه جهنَّم. (الطبري).

الجزء التاسع والعشرون

سورة الملك

٥- {وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ}.

أرادَ الأدنى من الأرض، وهي التي يراها الناس. (البغوي).

٦- {وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}.

المآلُ والمنقلَب. (ابن كثير).

٧- {إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ}.

أي: الذين كفروا، أي: في جهنم، وطُرحوا كما يُطرَحُ الحطبُ في النارِ العظيمة. وفي إيرادِ الإلقاءِ دونَ الإدخالِ إشعارٌ بتحقيرهم، وكونِ جهنمَ سفلية. (روح البيان).

٩- {قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا}.

قالوا: بلَى أُرسِلوا إلينا، ولكنَّنا كذَّبناهم، وأعرَضنا عنهم. (الواضح).

١٠- {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ}.

... ما كنّا في عدادِ أهلِ النار، ومن جملةِ من يعذَّبُ بالسعير، وهم الشياطين. (فتح القدير).

١١- {فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ}.

لأهلِ النار. (الطبري).

١٧- {أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا}.

ذكرَ أن الكلامَ على قوله: {مَنْ فِي السَّمَاءِ} تقدَّمَ في الآيةِ قبلها، ومن قولهِ هناك: ... أوَّلوهُ بمعنى: مَن في السماءِ عذابُه، أو قدرتُه، أو سلطانه ... ويصحُّ أن يُرادَ باسمِ الموصلِ [مَنْ] ملَكٌ واحدٌ معيَّن، وظيفتهُ فعلُ هذا الخسف، فقد قيل: إن جبريلَ هو الملَكُ الموكَّلُ بالعذاب. وإسنادُ فعلِ {يَخْسِفَ} إلى الملائكةِ أو إلى واحدٍ منهم حقيقة؛ لأنه فاعلُ الخسف..
{حَاصِبًا}: ريحاً ذاتَ حجارة، كما فُعِلَ بقومِ لوط. (البغوي).

١٨- {**فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ**}.
أي: إنكاري عليهم بإنزالِ العذاب، أي: كان على غايةِ الهولِ والفظاعة. وهذا موردُ التأكيدِ القسَمي، لا تكذيبُهم فقط. وإنكارُ الله تعالى على عبدهِ أن يفعلَ به أمرًا صعبًا وفعلًا هائلًا لا يُعرَف. (روح البيان).

١٩- {**مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ**}.
ذكرَ في الآيةِ السابقة، أن من جملةِ عنادِ المشركين إنكارهم اسمَ (الرحمن)، فلمّا لم يرعَووا عمّا هم عليه ذكرَ وصفَ (الرحمن) في هذه السورةِ أربعَ مرات.

٢١- {**أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ**}.
حبسَ. (روح البيان). قطعَ. (ابن كثير).

٢٦- {**وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ**}.
مخوِّف. (روح البيان).

٢٨- {**فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**}.
ينجي ويخلِّص. (روح البيان).

٢٩- {**فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**}.

فستعلمون أيها المشركون الذي هو في ذهابٍ عن الحقّ، والذي هو على غيرِ طريقٍ مستقيم، منّا ومنكم، إذا صرنا إليه، وحُشرنا جميعاً. (الطبري).

٣٠- {فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاء مَّعِين}.

جارٍ. (الطبري). نابع، سائح، جارٍ على وجهِ الأرض. (ابن كثير). ظاهر، تراهُ العيون، وتنالهُ الأيدي والدِّلاء. (البغوي).

سورة القلم

١١- {هَمَّازٍ مَّشَّاء بِنَمِيم}.

قتَّات، يسعى بالنميمةِ بين الناسِ ليفسدَ بينهم. (البغوي).

١٥- {إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ}.

إذا تُقرأُ عليه آياتُ كتابنا. (الطبري).

١٧- {إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ}.

البستان. (روح البيان وغيره).

٣٤- {إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ}.

الذين اتقَوا عقوبةَ الله، بأداءِ فرائضه، واجتنابِ معاصيه.. (الطبري).

٤٥- {وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ}.

فسَّرها في الآيةِ (١٨٣) مِن سورةِ الأعراف بقوله: الاستدراجُ والإملاءُ ضربٌ من الكيد، وكيدُ الله متين، أي: قويّ، لا انفلاتَ منه للمكيد.

٥٠- {فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ}.

فاصطفَى اللهُ صاحبَ الحوتِ واختارَهُ لنبوَّته. (الطبري).

سورة الحاقة

٢٨- {مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ}.

لم يدفعْ عني مالي ولا جاهي عذابَ الله وبأسه، بل خلصَ الأمرُ إليَّ وحدي، فلا معينَ لي ولا مجير. (ابن كثير).

٢٩- {هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيه}.

أي: هلكتْ عني حجَّتي وضلَّتْ عني، كذا قالَ مجاهد وعكرمة والسدِّي والضحاك. وقالَ ابن زيد: يعني سلطاني الذي في الدنيا، وهو المُلك، وقيل: تسلُّطي على جوارحي. قالَ مقاتل: يعني حين شهدتْ عليه الجوارحُ بالشرك. (فتح القدير).

٤٢- {وَلاَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ}.

الكاهنُ هو الذي يخبرُ عن الكوائنِ في مستقبلِ الزمان، ويدَّعي معرفةَ الأسرار، ومطالعةَ علمِ الغيب... وقالَ الراغبُ في (المفردات): الكاهن: الذي يخبرُ بالأخبارِ الماضيةِ الخفيَّةِ بضربٍ من الظنّ، كالعرّاف، الذي يخبرُ بالأخبارِ المستقبلةِ على نحوِ ذلك، ولكونِ هاتين الصناعتين مبنيَّتين على الظنّ، الذي يخطئُ ويصيب، قالَ عليه السلام: "مَن أتَى عرّافًا أو كاهنًا، فصدَّقَهُ بما قال، فقد كفرَ بما أَنزلَ الله على محمد". (روح البيان، باختصار).

سورة المعارج

٤- {تَعْرُجُ الْمَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ}.

تَصعد. (الطبري، البغوي..).

٣٠- {إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ}

ذكرَ أنه تقدَّمَ في سورةِ المؤمنون (الآيةِ السادسة)، ومن قولهِ هناك: أي: حافظونها على كلِّ ما يُحفَظُ عليه، إلا المتعلَّقَ الذي هو أزواجُهم أو ما ملكت أيمانهم... والمرادُ حِلُّ الصنفين من بين بقيةِ أصنافِ النساء. وهذا مجملٌ تبيِّنهُ تفاصيلُ الأحكامِ في عددِ الزوجات، وما يحلُّ منهنَّ بمفرده، أو الجمعِ بينه...

٣٢- {وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ}

قالَ في نظيرها، في الآيةِ الثامنةِ مِن سورةِ المؤمنون، مختصرًا: الأمانةُ تكونُ غالباً من النفائسِ التي يخشَى صاحبُها عليها التلف، فيجعلها عند من يظنُّ فيه حفظها، وفي الغالبِ يكونُ ذلك على انفرادٍ بين المؤتمِنِ والأمين، فهي لنفاستها قد تُغري الأمينَ عليها بأن لا يردَّها، وبأن يجحدها ربَّها، ولكونِ دفعها في الغالبِ عَرِيّاً عن الإشهاد، تبعثُ محبَّتُها الأمينَ على التمسكِ بها وعدمِ ردِّها، فلذلك جعلَ اللهُ ردَّها من شُعَبِ الإيمان.

والعهد: التزامٌ بين اثنينِ أو أكثر، على شيءٍ يعامِلُ كلُّ واحدٍ من الجانبين الآخرَ به. وسمِّيَ عهداً لأنهما يتحالفان بعهدِ الله، أي: بأن يكونَ الله رقيباً عليهما في ذلك، لا يفيتهم المؤاخذةَ على تخلُّفه. والوفاءُ بالعهدِ من أعظمِ الخلقِ الكريم؛ لدلالتهِ على شرفِ النفس، وقوةِ العزيمة.

٤٢- {حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ}.

{يَوْمَهُمُ}: هو يومُ البعث، عند النفخةِ الثانية. والإضافةُ لأنه يومُ كلِّ الخلق، وهم منهم. أو لأن يومَ القيامةِ يومُ الكفّارِ من حيثُ العذاب، ويومُ المؤمنين من جهةِ الثواب، فكأنهُ يومان: يومٌ للكافرين، ويومٌ للمؤمنين، {الَّذِي يُوعَدُونَ} الآن، أو على الاستمرار. وهو من الوعد، كقولهم: متى هذا الوعد؟ ويجوزُ أن يكونَ من الإيعاد. (روح البيان).

سورة نوح

٢٣- {وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ}.

لا تتركوا. (البغوي).

سورة الجن

٣- {وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا}.

يعني زوجة. (الطبري).

٩- {فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآَنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا}.

ذكرَ في الآيةِ التي تسبقها، أن الشهابَ هو القطعةُ التي تنفصلُ عن بعضِ النجومِ فتسقطُ في الجوِّ أو في الأرضِ أو البحر، وتكون مضاءةً عند انفصالها، ثم يزولُ ضوؤها ببعدها عن مقابلةِ شعاعِ الشمس، وتسمَّى الواحدُ منها عند علماءِ الهيئةِ نَيْزَكاً، باسمِ الرمحِ القصير.

١٧- {لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ}.

لنختبرهم كيف شكرُهم فيما خُوِّلوا. (البغوي).

٢٣- {وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا}.

ماكثين فيها أبدًا، إلى غيرِ نهاية. (الطبري).

٢٥- {قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ}.

{قُلْ إِنْ أَدْرِي} أي: ما أدري، {أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ}: يعني العذاب، وقيل: القيامة. (البغوي).

٢٧- {يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا}.

أي: يجعلُ بين يديهِ وخلفهِ حفظةً من الملائكة، يحفظونَهُ من الشياطين أن يسترقوا السمع، ومن الجنِّ أن يستمعوا الوحي فيُلقوا إلى الكهنة. (البغوي).

سورة المزمل

١٩- {فَمَن شَاء اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً}.

طريقًا توصلهُ إلى الجنة. (فتح القدير).

سورة المدثر

٣١- {وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلاَ يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ}.

{فِتْنَةً} أي: ضلالةً لهم.

{وَلاَ يَرْتَابَ}: ولا يشكّ. (البغوي).

٣٦- {نَذِيرًا لِلْبَشَرِ}.

مِن أنذر، إذا حذَّرَ وخوَّف.

٤٢- {مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ}.

قالَ في الآيةِ (٢٦) من السورة: سقَرُ علَمٌ لطبقةٍ من جهنم... وجرى كلامُ جمهورِ المفسرين بما يقتضي أنهم يفسّرون (سقَر) بما يرادفُ جهنم. و(سقَر) ممنوعٌ من الصرفِ للعلَميةِ والتأنيث؛ لأنه اسمُ بُقعةٍ من جهنم، أو اسمُ جهنم. (باختصار).

٤٨- {فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ}.

من الأنبياءِ والملائكةِ وغيرهم، أي: لو قُدِّرَ اجتماعُهم على شفاعتهم على سبيلِ فرضِ المحال، لا تنفعهم تلك الشفاعة، فليس المرادُ أنهم يشفعون لهم ولا تنفعهم شفاعتهم، إذ الشفاعةُ يومَ القيامةِ موقوفةٌ على الإذنِ وقابليةِ المحلّ، فلو وقعتْ من المأذونِ للقابلِ قُبلت، والكافرُ ليس بقابلٍ لها، فلا إذنَ في الشفاعةِ له، فلا شفاعةَ ولا نفعَ في الحقيقة. (روح البيان).

٥٦- {**وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ**}.

ولا يتَّعظون. (الواضح).

سورة الإنسان

٢- {**إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ**}.

ذكرَ أن معناها تقدَّمَ في سـورةِ القيامة (الآية ٣٧). قالَ هناك: النطفة: القليلُ من الماء، سمِّيَ بها ماءُ التناسل.

٧- {**وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا**}.

(اليوم) المشارُ إليه يومُ القيامة. (ابن عطية).

١٠- {**إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا**}.

كما في الآيةِ (٧)، أعلاه.

٢١- {**وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ**}.

التحلية: التزيينُ بالحُليّ. (روح البيان).

سورة المرسلات

١٩- {وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ}.

ذكرَ عند تفسيرِ الآيةِ (١٥) مِن السورة، أن الويلَ أشدُّ السوءِ والشرّ.

٢٤- {وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ}.

ذكرَ أنه نحوُ ما تقدَّمَ في نظيرِهِ الموالي هو له، وهو الآيةُ (١٩) منها، وقد قالَ هناك: تقريرٌ لنظيرِهِ المتقدِّم، تأكيداً للتهديد، وإعادةً لمعناه. ويعني بيانَهُ للآيةِ (١٥) مِن السورة، وفيه أن المقصودَ تهديدُ المشركين الذين يسمعون القرآن، وتهويلُ يومِ الفصلِ في نفوسهم ليحذَروه، وأن الويلَ أشدُّ السوءِ والشرّ، وأن المرادَ بالمكذِّبين الذين كذَّبوا بالقرآن، أو جميعُ الذين كذَّبوا الرسلَ وما جاؤوهم به.

٢٨- {وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ}.

قال: تكريرٌ للتوبيخِ والتقريع، مثلَ نظيرِهِ الواقعِ ثانياً في هذه السورة، وهو الآيةُ (١٩) منها، وقد قالَ هناك: تقريرٌ لنظيرِهِ المتقدِّم، تأكيداً للتهديد، وإعادةً لمعناه. ويعني بيانَهُ للآيةِ (١٥) مِن السورة، وفيه أن المقصودَ تهديدُ المشركين الذين يسمعون القرآن، وتهويلُ يومِ الفصلِ في نفوسهم ليحذَروه، وأن الويلَ أشدُّ السوءِ والشرّ، وأن المرادَ بالمكذِّبين الذين كذَّبوا بالقرآن، أو جميعُ الذين كذَّبوا الرسلَ وما جاؤوهم به.

٣١- {لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ}.

ما يعلو على النارِ إذا اضطرمت، من أحمرَ وأصفرَ وأخضر. (روح البيان).

٣٤- {وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ}.

نظيرها الآيةُ (١٥) مِن السورة، وقد ذكرَ في تفسيرها أن المقصودَ تهديدُ المشركين الذين يسمعون القرآن، وتهويلُ يومِ الفصلِ في نفوسهم ليحذَروه، وأن الويلَ أشدُّ السوءِ والشرّ، وأن المرادَ بالمكذِّبين الذين كذَّبوا بالقرآن، أو جميعُ الذين كذَّبوا الرسلَ وما جاؤوهم به.

٣٧- {وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ}.

ذكرَ عند تفسيرِ الآيةِ (١٥) مِن السورة، أن الويلَ أشدُّ السوءِ والشرّ.

٣٩- {فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُون}.

قالَ عند تفسيرِ الآيةِ (٢٨) من سورةِ يوسف: الكيد: فعلُ شيءٍ في صورةٍ غيرِ المقصودة، للتوصلِ إلى مقصود.

وقالَ صاحبُ (روح البيان) عند تفسيرِ هذه الآية: حيلةٌ تدفعون بها عنكم العذاب.

٤٠- {وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ}.

ذكرَ عند تفسيرِ نظيرها (الآية ١٥) مِن السورة، أن المقصودَ تهديدُ المشركين الذين يسمعون القرآن، وتهويلُ يومِ الفصلِ في نفوسهم ليحذَروه، وأن الويلَ أشدُّ السوءِ والشرّ، وأن المرادَ بالمكذِّبين الذين كذَّبوا بالقرآن، أو جميعُ الذين كذَّبوا الرسلَ وما جاؤوهم به.

٤١- {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ}.

{إِنَّ الْمُتَّقِينَ}: إن الذين اتقَوا عقابَ الله، بأداءِ فرائضهِ في الدنيا، واجتنابِ معاصيه.

{وَعُيُونٍ}: أنهارٍ تجري خلالَ أشجارِ جنّاتهم. (الطبري).

٤٣- {كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}.

لا تكديرَ عليكم، ولا تنغيصَ فيما تأكلونَهُ وتشربونَ منه، ولكنهُ لكم دائمٌ لا يزول، ومريءٌ لا يورثُكم أذًى في أبدانِكم. (الطبري).

٤٤- {إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ}.

لمن أحسنَ العمل. (ابن كثير).

٤٥- {إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ}.

ذكرَ عند تفسيرِ نظيرها (الآية ١٥ مِن السورة)، أن المقصودَ تهديدُ المشركين الذين يسمعون القرآن، وتهويلُ يومِ الفصلِ في نفوسهم ليحذَروه، وأن الويلَ أشدُّ السوءِ والشرّ، وأن المرادَ بالمكذِّبين الذين كذَّبوا بالقرآن، أو جميعُ الذين كذَّبوا الرسلَ وما جاؤوهم به.

٤٦- {كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ}.

مشركون بالله عزَّ وجلّ، مستحقُّون للعذاب. (البغوي).

٤٧- {وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ}.

ذكرَ عند تفسيرِ نظيرها (الآية ١٥ مِن السورة)، أن المقصودَ تهديدُ المشركين الذين يسمعون القرآن، وتهويلُ يومِ الفصلِ في نفوسهم ليحذَروه، وأن الويلَ أشدُّ السوءِ والشرّ، وأن المرادَ بالمكذِّبين الذين كذَّبوا بالقرآن، أو جميعُ الذين كذَّبوا الرسلَ وما جاؤوهم به.

٤٩- {وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ}.

ذكرَ عند تفسيرِ الآيةِ (١٥) مِن السورة، أن الويلَ أشدُّ السوءِ والشرّ.

الجزء الثلاثون

سورة النبأ

٣٥- {لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا}.

ذكرَ أنه تقدَّم، ويعني عند تفسيرِ الآيةِ (٢٨) من السورة، وفيه قولهُ مختصرًا: (كِذَّاب) مصدرُ كذَّب. وعن الفراءِ أن أصلَ هذا المصدرِ من اللغةِ اليمنية. وأُوثرَ هذا المصدرُ هنا دونَ (تكذيب) لمراعاةِ التماثلِ في فواصلِ هذه السورة، فإنها على نحوِ ألفِ التأسيسِ في القوافي، والفواصلُ كالأسجاع، ويَحسنُ في الأسجاعِ ما يَحسنُ في القوافي.

سورة النازعات

١٦- {إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى}.

ناجاه. (الطبري).

٣١- {أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا}.

فجَّرَ فيها الأنهار. (الطبري).

٣٣- {مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُم}.

ذكرَ عند تفسيرِ الآيةِ (١٤٢) من سورةِ الأنعام، أنها الإبلُ والبقرُ والشاءُ والمعز.

٣٩- {فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى}.

فسَّرَ (المأوى) في الآيةِ (٤١).

وقالَ الإمامُ الطبري في تفسيرِ الآية: فإن نارَ الله التي اسمها الجحيم، هي منزلُهُ ومأواه، ومصيُرهُ الذي يصيرُ إليه يومَ القيامة.

سورة عبس

١٠- {فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى}.

بحذفِ إحدى التاءين تخفيفًا، أي: تتلهَّى وتتشاغل، من لهَى عن الشيءِ - بكسرِ الهاءِ - يلهَى لهيًا: أعرضَ عنه، لا من لهوتُ بالشيءِ — بالفتحِ - ألهو لهوًا إذا لعبتُ به؛ لأن الفعلَ مسندٌ إلى ضميرِ النبيّ، ولا يليقُ بشأنهِ الرفيعِ أن يُنسَبَ إليه التفعُّلُ من اللهو، بخلافِ الاشتغالِ عن الشيءِ لمصلحة. (روح البيان).

١٦- {كِرَامٍ بَرَرَةٍ}.

{كِرَامٍ}: أشارَ إلى نظيرهِ في الآيةِ (١١) من سورةِ الانفطار، وقد قالَ هناك: وأما وصفُ الكرمِ فهو النفاسةُ في النوع، كما تقدَّمَ في قولهِ تعالى: {قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ} [سورة النمل: ٢٩]. فالكرمُ صفتُهم النفسيةُ الجامعةُ للكمال، في المعاملةِ وما يصدرُ عنهم من الأعمال. اهـ.

{بَرَرَةٍ}: أتقياء. أو مطيعين الله، من قولهم: فلان يَبَرُّ خالقَهُ أي: يطيعه، أو صادقين، من برَّ في يمينه، جمعُ بارّ. (روح البيان، باختصار).

٣٢- {مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُم}.

ذكرَ عند تفسيرِ الآيةِ (١٤٢) من سورةِ الأنعام، أنها الإبلُ والبقرُ والشاءُ والمعز.

سورة المطففين

١٨- {كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّين}.

{كِتَابَ}: قالَ في الآيةِ (٧) من السورة: "الكتابُ": المكتوبُ، أي: الصحيفة، وهو هنا يحتملُ شيئاً تُحصَى فيه الأعمال، ويحتملُ أن يكونَ كنايةً عن إحصاءِ أعمالهم وتوقيفهم عليها، وكذلك يَجري على الوجهين قولُه: {كِتَابٌ مَّرْقُوم}.

{الأَبْرَارِ}: ذكرَ أنه جمعُ بَرّ، وهو الذي يعملُ البِرّ...

وقالَ الإمامُ الطبري: الأبرار: جمعُ بَرّ، وهم الذين برُّوا اللهَ بأداءِ فرائضه، واجتنابِ محارمه. وقد كان الحسنُ يقول: هم الذين لايؤذونَ شيئًا حتى الذّرّ! (الطبري).

١٩- {وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّون}.

ذكرَ أن القولَ فيه كالقولِ في: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّين}. وقد قالَ هناك: تهويلٌ لأمرِ السجِّين، تهويلَ تفظيعٍ لحالِ الواقعين فيه.

وقالَ الإمامُ الطبري في تفسيره: وأيُّ شيءٍ أشعَرَكَ يا محمَّدُ ما علِّيُّون؟ (الطبري).

٢٠- {كِتَابٌ مَّرْقُوم}.

قالَ في نظيرها، في الآيةِ التاسعةِ من السورة: المرقوم: المكتوبُ كتابةً بيّنةً تشبهُ الرَّقْمَ في الثوبِ المنسوج. وهذا الوصفُ يفيدُ تأكيدَ ما يفيدهُ لفظُ {كِتَابٌ}، سواءٌ كان اللفظُ حقيقةً أو مجازاً.

٢٢- {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ}.

إن الأبرارَ الذين بَرُّوا باتِّقاءِ الله، وأداءِ فرائضه، لفي نعيمٍ دائمٍ لا يزولُ يومَ القيامة، وذلكَ نعيمُهم في الجنان. (الطبري).

٣٥- {عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ}.

قالَ في تفسيرِ نظيرها، في الآيةِ (٢٣) من السورة: {الْأَرَائِكِ}: جمعُ أريكة، بوزنِ سفينة، والأريكة: اسمٌ لمجموعِ سَريرٍ ووسادتِهِ وحَجلةٍ منصوبةٍ عليهما، فلا يقالُ (أريكة) إلا لمجموعِ هذه الثلاثة. اهـ.

والحجَلة: ساترٌ كالقبَّةِ يُزَيَّنُ بالثيابِ والستورِ للعروس.

سورة الانشقاق

٥- {وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ}.

قالَ في تفسيرِ نظيرِها، في الآيةِ الثانيةِ مِن السورة، ملخصًا: {وَأَذِنَتْ} أي: استمعت، يقال: أَذِنَ له، كما يقال: استمعَ له، أي: أصغَى إليه أُذنَهُ. وهو هنا مجازٌ مرسَلٌ في التأثرِ لأمرِ الله التكوينيّ بأن تنشقّ. وليس هو باستعارةٍ تبعيةٍ ولا تمثيلية. والتعبيرُ بـ (ربِّها) دونَ غيرِ ذلك من أسماءِ الله وطرقِ تعريفه، لِمَا يؤذَنُ به وصفُ الربِّ من الملكِ والتدبير. ومعنى {وَحُقَّتْ}: وهي محقوقةٌ بأن تَأذِنَ لربِّها؛ لأنها لا تخرجُ عن سلطانِ قدرته، وإن عظمَ سمكها، واشتدَّ خَلقها، وطالَ زمانُ رَتقها، فما ذلك كلُّهُ إلا من تقديرِ الله لها.

١٢- {وَيَصْلَى سَعِيرًا}.

ذكرَ أنه تقدَّمَ في سورةِ النساء (الآية ١٠)، قالَ هناك: السعير: النارُ المسعَّرة، أي: الملتهبة. وقالَ عند تفسيرِهِ الآيةَ ٩٧ من سورةِ الإسراء: السعير: لهبُ النار، وهو مشتقٌّ من سعَّرَ النارَ إذا هيَّجَ وقودَها.

٢٤- {فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}.

مؤلِمٍ غايةَ الإيلام. (روح البيان). موجع. (الطبري).

٢٥- {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ}.

من الطاعاتِ المأمورِ بها، وأيضًا باكتسابِ الفضائل. (روح البيان).

سورة البروج

٨- {وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ}.

... وهو كونهُ عزيزاً غالباً قادرًا يُخشَى عقابُه، حميداً مُنعِماً يجبُ له الحمدُ على نعمته، ويُرجَى ثوابُه. (النسفي).

٩- {الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}.

الذي له سلطانُ السماواتِ السبعِ والأرَضين وما فيهنّ، {وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} يقولُ تعالَى ذكره: واللهُ على فعلِ هؤلاءِ الكفّارِ - مِن أصحابِ الأخدودِ - بالمؤمنين الذين فتنوهم شاهد، وعلى غيرِ ذلكَ مِن أفعالِهم وأفعالِ جميعِ خَلقه، وهو مجازيهم جزاءَهم. (الطبري).

١١- {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ}.

إنَّ الذينَ أقرُّوا بتوحيدِ الله، وهم هؤلاءِ القومُ الذينَ حرَّقَهم أصحابُ الأخدود، وغيرُهم مِن سائرِ أهلِ التوحيد، وعملوا بطاعةِ الله، وائتَمروا لأمره، وانتهَوا عمّا نهاهُم عنه، لهم في الآخرةِ عندَ اللهِ بساتينُ تجري مِن تحتِها الأنهارُ، والخمرُ واللبنُ والعسل. هذا الذي هو لهؤلاءِ المؤمنينَ في الآخرة، هو الظفَرُ الكبير، بما طلبوا والتمسوا بإيمانِهم باللهِ في الدنيا، وعملِهم بما أمرَهم اللهُ به فيها، ورضيَهُ منهم. (الطبري).

١٢- {إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ}.

البطش: الأخذُ بصولةٍ وعنف، وحيثُ وُصِفَ بالشدَّةِ فقد تضاعفَ وتفاقم، وهو بطشهُ عزَّ وجلَّ بالجبابرةِ والظلَمة، وأخذهُ سبحانهُ إيّاهم بالعذابِ والانتقام. (روح المعاني).

سورة الطارق

٢- {وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ}.

وما أشعرَكَ يا محمَّدُ ما الطارقُ الذي أقسمتُ به؟ (الطبري).

سورة الأعلى

١٧- {وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى}

أي: تؤثِرونها على الآخرةِ والحالُ أن الآخرةَ خيرٌ في نفسها؛ لما أن نعيمَها مع كونهِ في غايةِ ما يكونُ من اللذَّة، خالصٌ عن شائبةِ الغائلة. (روح البيان).

سورة الغاشية

٥- {تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آَنِيَةٍ}.

منبع. (مفردات الراغب).

١٢- {فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ}.

أي: سارحة. وهذه نكرةٌ في سياقِ الإثبات، وليسَ المرادُ بها عينًا واحدة، وإنما هذا جنس، يعني: فيها عيونٌ جاريات. (ابن كثير).

أي: عيونٌ كثيرةٌ تجري مياهُها على الدوامِ حيثُ شاءَ صاحبُها، وهي أشدُّ بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، من شربَ منها لا يظمأُ بعدها أبدًا، ويذهبُ من قلبهِ الغلُّ والغشُّ والحسدُ والعداوةُ والبغضاء. (روح البيان).

١٨- {وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ}.

رفعًا سحيقَ المدى، بلا عمادٍ ولا مساك، بحيثُ لا ينالهُ الفهمُ والإدراك. (روح البيان).

٢٦- {ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ}.

يعني جزاءهم. (البغوي).

سورة الفجر

٢٣- {يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى}.

{يَتَذَكَّرُ}: يتَّعظُ ويتوب.

{ٱلذِّكْرَىٰ}: التوبة. (البغوي).

سورة البلد

٥- {أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَد}.

فسَّرها في الآيةِ التي تسبقها.

١١- {فَلاَ اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ}.

الطريقُ التي في الجبل، سميتْ بذلك لصعوبةِ سلوكها، وهو مثَلٌ ضربَهُ سبحانهُ لمجاهدةِ النفسِ والهوى والشيطانِ في أعمالِ البرّ، فجعلَهُ كالذي يتكلفُ صعودَ العقَبة. (فتح القدير).

سورة الشمس

١- {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا}.

أضافَ الضحى إلى الشمسِ لأنه إنما يكونُ عند ارتفاعها. (فتح القدير).

٨- {فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا}.

بيَّنَ لها الخيرَ والشرّ. (ابن كثير).

١٠- {وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا}.

في القاموس: خابَ يخيبُ خيبة: حرمَ وخسرَ وكفر، ولم ينلْ ما طَلب. (روح البيان).

١٤- {فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا}.

بسببِ ذنبهم المحكي. والتصريحُ بذلك مع دلالةِ الفاءِ عليه للإنذارِ بعاقبةِ الذنب، ليعتبرَ به كلُّ مذنب. (روح البيان).

سورة الليل

١- {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى}.

قالَ عند تفسيرِ الآيةِ الرابعةِ من سورةِ الشمس: الغشي: التغطية، وليس الليلُ بمغطٍّ للشمسِ على الحقيقة، ولكنه مسبَّبٌ عن غشي نصفِ الكرةِ الأرضيةِ لقرصِ الشمسِ ابتداءً من وقتِ الغروب، وهو زمنٌ لذلك الغشي. فإسنادُ الغشي إلى الليلِ مجازٌ عقليّ، من إسنادِ الفعلِ إلى زمنه، أو إلى مسبَّبه، بفتحِ الباء. والغاشي في الحقيقةِ هو تكويرُ الأرضِ ودورانها تُجاهَ مظهرِ الشمس، وهي الدورة اليومية.

١٣- {وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى}.

الدنيا. (الطبري، وغيره).

سورة الشرح

٧- {فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ}.

النصب: التعب، يقال: نَصِبَ يَنصَبُ نصَباً، أي: تعب. (فتح القدير).

سورة العلق

١١- {أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى}.

يعني: على استقامةٍ وسدادٍ في صلاتهِ لربّه. (الطبري).

١٢- {أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى}.

أو أمرَ محمدٌ هذا الذي يَنهَى عن الصلاةِ باتقاءِ الله، وخوفِ عقابه. (الطبري).

١٣- {أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى}.

وأدبرَ عنه، فلم يصدِّق به. (الطبري).

١٥- {كَلاَّ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ}.

أي: لئن لم يرجعْ عمّا هو فيه من الشقاقِ والعناد. (ابن كثير).

سورة البينة

٧- {إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ}.

إن الذين آمنوا بالله ورسولهِ محمد، وعبدوا الله مخلصين له الدينَ حنفاء، وأقاموا الصلاة، وآتَوا الزكاة، وأطاعوا الله فيما أمرَ ونهى، {أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ البَرِيَّةِ} يقول: من فعلَ ذلك من الناسِ فهم خيرُ البريَّة. (الطبري).

البريَّة: الخَلق. (مفردات الراغب).

سورة القارعة

٨- {وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُه}.

أي: رجحتْ سيِّئاتهُ على حسناته، أو لم تكنْ له حسناتٌ يعتدُّ بها. (فتح القدير).

سورة الماعون

٤- {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ}.

قالَ عند تفسيرِهِ الآيةَ (٧٩) من سورةِ البقرة: الويلُ لفظٌ دالٌّ على الشرِّ أو الهلاك، ولم يُسمَعْ له فعلٌ من لفظه، فلذلك قيل: هو اسمُ مصدر...

كما ذكرَ عند تفسيرِ الآيةِ (١٥) مِن سورةِ المرسلات، أن الويلَ أشدُّ السوءِ والشرّ.

سورة المسد

٢- {مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَب}.

لم ينفعه. (روح البيان). ما دفعَ عنه.. (روح البيان، البغوي).

٣- {سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ}.

ذاتَ اشتعالٍ وتوقُّد. (روح البيان).

أي: ذاتَ لهبٍ وشررٍ وإحراقٍ شديد. (ابن كثير).

سورة الناس

١- {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ}.

قال: القولُ في الأمرِ بالقول، وفي المقول، وفي أن الخطابَ للنبيّ صلى الله عليه وسلم، والمقصودِ شمولَهُ أمتَه، كالقولِ في نظيرِهِ من سورةِ الفلق، سواء. اهـ.

ومختصرُ قولهِ هناك: الأمرُ بالقولِ يقتضي المحافظةَ على هذه الألفاظ؛ لأنها التي عيَّنها الله للنبيّ صلى الله عليه وسلم ليتعوَّذَ بها، فإجابتُها مرجوَّة... وإذ قد كان قرآناً كان خطابُ النبيّ صلى الله عليه وسلم به يشملُ الأمة، حيثُ لا دليلَ على تخصيصهِ به، فلذلك أمرَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم بعضَ أصحابهِ بالتعوُّذِ بهذه السورة، ولذلك أيضاً كان يعوِّذُ بهما الحسَنَ والحسَين، كما ثبتَ في "الصحيح".

والعَوْذ: اللَّجَأُ إلى شيءٍ يَقِي مَن يَلجأُ إليه ما يخافه، يُقال: عاذَ بفلان، وعاذَ بحصن، ويقال: استعاذ، إذا سألَ غيرَهُ أن يُعيذَه.

*** *** ***

انتهى بفضلِ الله وتوفيقهِ الاستدراكُ على تفسيرِ العلّامةِ محمد الطاهر بن عاشور رحمهُ الله "التكوير على التحرير والتنوير"، في يومِ الخميس، الثامنِ والعشرين من شهرِ شوال، من عام ١٤٣٩ هـ.

والحمدُ لله وحده، وصلَّى الله وسلَّمَ وباركَ على نبيّنا محمد، وعلى آلهِ وصحبه، ومن تبعهم بإحسان.

*** *** ***

*** ***

***

الفهرس

اسم السورة	رقم الصفحة
مقدمة	٣
سورة الفاتحة	٧
سورة البقرة	٧
سورة آل عمران	٣٨
سورة النساء	٦٢
سورة المائدة	٨٤
سورة الأنعام	١٠٣
سورة الأعراف	١١٣
سورة الأنفال	١٣٠
سورة التوبة	١٣٤
سورة يونس	١٤٤
سورة هود	١٤٩
سورة يوسف	١٦٠
سورة الرعد	١٦٩
سورة إبراهيم	١٧٤
سورة الحِجر	١٧٩
سورة النحل	١٨٢
سورة الإسراء	١٩١
سورة الكهف	١٩٧
سورة مريم	٢٠٤
سورة طه	٢٠٩
سورة الأنبياء	٢١٦

سورة الحج..... ٢١٩
سورة المؤمنون..... ٢٢٦
سورة النور..... ٢٣١
سورة الفرقان..... ٢٣٧
سورة الشعراء..... ٢٤١
سورة النمل..... ٢٥٦
سورة القصص..... ٢٦٤
سورة العنكبوت..... ٢٦٧
سورة الروم..... ٢٧٢
سورة لقمان..... ٢٧٦
سورة السجدة..... ٢٨٠
سورة الأحزاب..... ٢٨٢
سورة سبأ..... ٢٨٨
سورة فاطر..... ٢٩١
سورة يس..... ٢٩٤
سورة الصافات..... ٢٩٨
سورة ص..... ٣٠٦
سورة الزمر..... ٣١١
سورة غافر..... ٣١٥
سورة فصلت..... ٣٢٠
سورة الشورى..... ٣٢٣
سورة الزخرف..... ٣٢٦
سورة الدخان..... ٣٢٩
سورة الجاثية..... ٣٣١
سورة الأحقاف..... ٣٣٤

سورة محمد..... ٣٣٦
سورة الفتح..... ٣٣٩
سورة الحجرات..... ٣٤١
سورة ق..... ٣٤٢
سورة الذاريات..... ٣٤٣
سورة الطور..... ٣٤٥
سورة النجم..... ٣٤٦
سورة القمر..... ٣٤٧
سورة الرحمن..... ٣٤٩
سورة الواقعة..... ٣٥٥
سورة الحديد..... ٣٥٨
سورة المجادلة..... ٣٦٣
سورة الحشر..... ٣٦٦
سورة الممتحنة..... ٣٦٨
سورة الصف..... ٣٧٠
سورة الجمعة..... ٣٧١
سورة المنافقون..... ٣٧٢
سورة التغابن..... ٣٧٣
سورة الطلاق..... ٣٧٤
سورة التحريم..... ٣٧٥
سورة الملك..... ٣٧٧
سورة القلم..... ٣٧٩
سورة الحاقة..... ٣٨٠
سورة المعارج..... ٣٨٠
سورة نوح..... ٣٨٢

سورة الجن..... ٣٨٢
سورة المزمل..... ٣٨٣
سورة المدثر..... ٣٨٣
سورة الإنسان..... ٣٨٤
سورة المرسلات..... ٣٨٥
سورة النبأ..... ٣٨٨
سورة النازعات..... ٣٨٨
سورة عبس..... ٣٨٩
سورة المطففين..... ٣٨٩
سورة الانشقاق..... ٣٩١
سورة البروج..... ٣٩٢
سورة الطارق..... ٣٩٣
سورة الأعلى..... ٣٩٣
سورة الغاشية..... ٣٩٣
سورة الفجر..... ٣٩٤
سورة البلد..... ٣٩٤
سورة الشمس..... ٣٩٤
سورة الليل..... ٣٩٥
سورة الشرح..... ٣٩٥
سورة العلق..... ٣٩٦
سورة البينة..... ٣٩٦
سورة القارعة..... ٣٩٧
سورة الماعون..... ٣٩٧
سورة المسد..... ٣٩٧
سورة الناس..... ٣٩٧

الفهرس..... ٣٩٩